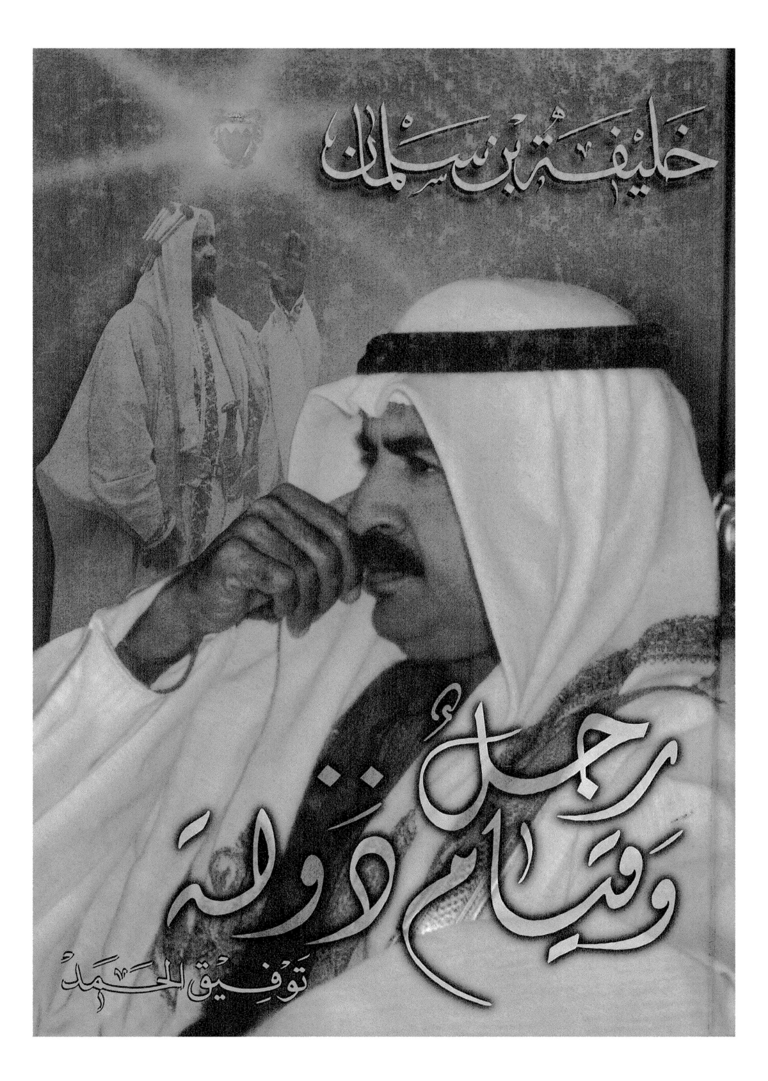
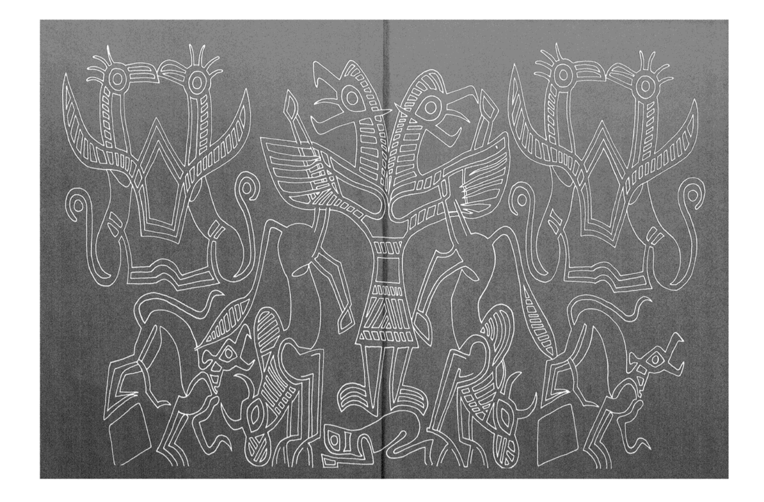

خليفة بن سلمان
رجل وقيام دولة
توفيق الحمد





رؤية معاصرة لتاريخ البحرين الحديث

من خلال

السيرة الذاتية

لصاحب السمو
الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة
رئيس الوزراء

توفيق الحمد

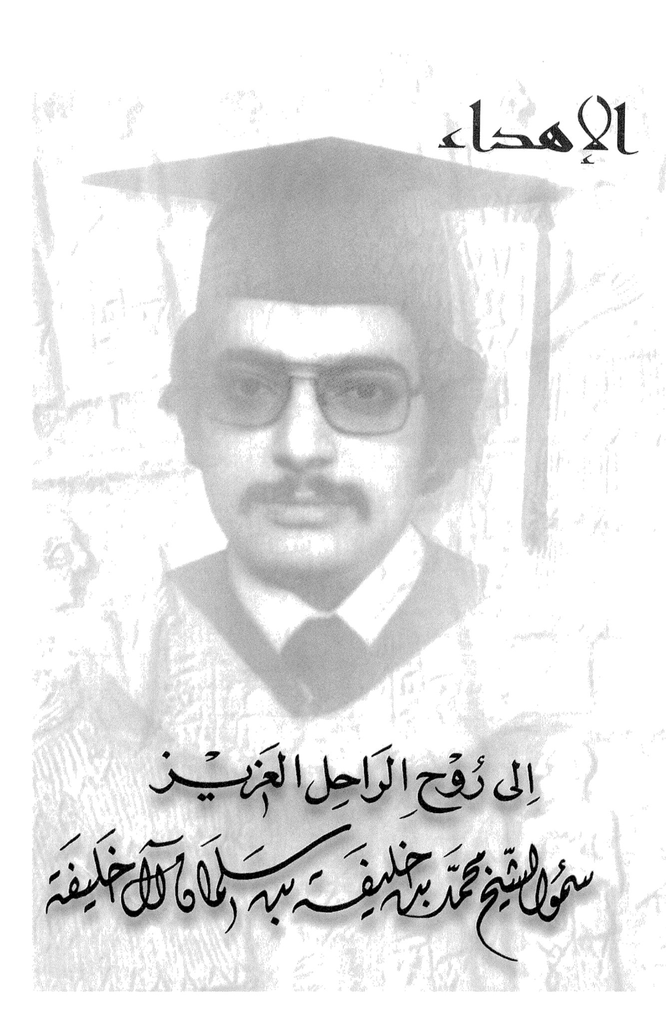
الطبعة الأولى
١٩٩٦



خليفة بن سلمان

رجل وقيام دولة




الإهداء
إلى روح الراحل العزيز
سمو الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة

الناشر: مركز الإبداع العلمي

تليفون ٦٩٣١٣٣ فاكس ٦٩٣٠٧٨

صندوق بريد ٣٠٨٣٠ - البحرين

الإشراف العام والإخراج الفني: توفيق الحمد

❖❖❖❖

تصميم الغلاف الخارجي والصور الداخلية والخلفيات الديلمونية
الفنان البحريني يوسف القصير

❖❖❖❖

طبع في : المطبعة الشرقية - البحرين

المحتويات



شكر وتقدير

أشكر الله العلي القدير أن وفقني إلى إتمام هذا الكتاب، الذي أعتبره أعز إنجاز لي في حياتي. أقول ذلك، وكلي إحساس بالعجز عن أن أعبر لصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء حفظه الله عن شكري وإمتناني على ثقته الغالية، والشرف الكبير الذي أولاني إياه عندما أتاح لي الفرصة لأن أكتب هذا الكتاب، الذي أدعو المولى عز وجل أن أكون قد قدمته في صورة تليق ولو بقدر بسيط بجهود وإنجازات ومكانة الشيخ خليفة. ذلك الرجل الذي يعجز القلم عن أن يفيه حقه، لقاء هذا العطاء المستمر والمتميز الذي قدمه لبلدنا العزيز على إمتداد أربعين عاماً. وإنني لأدعو الله العلي القدير أن يسبغ على سموه موفور الصحة وطول العمر، وأن يتم عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

كما أود أن أقدم شكري وتقديري لسعادة الاستاذ محمد إبراهيم المطوع، وزير شئون مجلس الوزراء والإعلام، الذي أعتبره الأب الروحي لهذا الكتاب، عرفانا وتقديراً لما بذل من جهد، وما ذلل من صعاب. فقد كان لإهتمامه ومتابعته - على مدى فترة قاربت العامين - أكبر الاثر في إنجاز هذا العمل . كما أتقدم بشكري العميق لسعادة الدكتور عبداللطيف الرميحي، رئيس ديوان سمو رئيس الوزراء، الذي لم يبخل عليّ بخبرته الأكاديمية وتوجيهاته القيّمة منذ أن بدأت العمل في هذا الكتاب.

شكر خاص

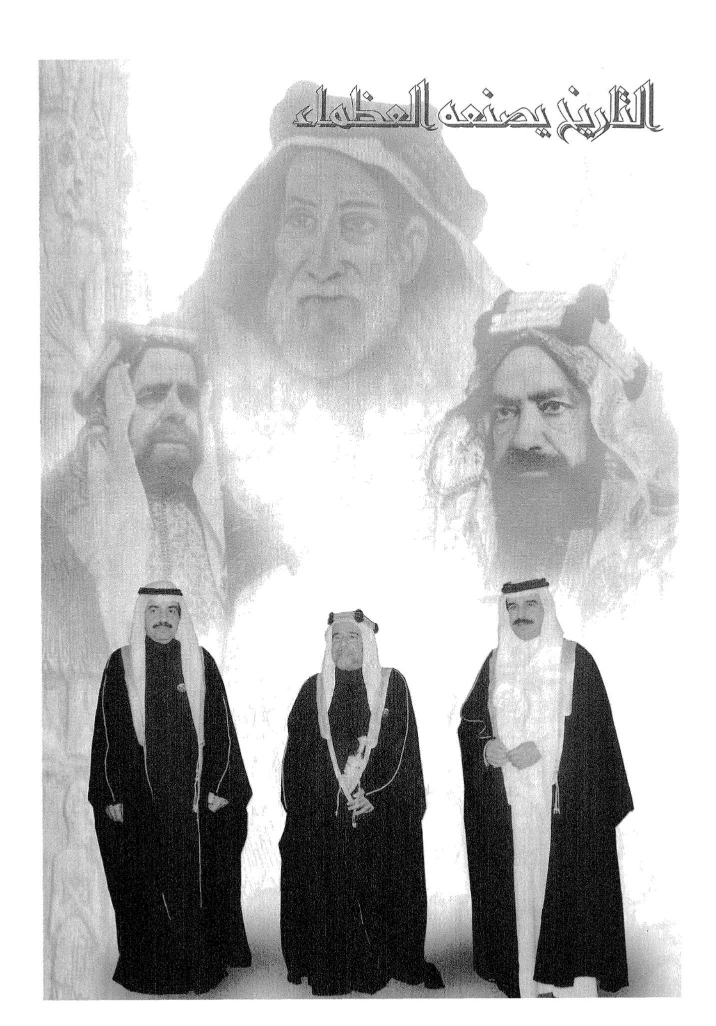
عندما قدمني الدكتور عبداللطيف الرميحي رئيس ديوان سمو رئيس الوزراء إلى الأستاذ زغلول عبدالمطلب، الكاتب الصحفي بجريدة الاهرام المصرية والمستشار الصحفى بالديوان، خشيت في البداية - وأقولها بمنتهى الصراحة - أن يقوم الأستاذ زغلول معي بدور الرقيب، فيُعمل مقصه في كتابي بالحذف والمنع. ولكن ما حدث في الواقع كان عكس ذلك تماما. فقد أظهر الرجل حرصاً واهتماماً كبيرين. ولم يبخل بجهد أو فكر أو نصيحة، حتى وصل هذا الكتاب، بعد جهد شاق، إلى ماكينات الطباعة.

وقد امتدت الجلسات التى عقدتها مع الأستاذ زغلول عبدالمطلب طويلاً. وكثيراً ما التقينا سويا بالأستاذ محمد المطوع وزير شئون مجلس الوزراء والإعلام، وكذلك بالدكتور عبداللطيف الرميحي. وفي كثير من جلسات العمل، كانت تدور بيني وبين الأستاذ زغلول مناقشات طويلة حول وجهات نظر مختلفة. ولأن الرغبة المخلصة في تقديم عمل يليق بمكانة صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة كانت الهدف المشترك الذي يجمع بيننا، فقد كانت المناقشات تنتهي دائما باتفاقنا على رأي واحد.

وبحكم ماالديه من خبرة واسعة في مجال الصحافة والكتابة، قدم لي الأخ الفاضل الأستاذ زغلول الكثير من النصائح والأفكار التي كان لها أثر كبير في الوصول بالكتاب إلى هذا المستوى. ولم يقتصر دور الأستاذ زغلول عند هذا الحد، بل كان له الفضل الأكبر في تشجيعي على أن أتطرق لجوانب ومواضيع كنت أتخوف من الإقدام على الكتابة عنها.

لذلك كله، لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى الأستاذ زغلول عبدالمطلب. ولعل أفضل طريقة للتعبير عن هذا الشكر وذلك التقدير، هى أن يخرج هذا الكتاب بالصورة التى يتمناها... وأتمناها.

توفيق الحمد


التاريخ يصنعه العظماء



التاريخ.. يصنعه العظماء

لا يستطيع صاحب بصر أو بصيرة، أن ينكر ما حققته البحرين خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة من نهضة، قفزت بها إلى مصاف الدول المتحضرة، بل وجعلتها تحتل مكانة مرموقة بين هذه الدول. ولاشك في أن كل جانب من جوانب هذه النهضة - وما أكثرها - جدير بأن يكون بمفرده موضوعاً لكتاب، إن لم يكن لكتب عدة. ولذلك، فانني عندما راودتني فكرة تأليف هذا الكتاب لأول مرة منذ نحو سبع سنوات، وجدتني في حيرة من أمري. عن ماذا أكتب ؟ وبماذا أبدأ ؟ كل الإنجازات - سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي - بدت لي مهمة. وكل منها كان جديراً بمكان الصدارة على قائمة أولوياتي.

وبعد تفكير طويل، رأيت أن تكون الإجازات على الساحة الداخلية هى موضوع الكتاب وإطاره العام. وإستقر رأيي في النهاية على أن ما تنعم به بلدي من أمن واستقرار، ينبغي أن تكون له الأولوية على غيره من هذه الإنجازات التى تستعصى على الحصر، والتى إستهدفت كلها سعادة ورفاهية أبناء هذا البلد. إذ لولا ذلك الأمن وهذا الإستقرار، ما إستطاع أحد أن ينجز شيئا. وكنت كلما لاحت في مخيلتي خواطر أخرى، أسال نفسي سؤالا هاما وهو: إنني كمواطن، ومعي أيضا كثيرون من أبناء جيلي، نحيا في ظل تلك الإنجازات وهذا الاستقرار، وقد عايشناها ولمسنا إلى أي مدى كانت ذات أثر إيجابي كبير في تطور حياتنا، وأفدنا منها أيما فائدة، ولكن هل فكر أحد منا يوما كيف إستطعنا كشعب وقيادة أن ننجز ما تحقق، ونحن على ما نحن عليه من تواضع الموارد ؟!

ولم تلبث الحقيقة أن ظهرت أمامي ناصعة مضيئة، وهي أن هذه الإنجازات الضخمة التى تضارع إنجازات أكثر الدول تقدما لصالح رفاهية ورقي

شعوبها، ما كانت لتتحقق لو لم يكن وراءها عقل مفكر ورأي مدبر، كما أنه لابد وأن يكون وراءها عمل مستمر ومتابعة متواصلة.

وبينما كنت أستعرض أفكاري وخواطري عن المحور الذي يجب أن يدور الكتاب حوله، برزت أمامي حقيقة أنه لكي يتواصل العطاء ويستمر الوطن في مسيرته على درب التقدم والازدهار، كان لابد من وجود رجل قادر على إدارة دفة الأمور في البلاد بحكمة، وجمع كلمتها على قلب رجل واحد بحنكة وإقتدار، ليكون بحق خير ربان يقود السفينة إلى بر الأمان.

وقادتني تأملاتي إلى التأكد من أن سمو أمير البلاد المفدى الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، مدفوعاً بما لديه من حكمة ونفاذ بصيرة، قد نجح في أن يضع ثقته الغالية في مكانها الصحيح، عندما عهد بالقيادة التنفيذية إلى الرجل الذي يمكنه أن يحمل أمانة المسئولية، وأن يتصدى لقيادة المسيرة بكل ما يكتنفها من صعوبات. وهنا أدركت أنني قد وجدت ضالتي المنشودة، ورأيت أن هذا الإختيار هو الأجدر بأن يكون محور الكتاب. ووجدت أن سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة هو القاعدة التي يجب أن ينطلق منها الكتاب، لكي يحكي كل شيء، بدءاً من رحلة الكفاح من أجل الإستقلال، وإنتهاءً بنجاح مسيرة الخير على طريق التطور.

وبشيء من التدقيق، وجدت أن التطور الذي شهده - ومازال يشهده - بلدي الحبيب البحرين، لم يكن نابعاً من فراغ، بل جاء نتاجاً لجهد وعرق وتضحية، إمتدت بلا إنقطاع عقوداً طويلة. جهد إنسان عمل بكل الصلابة والجلد من أجل تقدم بلاده، وأعمل فكره من أجل أن يرسم مستقبلها، وخطّط من أجل أن يحوّل أحلام وآمال مواطنيه في الرفعة والرفاهية إلى واقع حي يلمسه الجميع، وحرص في الوقت ذاته حرصاً كاملاً على أن يحافظ على إلتزامات البحرين المادية في الداخل والخارج، رغم التواضع النسبي لامكاناتها، ضاربا المثل بذلك لدول أكبر وأكثر قدرة. ذلك هو سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة.

ومن الضروري أن أشير في هذا المقام إلى المراحل التي مررت بها حتى أصل إلى هذه القناعات. فرغم أن فكرة إخراج هذا الكتاب ظلت مسيطرة عليَّ طوال سبع سنوات كاملة، فإن الطريق إلى ذلك لم يكن واضحاً أمامي، حيث لم يسبق لي أن خضت مثل هذه التجربة. وعلى غير توقع، برق في ذهني خاطر:

لماذا لا أبعث برسالة إلى سمو رئيس الوزراء، أشرح فيها مقصدي وأطلب لقاءه، وأعرض فيها هدفي من إصدار كتاب يحكي ويفسر كل شيء ؟ وعاد التردد يتملكني من جديد، وأنا أسأل نفسي: هل بإمكان مواطن من عامة الشعب مثلي أن يطلب ذلك وأن يجاب إلى طلبه ؟!

وعلى الرغم من الجدل الذي أثارته فكرة الرسالة بين بعض المقربين إليَّ، حيث كان منهم المشجع والمؤيد ومنهم من كان على عكس ذلك، إلا أنني قررت في النهاية أن أمضي قُدماً في طريقي، وحسمت أمري.

وتوجهت بالرسالة إلى ديوان سمو رئيس الوزراء، حيث سلمتها إلى موظف شاب رحب بي وعرفني بنفسه: عادل العسومي سكرتير رئيس ديوان سموه، وأوضح لي أن ديوان سمو رئيس الوزراء يتقبل كل رسائل المواطنين، ويبحث في أمرها جميعاً بغير استثناء.

ولم يعد أمامي بعد ذلك سوى ترقب وصول الرد، وهو الأمر الذي لم يلبث أن تحقق بأسرع مما كنت أتوقع، عبر مكالمة هاتفية تلقيتها من مدير إدارة المعلومات والمتابعة بديوان سموه، الأستاذ علي العرّيض. كان ذلك بالتحديد في التاسعة والنصف من مساء الرابع من شهر فبراير عام ١٩٩٤ . وأخبرني الأستاذ العرّيض في إتصاله بأن سمو رئيس الوزراء سوف يستقبلني في الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم التالي. وكان ذلك كافياً لأن يصيبني بقدر كبير من الحيرة والإرتباك. ومما زاد من حيرتي وإرتباكي هو أنه لم يكن أمامي سوى ١٤ ساعة لكي أعد نفسي ذهنياً ونفسياً لهذا اللقاء الذى طالما تمنيته. ورغم حاجتي إلى النوم والراحة، بقيت طوال تلك الليلة ساهراً لا يغمض لي جفن، أفكر: كيف سيكون اللقاء؟ إنني لم أتشرف بلقاء سموه شخصياً من قبل، وأشعر بمهابة كبيرة من اللقاء، فكيف أواجه مثل هذا الموقف ؟

وعندما لاحت تباشير الصباح، ومع إقتراب موعد المقابلة، كان قلقي قد بلغ منتهاه. وحين وجدت نفسي قريباً جداً من مكتب سموه، تحول القلق إلى خوف من أن يؤدي بي إرتباكي إلى الوقوع في أخطاء محرجة أثناء اللقاء. ولما أُذن لي بالدخول، كان عليّ أن أقطع نحو عشرين متراً كي أصل إلى مكتب سموه. وكانت تلك أطول عشرين متراً قطعتها في حياتي، تملّكني خلالها مزيج غريب من المشاعر المتباينة، فيه اللهفة والشوق، وفيه الرهبة والإضطراب، وفيه إحساس غامر بالسعادة لرؤية سمو رئيس الوزراء بلا حواجز لأول مرة. وغلّف

كل هذه المشاعر قدر غير يسير من التوتر والإنفعال، بدا عليّ بشكل واضح، مما دفع رئيس ديوان سموه الدكتور عبداللطيف الرميحي، الذي كان يرافقني في رحلة العشرين متراً، إلى أن يبذل بعض المحاولات للتخفيف عني !!

وعندما تشرفت بالدخول إلى مكتب سمو رئيس الوزراء، كنت أتصور أنني سأزداد توتراً وإضطراباً، وأنني لن أستطيع بأي حال من الأحوال إنجاز ما جئت من أجله. ولكن ماحدث كان عكس ذلك تماماً. فسرعان مازال الإرتباك عني وإنكسر حاجز الرهبة، بمجرد أن بادرني سموه بالسؤال عن أحوالي وأحوال عائلتي، بإسلوب أبوي، كان أبعد مايكون عن الجو الرسمي الذي كنت أتوقع أن أجد نفسي في بؤرته. وهكذا زال الإرتباك والقلق تماما بعد دقائق معدودة من بداية اللقاء.

وعلى إمتداد مايقرب من ٥٠ دقيقة، كان التواضع والبساطة هما السمة العامة التي لفتت إنتباهي في شخصية سموه. فرغم ضخامة المسئولية الملقاة على عاتقه، ومنها شئون البلاد الداخلية والخارجية، والتعامل مع الأوضاع التي تمر بها المنطقة، فإن ذلك لم يكن حائلاً دوني، وأنا المواطن العادي، لأن ألقاه وأتحادث معه بكل صراحة ودون أية تعقيدات. ودفعني ذلك إلى أن أسأل نفسي: هل يمكن أن يحدث مثل هذا الأمر في أي من بلدان العالم المتقدمة ؟!

وبفعل ما أحاطني به سموه من عطف ومودة، إزددت طمأنينة وشجاعة، ورأيت أن الظرف أكثر من مناسب لأن أنقل هذا التساؤل إليه. وجاءتني الإجابة سلسة وبسيطة كبساطة اللقاء مع سموه، حين قال لي « إن نصائح وتوجيهات الوالد الشيخ سلمان بن حمد رحمه الله لاتغيب عن بالي في هذا الخصوص مطلقاً » وحدثني سموه عن بعض المواقف التي كانت بمثابة دروس تلقاها من المغفور له الشيخ سلمان، يحفظها وكأنه سمعها بالأمس فقط.

وقد كان هذا اللقاء الأول، الذي يعد سابقة لا نظير لها في حياتي، نقطة الإنطلاق الحقيقية لإعداد هذا الكتاب. ومع توجيهات سموه السديدة وتشجيعه لي وترحيبه بأن يستقبلني مرات أخرى، أمكن أن يتحول الحلم إلى حقيقة، وأن يخرج هذا الكتاب إلى حيز الوجود.

وبعد، فإن ما آمل فيه وأرجوه، هو أن يسهم هذا الكتاب ولو بقدر يسير في تعريف أبناء وطني ببعض جوانب شخصية الشيخ خليفة بن سلمان، الذي

وهب نفسه لخدمة هذا الوطن، وأن يكون بمثابة سجل أمين للأجيال الحالية، وشاهد للأجيال القادمة على ما حققه هذا الرجل، وعلى ما نالته البحرين على يديه من عزة وسؤدد ، وعلى ما ينتظرها بفضل جهوده من مستقبل مشرق، وهو يتولى، إلى جانب حضرة صاحب السمو الأمير المفدى، توجيه دفة القيادة، بما حباه الله من حكمة وبعد نظر، وبما إكتسب من خبرة ودراية في سياسية الأمور.

ولقد إلتزمت في إعداد هذا الكتاب كل الدقة والموضوعية، وراعيت كافة أصول البحث العلمي والتاريخي الدقيق، بهدف أن أسهم ولو بقبس بسيط، ينير الطريق للأجيال الحالية والقادمة، وكذلك للباحثين والدارسين، والمهتمين بشئون المنطقة وبدراسة تاريخ وتجربة هذا البلد الذي أصبح قدوة ومثالا يحتذي بين دول العالم الثالث، بعد أن أحرز في بعض المجالات تطوراً يفوق التطور الذي أحرزته دول متقدمة كثيرة في تلك المجالات. إنه تاريخ ورواية .... فأما التاريخ فيصنعه العظماء ... وأما الرواية فإنها أمانة الراوي.






البدايات الأولى



تمهيد

البدايات الأولى[1]

عندما تتمكن دولة كبيرة الحجم، غنية الموارد، من إحتلال مكانة متميزة بين سائر الدول، إستناداً إلى ما تتمتع به من إمكانات إقتصادية وكثافة سكانية، فإن ذلك يعد أمراً طبيعياً. ولكن عندما تتمكن دولة صغيرة الحجم، قليلة السكان ومحدودة الإمكانات، من أن تحتل مكانة مرموقة على الساحتين الإقليمية والدولية، فإن الأمر يستحق وقفة متأنية للتأمل والبحث في أسباب ما يمكن وصفه بأنه ظاهرة قلّما يشاهدها المرء، ولايملك إزاءها غير التساؤل: كيف ؟ ومن يقف وراء تحقيق ذلك الانجاز ؟

وفي هذا الإطار، تظهر دولة البحرين كمثال من الأمثلة التى يجب دراستها والإقتداء بها، خصوصاً بعد أن إستطاعت - رغم مساحتها الصغيرة جغرافيا (٦٩٥,٢٦ كم٢)، وعدد سكانها المحدود نسبياً (٥٠٨ آلآف نسمة تقريباً) - أن تحتل مكانة متميزة على المستويين العربي والدولي. وما من شك في أن كل بحث أو دراسة في مثل هذه الأمثلة، إنما يقود إلى تعزيز الإعتقاد بأن قيادة واعية ومدركة لحقائق العصر ومتطلبات التطور، ومالكة لإمكانيات التعامل مع الأحداث وإستيعابها، هي التي قادت بلادها إلى تبّوء هذه المكانة. والأمر كذلك في حال البحرين، التي لعبت قيادتها دوراً كبيراً في المحافظة على سلامة البلاد وسيادتها الإقليمية والدولية، وتطوير علاقاتها مع مختلف الدول الأخرى الكبيرة والصغيرة على حدٍ سواء، كما تمكنت من أن تحافظ على مصالح شعبها وتطور إمكاناته وثرواته.

❖❖❖❖

ولقد كانت البحرين، منذ ما يقارب الثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، تحمل مشعل الحضارة في منطقتها، ووصفها المؤرخون بأنها كانت منارة إشعاع حضاري وفكري، تركت آثاراً وبصمات واضحة على مساحة شاسعة من العالم.

وعندما عُرفت البحرين بأسم (ديلمون) إبان العصر السومري، كانت ذات حضارة متطورة، تعتمد على التجارة التي تفد إليها من مختلف أرجاء المعمورة. وكانت أساطيل البحرين في حركة دؤوبة لاتهدأ، تصل ما بين المحيط الهادي والمحيط الهندي، مروراً بالخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر، حاملة لؤلؤ البحرين الشهير وبعض منتجاتها الزراعية ومصنوعاتها التقليدية، وكذلك النحاس والأحجار الكريمة من ساحل عمان، والذهب والأخشاب من الهند.

ثم جاء القرن الثالث قبل الميلاد، ليسجل بدء دخول القبائل العربية إلى البحرين. وكانت البحرين في ذلك الوقت تضم كل المنطقة الواقعة على الساحل الغربي للخليج، من البصرة إلى قطر وعمان، والساحل الشرقي من الجزيرة العربية، وذلك إلى جانب الجزر الحالية.

وفي القرن الرابع الميلادي، وبينما كان قباطنة الأسكندر المقدوني الأكبر يحاولون الوصول إلى البحرين بسفنهم لتفقد ربوعها، قام الفرس على عهد الملك (شابور الثاني) بالإستيلاء على البحرين. ولكن ذلك الوضع لم يستمر، وخاصة مع إستقرار العلاقات بين البحرين وإمبراطورية الفرس، بعد أن إكتفى ملوك الأسرة الساسانية بإعلان ملوك البحرين ولاءهم لهم.

وعندما بزغ فجر الإسلام - بعث الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام « أبا العلاء الحضرمي » للدعوة إلى نشر الدين الحنيف بين أهل البحرين. ودخل « المنذر بن ساوى » حاكم البحرين آنذاك هو وأتباعه في دين الإسلام. وبرغم إنعكاس حركة الردة، إثر وفاة الرسول (ص)، على الأوضاع في البحرين، إلا أن « أبا العلاء الحضرمي» إستطاع، بعد أن بعث به الخليفة الأول أبوبكر الصديق على رأس جيش كبير إلى البحرين، أن يقضي على الفتنة وأن يرسخ الإسلام فيها. وإستمرت البحرين جزءاً من العالم الإسلامي، تحت قيادة الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية والدولة العباسية من بعدها. وتأثرت البحرين، كما تأثرت مناطق أخرى من العالم الإسلامي، بحركات الخوارج والقرامطة، ثم بغزو المغول دول العالم العربي والإسلامي.

ويمكن إعتبار الإحتلال البرتغالي للبحرين بمثابة مرحلة عارضة أثناء الحكم العربي. فقد عادت الأسرة العربية إلى حكم البحرين، مبدية ولاءها لملوك الفرس حتى عام ١٧٨٣، وهو العام الذي وفدت فيه قبائل (العتوب) العربية إلى البحرين، وإستقر فرع منها وهو فرع « آل خليفة » في منطقة الزبارة

غربي شبه جزيرة قطر، وتمكن قائدها الشيخ أحمد الفاتح من التغلب على الفرس، ووضع بذلك نهاية للسيطرة الفارسية على البحرين.

ويعد نزول آل خليفة، الذين ينتسبون إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن بني ربيعة بن عدنان، إلى البحرين بمثابة نقطة تحول بالغة الأهمية في تاريخها الحديث. فقد كان الجد الأعلى لآل خليفة، وهو الشيخ خليفة بن محمد، يقيم مع أهله وعشيرته في أرض الهدار من بلاد الأفلاج بنجد. وكانت له منعة وكلمة مسموعة فيهم. وعندما توفّي، خلفَه إبنه محمد. وحين ناصب أمراء البصرة آل خليفة العداء، قام محمد بن خليفة بالرحيل مع قومه من الكويت، ونزل بأرض (الزبارة) غربي شبه جزيرة قطر، وإجتمع أهلها على توليته إماراتها. ثم خلفَه إبنه خليفة، ثم أحمد الذي حرر البحرين من سيطرة الفرس، وأصبح معروفاً بإسم « أحمد الفاتح ». ثم توالى من بعده حكام أسرة آل خليفة، وصولاً إلى سمو الأمير المفدى الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة.

ومن الضروري الإشارة هنا إلى حقيقة بالغة الأهمية، وهي أن البحرين، على إمتداد تاريخها القديم والحديث، لم تتدخل قط في شئون أية دولة أخرى. وهي إذ تسعى الآن جاهدة إلى زيادة وتنمية مواردها وإمكاناتها، فانها تفعل ذلك دون عدوان على أحد. وهدفها الوحيد في ذلك هو تحقيق رفاهية شعبها، والحفاظ على حريته وسلامته، في ظل ظروف دولية وإقليمية بالغة التعقيد.

ولم يكن إنتهاج ذلك النمط السياسي الحكيم بالأمر السهل أو الميسور، وإنما تطلّب قيادة تنفيذية واعية تدرك وبوضوح متطلبات كل مرحلة من مراحل العمل الوطني، بدءاً من مرحلة الحصول على الاستقلال التام و إلغاء العلاقات التعاهدية مع بريطانيا، ومروراً بمرحلة البناء الداخلي، وإستعداداً لمرحلة الإنطلاق والحفاظ على المكاسب وتطويرها لصالح الشعب وأجياله القادمة.

فمنذ أن أنهت علاقاتها التعاهدية مع بريطانيا حتي الأن، وعلى إمتداد أكثر من ربع قرن من الزمان، والبحرين تصعد درجات تلو درجات على سلم الرقي والتقدم. ولم يكن من السهل تحقيق ذلك إلا في إطار من الرؤية الصائبة لرئيس وزرائها سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، الذي إختاره صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى بثاقب حكمته لتولي مهام السلطة التنفيذية، لتشهد البلاد زخماً غير مسبوق في فعالية العمل الوطني داخلياً وخارجياً، ولتلحق البحرين بهذه السرعة المدهشة بركب الحضارة والتقدم.

ولسوف يلمس قارىء هذا الكتاب الدور الفعّال الذي لعبته ثقة الشيخ خليفة بن سلمان وإيمانه بقدرة وإمكانيات شعب البحرين، في تحويل كل حلم مهما كان صعباً إلى حقيقة واقعة، وفي دفع إنطلاقة الإنجاز على طريق العمل الوطني. ولعل مقولة سموه المتكررة « أبناء البلاد هم ثروتها الحقيقة » خير دليل على هذه الثقة، التي لم تكن وليدة مرحلة تحمّل المسئولية، وإنما تعود إلى مرحلة سابقة على ذلك بكثير.

وليس الهدف من هذا الكتاب، كما سيكتشف القارىء بنفسه، تسجيل مديح أو ثناء يستحقه سموه بالفعل. فسجل إنجازاته من أجل بلده يعلو فوق أي مديح أو ثناء. لكن الهدف من الكتاب هو تسجيل الصورة كاملة، وبأمانة مطلقة، ووضعها أمام الأجيال الحالية والمقبلة، وأمام الباحث والدارس، سجلاً نعتز به ونفخر، سجلاً يلقي الضوء على أبعاد هذه الشخصية غير العادية، والظروف والأحداث الأولى التي أسهمت في بنائها وبلورة قناعاتها وملكاتها القيادية. ليس الهدف إذن هو رصد ما تم إنجازه ، بل التعرف على الطريقة التي تم بها الإنجاز، وعلى دور هذا الرجل فيما تحقق من تنمية وعمران في الداخل، وبناء صرح من العلاقات الدولية في الخارج.

وبطبيعة الحال، لم يكن من الممكن تحقيق ذلك كله، في هذه الفترة الوجيزة، إلا من خلال حكمة نادرة، وبصيرة نافذة، وجهود واعية، وصبر ليس له حدود. وقد تجلت هذه المقومات في مواقف كثيرة، نسوق منها هنا مثالاً واحداً، وهو تلك الوقفة الصلبة التي وقفها الشيخ خليفة في مواجهة شاه أيران الراحل محمد رضا بهلوي، الذي كان منكِراً لحقيقة عروبة البحرين وإستقلاليتها. وقد كان لهذه الوقفة الفضل في إقناع الشاه بعدالة قضية الشعب البحريني، بعد أن أُعجب بهذا المفاوض الجريء الواثق من أبناء وطنه، ومد له يد الصداقة والتقدير.




الميلاد

الفصل الأول

الميلاد

في حياة الأمم والشعوب وقفات زمنية ذات تأثير حيوي كبير، تشكل أحداثها منعطفات هامة وبارزة في مسار تاريخها. وقد تحدث هذه الوقفات في الإطار الزمني ليوم واحد فقط، وقد تتواصل أحداثها على مدار سنوات كاملة، لتسفر فى النهاية عن حدوث هذه المنعطفات.

وأحسب أن السنوات الست الممتدة من عام ١٩٣١ إلى عام ١٩٣٦ قد حملت في طياتها، بحلو أحداثها ومره، بذور تلك النهضة الحديثة التي تعيشها البحرين اليوم، والتي تحققت رغم ظروف محدودية الموارد والثروات.

❖❖❖❖

في عصر أحد أيام شهر سبتمبر من عام ١٩٣١، توقفت سيارة أمام بيت الشيخ حمد بن عبدالله آل خليفة في قرية الجسرة الواقعة على الساحل الغربي للبلاد. ونظراً لقلة عدد السيارات التي كانت موجودة في البحرين في تلك الفترة، فقد لفتت هذه السيارة إنتباه أهل القرية الذين توقفوا وأطلّوا لمعرفة هوية صاحبها. وبعد لحظات، نزل من السيارة الشيخ سلمان نجل الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، نائب الحاكم آنذاك.

وأسرع الشيخ حمد بن عبدالله إلى خارج البيت لإستقبال ضيفه والترحيب به. وبعد حديث ودّي دار بينهما للحظات، دعاه إلى الدخول. فصمت الشيخ سلمان قليلاً، ثم قال وهو يبتسم « سأدخل البيت بعد ان تقول لى تَمّ ».

وكانت فرحة الشيخ حمد بن عبدالله كبيرة، وهو يسمع ما جاء من أجله الشيخ سلمان ... طلب يد كريمتة للزواج. وبعد تناول الرطب وشرب القهوة العربية، إستاذن

الشيخ سلمان للإنصراف، حيث صحبه الشيخ حمد مودعاً ومؤكداً مباركته لهذه الخطبة، فيما تعالت داخل البيت أصوات الزغاريد إبتهاجاً بهذه المناسبة السعيدة.

وقبل أن يركب الشيخ سلمان سيارته، شاهد بعض العمال وهم يُحضرون الماء إلى بيت الشيخ حمد. وعندما إستفسر عن الأمر، قيل له أن الماء يجلب من « عين الشايع » القريبة من بيت الجسرة. وعلى الفور أمر الشيخ سلمان بحفر بئر إرتوازية قرب بيت الشيخ حمد، وهو ما تم تنفيذه بالفعل في غضون عشرين يوما.

وفي إحدى ليالى النصف الثاني من شهر اكتوبر من نفس العام، وفي ظل عبق الماضي، ووسط روائح العود الهندى والقهوة العربية والهيل، وحسب تقاليد التراث البحريني الأصيل في هذه المناسبات السعيدة، كان الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة في مقدمة مستقبلي المهنئين بزفاف نجله الشيخ سلمان على كريمة الشيخ حمد بن عبدالله آل خليفة. وأقيمت الولائم، وقام البدو من المرافقين للشيخ حمد بإطلاق النار من بنادقهم في الهواء إبتهاجاً بهذا القران الميمون.

وعاشت العائلة الكريمة في بيت الجسرة.

ولم تمض شهور قليلة على إحتفال البحرين بزفاف الشيخ سلمان، حتى دقت أبواب البلاد مناسبة سعيدة أخرى كان لها تأثيرها في نقل إقتصاديات البحرين قُدما إلى الأمام.

❖❖❖❖

ففي عام ١٩٣٢، تفجّر في البحرين أول بئر نفط في دول الخليج العربية جمعاء، ليعلن عن بدء إنتقال هذه المنطقة إلى عصر النفط الذي تحسبه، لفرط أهميته وحيويته، أنه يجري في العروق لا في الأنابيب ! ذلك لأن النفط أسهم في إرساء البنية الأساسية، وإقامة نهضة عمرانية و تنموية كبيرة في دول المنطقة خلال زمن قياسي... طرق وجسور ومستشفيات وقصور ومدارس ومصانع، وصحراء تتحول بقدرة المولى وعزم الإنسان إلى واحات خضراء. كما أسهم النفط في نقل إقتصاديات دول المنطقة إلى مصاف إقتصاديات الدول المتقدمة، بل والتفوق عليها أحياناً في مجال الخدمات العامة التي تُقدّم للمواطنين.

ولم تكن هذه هى كل الآثار المترتبة على إكتشاف النفط. فهناك أيضا تلك القيمة الإستراتيجية التي أضفاها على المنطقة، وجعل منها مركز إهتمام البعض

في رسم سياساتهم، ومحط أنظار - وربما أطماع - البعض الآخر في التخطيط لتحركاتهم !! وأشياء أخرى كثيرة... كثيرة، جاءت مع النفط وترتبت عليه، ونمت في ظل ما أتاحه من إمكانيات، مما يمكن تناوله في مجلدات ومجلدات.

❖❖❖❖

البئر رقم واحد

ومن الغريب أن واقعة اكتشاف وتفجر النفط في البحرين جاءت في صورة ترمز إلى قدَر وواقع البحرين « سبّاقة.. ولكن يتعين عليها مواجهة الصعب لبلوغ الأهداف المرجوّه !

فقد تفجر النفط في البحرين في الساعة السادسة من صبيحة الأ ول من شهر يونيو عام ١٩٣٢، من البئر الذي أطلق عليه فيما بعد « البئر رقم واحد ». غير أن الساعات التي سبقت هذه اللحظة التاريخية، كانت ثقيلة وصعبة إلى أبعد الحدود. ويقول السيد « شلو يلسن » في تقريره عن وضع العمليات لشركة التنقيب « ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا » أن ما سجله السيد « شميث » مشرف الوردية السابقة « أن البئر رقم ٤٥ قد إستمر حفرها إلى عمق ٢٠٠٣ أقدام، ولم تسفر إلا عن السجيل والحجر الجيري الرمادي الصلد. غير انه بعد ثماني ساعات صعبة عاش فيها مشاعر اليأس والإحباط، بدأ أثناء الحفر تدفق رأسين ارتفاعهما ٣٠ قدما، كانت مكوناتهما من الطين والماء... والنفط». ومن الطريف أنه عندما تفجر النفط في ذلك اليوم المشهود، إندفع بقوة من البئر المحفورة، وتلطخت به جميع الآلات والمعدات والرجال أيضا، حتى إ ختفت ملامحهم تماماً، إلى درجة أنه أصبح من المستحيل التمييز بين العمال، وكان منهم الأمريكي ومنهم البحريني.

وبعد ظهر ذلك اليوم التاريخي، سجل مشرف العمليات السيد « جاي ويليامز » أن البئر تدفق منها النفط لمدة ساعة وعشر دقائق، أنتجت خلالها نحو ٥٠٠ برميل من الزيت الخام، وأن النوبة العاملة أمضت وقتها في التنظيف حول برج الحفر، وتفريغ المنطقة المطمورة بالمضخات.

وفي يوم ٢٥ ديسمبر من العام ذاته تفجرت بئر النفط الثانية في البحرين.

❖❖❖❖

والواقع أن قصة التنقيب عن النفط في البحرين تعود إلى بداية العقد الثاني من القرن العشرين، عندما جرت العديد من المشاورات بين الشيخ عيسى بن علي

آل خليفة حاكم البحرين آنذاك مع الميجر آى. بي تريفر سي، المعتمد البريطاني في البحرين حيث تؤكد ذلك المذكرة التى أرسلها سموه إلى المعتمد البريطاني والتى جاء فيها « لقد استلمت كتابكم المكرم رقم ٥٣١ المؤرخ ١٨ جمادى الثاني ١٣٣٢ الموافق ١٤ مايو ١٩١٤ بخصوص موضوع إحتمال وجود نفط في البحرين. إنه كما أخبرت سعادتكم في كتابي المؤرخ في جمادى الثاني ١٣٣٢ اذا حان الوقت الذى يمكن الحصول فيه على النفط، فسوف أتشاور مع دار الإعتماد ». بعد ذلك ومع بداية العشرينيات من القرن الحالى، زار البلاد الميجر النيوزيلندي « فرانك هولمز » لدراسة طبيعة أرضها، والتحقق من وجود النفط فيها. وقام هولمز بحفر عدة آبار إرتوازية أمدّت المواطنين بالمياه العذبة، وبنت رصيدًا من المحبة لهذا الرجل في نفوسهم. وقدإتضح من التحاليل والتجارب التى أجراها هولمز، إمكانية وجود البترول في هذه المنطقة. فأجرى مفاوضات مع حكومة البحرين، وحصل على إمتياز التنقيب عن النفط لمدة عامين، إبتداء من ٢ ديسمبر عام ١٩٢٥ . ولكن الحكومة البريطانية رفضت هذا الإمتياز في العام التالي، وأحيل إلى شركة (جلف إيسترن).

وفي السابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٢٨، إشترت شركة (ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا - سوكال) إمتياز التنقيب عن النفط في البحرين من



المغفور له الشيخ حمد بن عيسى نائب حاكم البحرين مع بعض الشيوخ خلال زيارة لأحد مواقع حفر آبار النفط (١٩٣١)

الشركة السابقة. ومنذ ذلك اليوم، بدأ العمل بجدية أكثر وتخطيط أدق. فتأسست في كندا شركة نفط البحرين (بابكو) في ١١ يناير عام ١٩٢٩، كشركة فرعية مملوكة بالكامل من قبل شركة (ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا)، لكي تضفي على الشركة الصفة البريطانية، بمقتضى القانون الكندي.

وفي شهر أغسطس عام ١٩٣٠، وقّع المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، نائب الحاكم آنذاك، عقداً رسمياً بإمتياز التنقيب. ونصت بنود العقد على منح الشركة حق التنقيب عن النفط في منطقة مساحتها الإجمالية مائة هتكار تقريبا، على أن تقوم الشركة بدفع عشر روبيات (أقل من ثلاثة دولارات أمريكية) للحكومة، عن كل طن من النفط المستخرج.

وعلى الفور، بدأت الشركة عمليات المسح بصورة أكبر وأشمل. وفي أكتوبر عام ١٩٣٠، بدأ حفر أول بئر في المنطقة القريبة من جبل الدخان. وإزداد وصول الإمدادت والمعدات لعمليات الحفر إبتداءً من ١٦ أكتوبر عام ١٩٣١، وذلك بعد أن وصل إلى البلاد السيد « إدوارد سكينر » أول رئيس لشركة نفط البحرين « بابكو ».

❖❖❖❖



المغفور له الشيخ حمد بن عيسى نائب حاكم البحرين والسيد هولمز في زيارة لمواقع حفر آبار النفط (١٩٣٠)



الشيخ عيسى بن علي آل خليفة
حاكم البحرين (١٨٦٩ - ١٩٣٢)



حفل تتويج الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة (٩ فبراير ١٩٣٣)

وفي شتاء عام ١٩٣٢، إشتد المرض بسمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين (١٨٦٩ - ١٩٣٢) حيث كان قد بلغ حينها السادسة والتسعين، وتداعت صحته تحت وطأة المرض الذي لازمه طويلاً. وفي صباح يوم ٩ ديسمبر عام ١٩٣٢، فاضت روحه إلى بارئها، وتم بسرعة تبليغ إبنه الشيخ حمد الذي كان آنذاك في رحلة للصيد. وإثر الإنتهاء من فترة الحداد، تُوّج الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة بصورة رسمية حاكماً للبحرين، في إحتفال أقيم في إحدى المدارس في ٩ فبراير عام ١٩٣٣ .

وكان من أهم الإنجازات التى تمت في عهد الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة بعد إستخراج النفط، بناء مصفاة النفط، في مشروع تم إنجاز المرحلة الأولى منه في عام ١٩٣٧ . وقد جرت توسعة المشروع وتطويره فيما بعد، لإستيعاب النفط القادم من المملكة العربية السعودية عبر خطوط أنابيب يبلغ طولها ٢٥ ميلاً، ممتدة تحت البحر من مدينة الدمام إلى معمل التكرير في البحرين.

وفي يوم الثالث من يونيو عام ١٩٣٣، تلقى الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة البشارة بأنه رزق بمولود، أسماه « عيسى » تيمناً بإسم جده المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين الأسبق، والذي لم يكن قد مضى على وفاته سوى عدة شهور.

وكان لمناسبة هذا الميلاد الميمون وقع خاص. فقد عمّت الفرحة جميع أنحاء البحرين إبتهاجاً بقدوم المولود الجديد، الذي تعتز به البحرين كأمير لها حالياً. وزُفّت التهاني والتبريكات إلى العائلة الحاكمة. ومن الطريف أن الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين آنذاك تلقى في السابع عشر من يوليو من نفس العام برقية بهذه المناسبة من « رئيس الخليج » المعتمد البريطاني المقيم في مدينة بوشهر الإيرانية، يعبر فيها عن تهانيه نيابة عن الحكومة البريطانية. وبمنطق ذلك الزمان، كان وصول البرقية بعد شهر ونصف من إرسالها، أمراً عادياً وليس مستغرباً في شيء.

وترعرع الشيخ عيسى في ظل العائلة الكريمة في بيت الجسرة، وسط أشجار النخيل الذي تشتهر به المنطقة، نظراً لخصوبة أرضها ووفرة مياهها.

وفي حوالي الساعة الثالثة من صباح، يوم الاربعاء الموافق ٢٤ نوفمبر عام ١٩٣٥، بُشر الشيخ سلمان بميلاد إبنه الثاني « خليفة » وذلك حينما طرقت كريمة الشيخ حمد بن عبدالله آل خليفة، شقيقة حرم الشيخ سلمان بن حمد، باب الغرفة على سموه قائلة « أبشر بولد ياطويل العمر ». وعمّت الفرحة بيت الجسرة من جديد. وتلقت الأسرة المزيد من التهاني والتبريكات والدعوات الطيبة. وقد كان الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البلاد في ذلك الوقت، هو من حبذ وبارك تسمية المولود الجديد بإسم خليفة. وكان الشيخ سلمان يرغب في أن يطلق إسم أبيه « حمد » على المولود الجديد، تعبيراً عن الإعتزاز والتقدير اللذين كان يكنهما له. غير أن الشيخ حمد بارك إختيار إسم خليفة للمولود الجديد، تيمناً بإسم الأسرة.

وفى ظل فرحته الغامرة قام الأب الشيخ سلمان بعد سويعات قليلة من تلقيه البشرى بميلاد إبنه الثاني، بالإتصال بالسيد « تشارلز بلجريف » مستشار حكومة البحرين آنذاك في مكتبه. إلا أن الأخير لم يكن موجوداً في ذلك الوقت. وتلقى أحد مساعديه الإتصال الهاتفى من الشيخ سلمان. وكانت الرسالة التى تركها هذا المساعد للمستشار بلجريف تقول بالحرف الواحد (السيد المستشار ... إتصل سمو الشيخ سلمان بن حمد، حيث أخبرني أنه رزق صباح اليوم بمولود ذكر، وقال أنه (أى المولود) سوف يخدم بلاده باذن الله تعالى في المستقبل. كما طلب منى أن اخبر السيدة حرمكم بنبأ قدوم المولود الجديد). ولاحظ هنا إلى أى مدى كان اهتمام الشيخ سلمان بمسألة خدمة الوطن وتحقيق مصالحه وتقدمه. ولعل رؤيته لما يمكن أن يقوم به إبنه خليفة على هذا الدرب كانت بمثابة « أمنية » شاء المولى عز وجل أن تتحقق على أكمل وجه.

الشيخ حمد بن عيسى الخليفة المحترم .

جناب الامجد الافخم صاحب السمو الشيخ سلمان بن المعظم

بعد اهداء التحية ومزيد الاحترام .

يسرني جدا ان اسمع ان سموكم رزق ولدا في هذا الصباح فابارك لسموكم وارجو له ولوالدته صحة جيدة . هذا ما لزم وفي الختام تفضلو بقبول فائق الاحترام .

محبكم

[signature]

سي . دي . بلكريف

مستشار حكومة البحرين .

P.T.O

حرر في ٢٨ شعبان ١٣٥٤ .

ولم تكد تمض أيام قليلة على قدوم المولود الجديد، حتى جاءت بشارة أخرى حيث نال سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين تكريماً كبيرًا من الحكومة البريطانية التى منحته لقب « قائد شرف » الإمبراطورية الهندية التابعة لبريطانيا العظمى، ودعته لزيارة إنجلترا وتسلّم قلادة هذا اللقب من الملك إدوارد. وعاش الجميع في البحرين فرحة هذا التكريم الكبير.

وقد حمل ربيع عام ١٩٣٩ مناسبة سعيدة للبحرين، حين إستقبلت البلاد في الثاني من مايو جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية. وكان قد تم إعداد برنامج حافل لهذه الزيارة التاريخية. وقد وصل الملك إلى البحرين عن طريق البحر، على متن سفينة جديدة مملوكة للشيخ حمد بن عيسى. وكان موكب الضيف الكبير يضم أكثر من ٥٠ سيارة، تتقدمها شرطة الخيالة، فيما راح عدد من المواطنين المحتشدين للترحب بجلالته، يلقون عباءاتهم (بشوتهم) على الطريق، ليسير عليها موكب الملك، وذلك تعبيراً عن إعتزازهم بجلالته وترحيبهم به في رحاب البحرين.

وبعد نحو ستة أعوام رزق الشيخ سلمان بإبنه الثالث الذي أسماه محمداً. وقد أستمرت العائلة الكريمة في العيش في منطقة الجسرة، لكثرة الزراعة فيها ولوقوعها على شاطىء البحر. وكان بيت الجسرة يطل على الشاطىء الذي إعتاد الأخوان عيسى وخليفة اللعب صبيين صغيرين على رماله، وبين أشجار النخيل المنتشرة في المنطقة. وربما كان ذلك هو السبب في حبهما الشديد للزراعة والبحر.

وقد عاش أبناء الشيخ سلمان في الجسرة، بين حنان الأم ورعاية خالتهم التى كانت تسكن مع العائلة الكريمة في نفس البيت. وكانت محبتها للأولاد سبباً في إرتباط الصبيين الصغيرين عيسى وخليفة بها، حتى أنهما كانا يقضيان أوقاتاً طويلة معها. فقد كانت لهما بمثابة أم ثانية. ولذلك حزنا بالفعل عندما تزوجت هذه الخالة الحنون من عمهما الشيخ مبارك بن حمد آل خليفة، وإضطرت إلى مفارقتهما.

وحدث خلال هذه الفترة، أن إنتشر البعوض في البلاد بكثرة. ولأن منطقة الجسرة منطقة زراعية تكثر بها الجداول المائية، ونظراً لضعف الإمكانيات المتاحة آنذاك في مجال الوقاية الصحية، فقد كانت هجمة البعوض عليها أشد شراسة.

وقد كان الصبي الصغير خليفة في نحو الثالثة من العمر، حينما وقع فريسة الحمى... إرتفاع شديد في درجة الحرارة، ورعدة متواصلة طوال الليل تتركه في



جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وسمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين يستعرضان حرس الشرف (١٩٣٩)

النهار منهوك القوى، لتعاوده مرة أخرى بالليل. وقال الطبيب الذي فحصه « إنها على الأرجح الملاريا » ووصف له الدواء. لكن العلة استمرت، وتصاعدت حدة الحمى، وأصيب الصغير بهزال شديد. وبين لهفة الأم وقلق الأب الذي حاول قدر الإمكان أن يخفيه عن الناس، سعى البعض إلى إقناع الأسرة بتجربة بعض العلاجات الشعبية التى كان يعوّل عليها كثيراً في البحرين في تلك الأيام في مجال الطب والعلاج.

وكانت تجربة قاسية جداً على الطفل الصغير خليفة وعلى أهله أيضا، عندما حضرت سيدة من الرفاع الشرقي تدعى « طيبة » وقامت بكي الطفل في رأسه. وعندما علم الاب الشيخ سلمان بذلك ثار غضباً، وأكد رفضه التام لمثل هذه الأساليب من العلاج. ولما خشى بعض أفراد العائلة أن يعاقب الشيخ سلمان السيدة « طيبة » قاموا بإخفائها عدة أيام إلى أن هدأت ثورته. ولم تفد أساليب العلاج الشعبي بشيء ظاهر في علاج الطفل. وبدأ القلق يأخذ من الأهل مأخذاً، ولاسيما بعدما لوحظ إنتفاخ بطن الصغير المريض وخلوّ وجهه تماماً من حُمرة الصحة.

ومع مرور الأيام دون حدوث تحسن يُذكر في حالة الصبي، بدأ القلق والتكدر يظهران بوضوح على وجه الوالد الشيخ سلمان. فقد كان حبه لأبنائه

يتميز بكثير من مظاهر الحرص والخشية من أن يصيبهم مكروه. وربما كان سبب هذا القلق الزائد على الأولاد هو أنه لم يرزق بهم إلا بعد سنوات من زواجه. وقد تزوج ثلاث مرات حتى منّ الله عليه بأبنائه الذكور.

وفي أحد أيام هذه المحنة، تملّك اليأس من نفس الشيخ سلمان، بعدما إستمر المرض متمكناً من جسد الصغير طويلاً، وبعدما بات الظن واضحاً على وجوه الجميع بأن الطفل هالك لا محالة. فخرج الأب من الغرفة التى كان يرقد بها الصغير المريض، والألم يعتصر قلبه وهو يحاول التظاهر بمظهر الشدة والقوة، وقال لمن حوله « إذا مات الصغير، أخبروني على الفور !! »

ولكن عناية الرحمن شاءت أن يتشافى الصغير، وأن يبرأ من هذا المرض ويسترد عافيته، مما أعاد بسمة الرضا والسعادة للأهل ولجميع المحيطين. وخوفاً على أبنائه من هذه الهجمات الشرسة للبعوض، قرر الشيخ سلمان أن ينتقل إلى منطقة الصخير الصحراوية، والتى كانت قد شيدت بها بعض من قصور العائلة الحاكمة.

وفي هذه الأثناء، وعندما إنتشر مرض الملاريا على هذا النحو، تم جلب الميجور « أفريدي » - وهو خبير في مكافحة الملاريا كان يعمل في خدمة الحكومة الهندية - الذي أعد تقريراً شاملاً عن كيفية الحد من تفشي المرض وعن سبل القضاء عليه. (وقد أظهرت الإحصائيات التى قامت بإعدادها المستوصفات والشرطة والمدارس في البحرين عام ١٩٣٧، أن ٢٠٪ من سكان البحرين كانوا يصابون بالملاريا سنوياً. وقد أمكن تخفيض هذه النسبة إلى أقل من ١٪ إعتباراً من عام ١٩٥٦).

والواقع أن قلق الشيخ سلمان من مخاطر البعوض، وبخاصة على أبنائه، كان سابقاً لواقعة إصابة إبنه خليفة بمرض الملاريا، وبهذه الصورة التى هددت حياته. فقد كان الشيخ سلمان يحرص على أن يأخذ جميع أفراد عائلته في فترة الصيف إلى بيته بمنطقة الزراعة، الواقعة اليوم بين الجفير والعدلية. وكانت هذه المنطقة تضم بعض بيوت مملوكة لسموه ولعدد من أفراد العائلة. وكان مبعث حرصه الأول على قضاء شهور الصيف بها هو إبعاد أبنائه خلال هذه الفترة عن منطقة الجسرة التى كانت تشهد هجمة شرسة للبعوض في هذا الوقت من كل عام. غير أن اللعب في البستان والتسابق على أكل ثمار اللوز والرمان التى كان

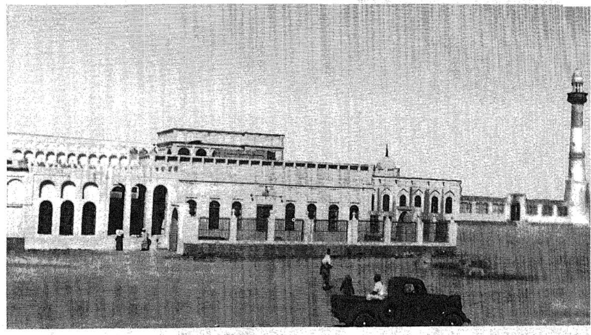
الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة
حاكم البحرين (١٩٣٢ - ١٩٤٢)



الصغيران عيسى وخليفة يحبانها كثيراً، فضلاً عن اللعب في المياه، كثيراً ما كانت تسبب للصغيرين الإصابة بنزلات البرد على النحو المعروف عن الأطفال في مثل هذه السن.

وقد جاءت واقعة إصابة الصبي الصغير خليفة بالملاريا، وما كتبه الله له من نجاة وشفاء تام، لتجعل الأب يعزم على مغادرة سكنى الجسرة إلى الصخير. وفي الصخير كان الشقيقان عيسى وخليفة يستمتعان باللعب في المنطقة الصحراوية المحيطة وبجمع الفقع. وكان الأخ الأكبر عيسى يحب الصيد وتعلم القنص وممارسته، بينما كان خليفة يفضل ركوب الخيل. وفي الفترة التى أمضتها في الصخير، كانت العائلة تسكن في منزل يدعى « بيت الوجبة ». وكان هذا المنزل مبنياً على أحد المرتفعات، بينما كان مجلس الشيخ سلمان مبنياً على مرتفع آخر. وفي حالة هطول المطر، كان يصعب على الشقيقين عبور المنخفض الذى كان يفصل بين البيت والمجلس، بسبب تجمع مياه المطر فيه.

وفي إحدى الليالي، أثناء فترة الإقامة في الصخير، فزعت الخالة التى كانت نادراً ما تفارق أبناء الشيخ سلمان، وهى تلمح عقرباً أسود - وهو نوع من العقارب كان منتشراً بكثرة في منطقة الصخير - يقترب من الصبي الصغير خليفة وهو نائم. ولم يكن الصغير قد جاوز من العمر ست سنوات. وبشجاعة وسرعة، ووسط خوف الجميع، إستطاعت الخالة الحنون أن تقضي على العقرب قبل أن يصيب الصبي خليفة بأي أذى.



قصر الصخير

ولم تكن وجبات الطعام المفضلة لدى الشقيقين مختلفة عن المعتاد بالنسبة للاطفال في مثل عمريهما. فقد كانا يحبان أكل البقصم مع الحليب في الصباح، والمجبوس على سمك في الغداء (وهو من أشهر الوجبات البحرينية)، وفي العشاء كثيراً ما كان الشقيقان عيسى وخليفة يفضلان أكل الربيان مع الماش.

وفى ٧ فبراير عام ١٩٤٠، وبمناسبة العيد السابع لجلوس الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، عرفت البحرين ولأول مرة نظام الأوسمة (وسام آل خليفة)، حيث أصدر الشيخ حمد بن عيسى مرسوماً لتكريم الأمراء والشخصيات التى قدمت خدمات متميزة للبلاد. وقد حدد المرسوم ثلاث درجات لهذا الوسام، الأولى وهى نجمة الوسام تُلبس على الجانب الأيسر من الصدر مع قلادة الوسام حول الرقبة. والثانية هي القلادة فقط، والثالثة ميدالية الوسام.

وفي ليلة السبت ١٩ أكتوبر عام ١٩٤٠ الموافق ١٧ رمضان ١٣٥٩ هجرية، تعرضت البلاد لإحدى غارات الحرب العالمية الثانية، حيث ألقى سرب من القاذفات الإيطالية أكثر من ٤٠ قنبلة صغيرة بهدف تدمير المنشآت النفطية في البحرين. إلا أن الطائرات فشلت في إصابة الهدف. وإثر الغارة الايطالية، فرضت الحكومة نظام إطفاء الأنوار والتعتيم الليلي. غير أن هذه التوجيهات لم تجد قبولاً لدى كثير من السكان الذين لم يتفهموا أسبابها، أو يجدوا ضرورة لها.

وكان من الأمور التي شغلت بال الشيخ حمد بن عيسى خلال هذه المرحلة، تسمية ولي العهد. وبعد فترة طويلة من التفكير قرر سموه أن يعين خليفتة بكتابة وثيقة سرية لايتم فتحها إلا بعد وفاته. وقد لجأ الشيخ حمد إلى هذه الطريقة بدلاً من الإفصاح العلني عن إسم ولي العهد، حيث كان يخشى من حدوث جدل حول هذا الموضوع داخل العائلة الحاكمة. وكان أربعة أشخاص فقط على علم بقرار الشيخ حمد، وهم مستشار الحكومة « تشارلز بلجريف » والمعتمد السياسي البريطاني « هوج ويتمان » وسكرتير الشيخ حمد، وسكرتير المستشار الذي قام بطباعة الوثيقة. وشهد على هذه الوثيقة قاضي المحكمة السنية الشيخ عبداللطيف آل سعد وقاضي المحكمة الشيعية الشيخ عبدالحسين الحلي. وقد ظل هذا الأمر طيّ الكتمان حتى يوم وفاة الشيخ حمد في ٢٠ فبراير ١٩٤٢ . وحتى هذا الوقت، لم يكن الشيخ سلمان بن حمد قد أُبلغ بإختياره ولياً للعهد، على الرغم من أن والده كان قد إتخذ هذا القرار بالفعل في فبراير عام ١٩٤٠ .

ولم يكن عمر الشيخ عيسى والشيخ خليفة قد تجاوز التاسعة والسابعة على التوالي، حين قررت العائلة الإنتقال من الصخير إلى منطقة الرفاع الغربي حيث لاتزال تسكن غالبية العائلة الحاكمة.

ولفترة طويلة، بعد تشافي الصبي الصغير خليفة من الملاريا، ظل الأب قلقاً من خطر أن تعاوده الحمى. إلا أن الصبي الصغير الذى لم يكن بعد قد جاوز السابعة من عمره، عرّض نفسه لخطر داهم آخر. ومرة أخرى، شاءت عناية المولى أن تحفظه وترعاه.

فقد كان من عادة الشيخ سلمان أن يصطحب أولاده بين الحين والآخر لقضاء يومين أو ثلاثة في جزيرة أم النعسان. كانت الجزيرة مليئة بالبساتين الجملية، وقطعان الوعول السود التى جلبت من الهند، والغزلان العربية الأصيلة التى كانت تتجول بحرية قرب زوار الجزيرة، دون أن يفزعها وجودهم. كما كانت العيون الطبيعية في الجزيرة سبباً في إضفاء الخضرة والجمال على طبيعتها الخلابة. لذلك كانت هذه الجزيرة المكان المفضل الذى يجد فيه الشيخ سلمان الراحة والإستجمام.

وفي إحدى المرات التى إصطحب فيها الشيخ سلمان أنجاله إلى جزيرة أم النعسان، إذا بإبنه خليفة يجري ويلقي بنفسه في أحد أحواض السباحة بالبستان الذى نزلت به الأسرة. ولحسن الحظ كان بعض المرافقين قريبين من هذا الحوض، فسارعوا لنجدة الطفل الذى لم يكن قد تعلم السباحة بعد. وبعد جهد كبير، تمكن أحد المرافقين، ويدعى خليفة القعود، من إنتشاله من الحوض، وهو في حالة سيئة نتيجة لإبتلاعه كمية كبيرة من الماء. وقد أجريت له الإسعافات اللازمة على الفور. ومرة أخرى، كتب الله له النجاة.

ومن الغريب أن الصبي الصغير خليفة ، بعد أن إسترد أنفاسه واستجمع قوته، طلب بإصرار أن يتعلم السباحة. ولم يبدِ خوفاً عندما عاد مرة أخرى للمياه، وبقربه أكثر من مرافق لتعليمه أصول هذه الرياضة.




مجالسنا مدارسنا

الفصل الثاني

مجالسنا مدارسنا

لم تدم طويلاً فترات اللعب واللهو التي كان الشيخ سلمان يسمح بها لولديه الصغيرين. فقد كان الصبي خليفة بين السادسة والسابعة من العمر، عندما إستدعاه والده ليبلغه مع أخيه أنهما، من ذلك اليوم فصاعداً، سوف ينتظمان في حضور مجلس سموه. وكانا كثيراً ما دخلا هذا المجلس من قبل كطفلين صغيرين، يحاطان بتدليل من هذا الضيف أو ذاك. ولكن الوالد في هذه المرة أبلغهما أن حضورهما سيكون للتعلم، مؤكداً قولته المشهورة « مجالسنا مدارسنا ».

وكانت تعليمات الوالد حازمة، تشمل كافة آداب السلوك وحسن الخلق. فالطفل يجب أن يجلس في المجلس ساكناً، ينتفض واقفاً كلما همّ كبير المجلس بالوقوف، ولا يجلس حتى يجلس، ويهرع لتقديم التحية للضيوف والترحيب بهم، ويصغي جيداً لكل ما يقال في الجلسة حتى لوكان حديثا معاداً، ولا يتكلم إلا إذا طُلب منه الكلام، وإذا تكلم عليه أن يغلّف كلامه بعبارات الإحترام والتقدير للمخاطب، إلى غير ذلك من التعليمات التي تشكل أسس التربية السليمة والنشأة الصالحة.

وقد رافقت هذه الوصايا الأبوية، بما تنطوي عليه من حكمة، الشيخ خليفة بن سلمان وإستقرت في وجدانه حتى اليوم. ويقول الأستاذ محمد ابراهيم المطوع - الذي رافق الشيخ خليفة وعمل في ظله لأكثر من عشرين عاما، مديراً عاماً لمكتبه، ثم وزيراً للدولة لشئون مجلس الوزراء، ثم أخيرا وزيراً لشئون مجلس الوزراء والإعلام - إن سموه مازال يحرص على الإستماع والإنصات الكامل لمحدّثيه، حتى وإن كان المتحدث يكرر قصة سمعها سموه من قبل مرات ومرات. ويؤكد الشيخ خليفة نفسه أن هذه العادة أفادته كثيراً، لاسيما عندما يتعلق الأمر ببلورة موضوع ما والوصول إلى رأي بصدده، مما يستوجب على الحاكم أو المسئول ضرورة الإلمام بكافة جوانبه، وبمختلف النقاط ذات الصلة به، مهما كانت صغيرة أو مكررة. أضف

إلى ذلك، إيمان سموه المطلق بحق كل مواطن في أن يسمعه الحاكم أو المسئول، وفي أن يصل رأي المواطن، أى مواطن، إلى الحاكم، وأن يهتم الحاكم بآراء المواطنين، لأن ذلك من شأنه أن يعينه على تصريف أمور الحكم بشكل أكثر وعياً بحقائق الأمور .

وقد دأب الشيخ سلمان على أن يستدعي أبناءه في أعقاب إنتهاء المجلس، أو في اليوم التالي، ليسأل كلاً منهما عما فهمه وإستوعبه مما دار في المجلس من موضوعات ومناقشات.

وفي البداية كانت الموضوعات التي تدور في مجلس الجد الشيخ حمد أو مجلس الوالد الشيخ سلمان، أعقد من أن يلم بها إدراك الصبي الصغير خليفة. لكن الإصرار على الفهم، والإستفسار عما غمض من موضوعات ساعد تدريجياً على تقريب المسافات، وجعل الصورة تزداد وضوحا بمرور الوقت. وكانت موضوعات تلك المرحلة تتناول مخاوف الناس من التجنيد الإجباري، عقب الإحصاء السكاني الذي أجري في البلاد، كما كانت أحاديثهم تعبر عن الفرحة العارمة بإقامة جسر الشيخ حمد الذي يربط بين المنامة والمحرق، وأيضاً عن تدهور اسعار اللؤلؤ.



الشقيقان الشيخ عيسى والشيخ خليفة في جولة بمنشآت شركة نفط البحرين المحدودة بابكو (يناير ١٩٥٤)



الشقيقان الشيخ عيسى والشيخ خليفة في جولة بمنشآت شركة نفط البحرين المحدودة بابكو (يناير ١٩٥٤)



وكانت البحرين قد سجلت مع بداية عام ١٩٤١، سابقة خليجية أخرى، بعد أن قامت بإجراء أول تعداد للسكان، حيث كانت الأولى في هذا الأمر خليجياً والرابعة عربياً، بعد مصر وسوريا والعراق. وكان أن أعلنت الحكومة رغبتها في القيام بإحصاء عام للسكان. إلا أن المواطنين تلقوا الإعلان بالشك والريبة. فقد تزامن هذا الاعلان مع تطورات الحرب العالمية الثانية التي كانت في أوجها آنذاك. وكثرت الشائعات بأن الهدف الرئيسي من وراء الإحصاء هو التجنيد الإجباري، وأن الحكومة تنوي فرض ضرائب على السكان، وغير ذلك من المخاوف التي كان المواطنون يعبرون عنها صراحة في مجلس الحاكم. وقد أجُري التعداد في ٢٢ يناير عام ١٩٤١، حيث طُلب من الناس ملازمة البيوت من الساعة الثامنة مساءً وحتى منتصف الليل. كذلك صدرت الأوامر بإغلاق دور السينما والمقاهي وجميع المحافل العامة، وبمنع سيارات الأجرة من العمل أثناء ساعات الإحصاء. وقد بلغ تعداد سكان البحرين في ذلك التاريخ ٨٩٩٧٠ نسمة، منهم ٧٤٠٤٠ بحرينيون و ١٥٩٣٠ غير بحرينيين.

ولم تكن إهتمامات الجد الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة تنحصر في ضرب واحد بعينه من ضروب الحياة. بل تعددت إهتماماته وطموحاته التى إستهدفت دائما تقدم البحرين ورخاء شعبها. وقد عُرف عنه في الأوساط الشعبية أنه كان لايألو جهداً في تحسين الأحوال المعيشية لمواطنيه. وسعياً من جانبه لإزالة أسباب شكوى المواطنين من صعوبة التنقل بين المحرق والمنامة، أمر بتشييد جسر يربط بين الجزيرة والمدينة. وكان الأهالي يستخدمون السفن الصغيرة (العبّارات) في تنقلاتهم بين الجانبين. وكانت عملية التنقل تزداد صعوبة عندما تكون الظروف الجوية سيئة. وفي يوم ١٨ ديسمبر عام ١٩٤١ إفتتح الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين (١٩٣٢ -١٩٤٢) جسر المنامة - المحرق، والجدير بالذكر ان سمو الشيخ سلمان بن حمد حاكم البلاد،كان هو الذي اصدر في ٣١ أغسطس ١٩٤٢ إعلانًا يأمر فيه بأن يسمى الجسر « جسر الشيخ حمد » وذلك تخليداً لذكر الراحل الذى أنُشئ الجسر في عهده. وكان حضور الشيخ حمد حفل إفتتاح هذا الجسر آخر مناسبة رسمية يشارك فيها، حيث أصيب بأزمة قلبية في فبراير عام ١٩٤٢ لم تمهله طويلاً.

وقد واجه الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة صعوبات كبيرة في بداية فترة حكمه للبحرين. فقد كانت البلاد تمر بفترة كساد إقتصادي، تسببت فيه عوامل عديدة من أهمها التدهور الكبير في أسعار اللؤلؤ الطبيعي الذي واجه منافسة شرسة من جانب اللؤلؤ الصناعى الذي بدأت تنتجه اليابان. كما أن ظروف الحرب

العالمية صعّبت من عمليات تصدير اللؤلؤ الطبيعي، مما حرم البلاد من العائدات المالية، وبالتالى من الحصول على كفايتها من المواد الإستهلاكية الأساسية.

❖❖❖❖

وتواصلت مراحل التعليم الأولي للصبي الصغير خليفة بن سلمان، ليقترن حضور المجالس بالإنتظام في تلقي العلوم الدراسية. ومن منطلق حرص الوالد الشيخ سلمان على تهيئة أبنائه منذ نعومة أظفارهم، وإعدادهم الإعداد اللائق لتحمل المسئولية، بدأ بتوجيههم إلى دراسة القرآن الكريم على يد واحد من كبار مشايخ منطقة سترة الواقعة على الساحل الشرقي من البحرين، وهو الشيخ « ابن حبيل » الذي كان ذائع الصيت فى تلك الأيام. وكان الشيخ ابن حبيل بالفعل مقصد الجميع في البحرين على إختلاف مشاربهم. وقد أدى المهمة على أكمل وجه.

ثم كلف الشيخ سلمان نخبة من أفضل الأساتذة في ذلك الوقت لتعليم أبنائه اللغة العربية والعلوم والحساب واللغة الانجليزية. وقد ضمت هذه النخبة الأستاذ أحمد العمران الذي تولى في مرحلة تالية الإشراف على مجموعة معلمي



سمو الشيخ خليفة في حديث ودى مع بعض الضيوف في قصر الرفاع (١٩٥٤)



الشقيقان الشيخ عيسى والشيخ خليفة نجلا الشيخ سلمان

الأشقاء الشيخ عيسى والشيخ خليفة والشيخ محمد



أبناء الشيخ سلمان، والتي كانت تضم كذلك الأستاذ أمين حافظ، وهو من أبناء مصر الذين قدموا إلى البحرين وأحبوها وعملوا فيها طويلاً، والأستاذ ميرزا عبدعلي محمد الخزاعي وغيرهما. وقد أصبح الأستاذ أحمد العمران فيما بعد وزيراً للتربية والتعليم، ثم مستشاراً لسمو الأمير المفدى.

ويتذكر الشيخ خليفة بن سلمان أنه عندما بدأ يتعلم القراءة والكتابة على يد الأساتذة الذين كلفهم والده بذلك، ناداه الوالد ذات يوم، بينما كان يلعب مع أخيه الأكبر الشيخ عيسى في فناء البيت. وسأله الوالد « هل تعلمت الكتابة ياخليفة ؟ » فرد الصبي الصغير في حماسة وفخر « نعم طال عمرك ». فطلب الوالد منه أن يكتب إسمه. فأمسك الإبن بورقة كانت على مقربة منه، وكتب عليها: الشيخ خليفة بن الشيخ سلمان بن الشيخ حمد آل خليفة، وسلم الورقة لأبيه وهو يقرأها عليه. فنظر الأب إلى إبنه نظرة ملؤها مزيج من الحنان والرضا بنجابة الإبن، ومن الحزم وغضب المعلم والمربي في آن واحد، وقال لإبنه « حقيقة أن لقب الشيخ من حقك، ولكنك مازلت صغيراً. وهذا اللقب ينبغي أن تلقب به بعد أن تخدم وطنك وتهتم بأحوال مواطنيك. حينها ستكون جديراً باللقب، ويكون اللقب جديراً بك ».

وقد أحدثت كلمات الوالد الأثر الذي كان ينشده في نفس إبنه. واستقر الموقف، بكل ما حواه من دلالات ومعان، في وجدان الأبن الذي بدأ منذ تلك اللحظة يدرك ما سيلقى على عاتقه من مسئولية، وما سيكون عليه أن يحمله من أمانة. « لم أنس أبداً هذا الموقف من سمو الوالد رحمه الله. فقد كان حرصه كبيراً على توجيهنا منذ الصغر، لنكون قريبين من نفوس مواطنينا، للإطلاع على أحوالهم وتيسير ما صعب من أمورهم، مهما إختلفت مراكزهم الإجتماعية أو فئاتهم ». هكذا يتذكر سموه الآن ذلك الموقف الذي لم يغب عن وجدانه منذ الصبا.

وبالفعل، إستوعب الإبن الدرس، وفهم جوهر الرسالة، وأدرك منذ ذلك اليوم أنه كي يكون أهلاً لما ينتظره من مسئوليات جسام، لابد له أن يتعلم، جيداً وسريعاً، وأن يلم بما يدور حوله من أحداث، وألا تقتصر نظرته إلى الأمور على ظواهرها، بل عليه الإلمام بكافة جوانبها وأبعادها.

ويتذكر الأستاذ ميرزا الخزاعي، الذي تولى تدريس الشيخ خليفة جميع المواد التى كانت مقررة على الطلاب من قبل مديرية المعارف في بداية الأربعينيات، من لغة عربية ورياضيات وجغرافيا وعلوم... « أن الشيخ خليفة كان

يتسم دوما برغبة شديدة في معرفة المزيد، ويحرص على أن يسأل في أدب جم عن أشياء تتصل بموضوع الدرس، حتى وإن لم تكن من بين ما هو مقرر على الطلاب في نفس مستواه الدراسي ».

وقد إستمرت هذه السمة مع الشيخ خليفة إلى اليوم. ويؤكد الأستاذ محمد إبراهيم المطوع « أن من مقضيات العمل مع سموه، الإلمام الكامل ما أمكن بكافة جوانب الموضوع محل البحث أو النقاش. فالمسئول الذي يدخل على سموه مكتبه لعرض موضوع ما، لابد أن يتوقع من سموه أسئلة وإستفسارات عن جوانب عديدة للموضوع، وذلك من منطلق حرص سموه الدائم على أن يكون إتخاذ القرار بشأن أى موضوع قائماً على أساس الإلمام الجيد بكافة أبعاده وجوانبه ».

ولعدة سنوات، إستمرت فترة تعليم إبني الشيخ سلمان في قصر والدهما، قبل أن يلتحقا بمدرسة الرفاع لتلقي التعليم النظامي.

ويتذكر الأستاذ ميرزا أن « الأستاذ أحمد العمران مدير المعارف في أوائل الأربعينات إستدعاني وأخبرني بأنه قد رشحني لتدريس نجلَي الشيخ سلمان. وكان عمر الشيخ عيسى حينئذ حوالي العشر سنوات والشيخ خليفة حوالي سبع سنوات ونصف ». ويضيف « إن الشيخ إبراهيم بن حمد بن عبدالله بن إبراهيم آل خليفة إنتظم أيضاً مع إبنَي الشيخ سلمان في تلقي الدروس ».

وقد خصص الشيخ سلمان إحدى الغرف في بيت الضيافة القريب من قصر الرفاع، لتكون فصلاً دراسياً. وكان نجلاه يواظبان على الدراسة في الفترة الصباحية التى تستمر من خمس إلى ست ساعات في اليوم، فيما عدا الأيام التى كان يأمر الشيخ سلمان بأن يكون نجلاه برفقته في مهام رسمية أو مناسبات عامة، أو في الفترة التي كانا يستأذنان فيها والدهما للذهاب في رحلات القنص.

ويؤكد الأستاذ ميرزا ان نجلَي الشيخ سلمان كانا متواضعين وملتزمين إلى أبعد درجة، وكانا لا يُشعران معلميهما بأنهما إبنَي الحاكم مطلقاً. كما أن متابعة الشيخ سلمان بن حمد المستمرة للمستوى الدراسي لإبنيه، وتشديده على مضاعفة جهودهما، كانت تلزمهما بمزيد من الدأب على التحصيل الدراسي. ويضيف الأستاذ الذي يعتز بأنه شارك في تعليم سموهما « كانت اللغة الإنجليزية والرياضيات أحب المواد العلمية لنفس الشيخ خليفة بن سلمان ». ولم تنقطع العلاقة بين الشيخ خليفة وبين أساتذته بإنتهاء مهامهم. ويقول الأستاذ



الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة
حاكم البحرين (١٩٤٢ - ١٩٦١)

الخزاعي في هذا الصدد « كان سموه يشجعني دائماً على زيارته. فكنت أزور سموه في مجلسه في الرفاع الغربي، بالإضافة إلى أنني كنت أحضر بعض اللقاءات التى كان يشرف سموه عليها عندما كان رئيسا لمجلس المعارف، وكنت حينها مديراً لإحدى المدارس ».

ويستمر الأستاذ الخزاعي في حديثه « بعد سنين طويلة من الخدمة في المجال التربوي، شعرت بإرهاق، مما إضطرني إلى الإستقالة. وعندما علم سمو الشيخ خليفة بهذا، أرسل سموه في طلبي، وسألني عن أسباب إستقالتي، فأجبت سموه بأنه الإرهاق. وهنا أمر سموه بأن تكون لي وظيفة مناسبة في ديوان الموظفين، حيث تم إعداد مكتب خاص لي. وعملت لفترة في ديوان الموظفين، بعدها تقاعدت عن العمل بسبب الظروف الصحية. وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ سمو الأمير المفدى وسمو رئيس الوزراء، لما يحرصان عليه من متابعة أحوالي الصحية وعلاجي ».

وقد إستمرت مرحلة إنتظام الشيخ خليفة في التعليم بالبحرين حتى النصف الثاني من الخمسينيات، عندما ابتعث سموه للدراسة في بريطانيا على فترات متقطعة، خلال الفترة مابين عامى ١٩٥٦ و ١٩٥٩ .







الخطوة الأولى

الفصل الثالث

الخطوة الأولى[1]

بمرور الأيام إشتد عود الصبي صلابة، وزاد وجدانه وعياً ونضجاً. وقد ساعد على ذلك أن هذه المرحلة من عمر الشيخ خليفة صادفت فترة من تاريخ البحرين مثقلة بالتفاعل مع أحداث ومستجدات داخلية وخارجية، فضلا عن مواجهة عدد ليس قليلاً من المشكلات الإقتصادية والإجتماعية.

وبحكم ماترتب على تفاعلات تلك المرحلة من أحداث وتطورات، كان مجلس الحاكم المغفور له الشيخ سلمان يعج دوماً بالزائرين القادمين لعرض موضوعات وقضايا على سموه، ومناقشة سبل تناولها والتعامل معها لما فيه خير البلد والمجتمع. كما بدأت البلاد في هذه المرحلة تشهد إنفتاحاً غير مسبوق على العالم الخارجي، وبدأ معدل توافد وزيارات الوفود الرسمية للبلاد يزداد بشكل ملحوظ.

وإضافة إلى الحرص الدائم من جانب الوالد، تولّد خلال هذه المرحلة حرص شخصي من جانب الإبن الشيخ خليفة على المواظبة في حضور هذا المجلس، الذي إتسم مناخه دائماً بحرية الرأي والصراحة والوضوح إلى أبعد الحدود. فقد كان الشيخ سلمان يحرص على أن يستمع إلى أى رأي، مهما تضمن من إنتقاد أو إختلاف في الفكر والتوجه، الأمر الذي ساعد في إشباع ظمأ الشيخ خليفة إلى معرفة دقائق الأمور وكيفية التعامل مع جوانبها العديدة والمختلفة. وقد أسهم ذلك إلى حد بعيد في صقل شخصيته السياسية في سن مبكرة.

وفي هذا الشأن، يروي السيد علي بن يوسف فخرو رئيس غرفة تجارة وصناعة البحرين، الذي كان قريباً من الشيخ خليفة في هذه المرحلة، أنه عندما كان صغيراً كان هو وأصدقاؤه يتجنبون إقتراف أي سوء أو خطأ، تطلعاً لكسب ثقة الشيخ سلمان بن حمد، وتفادياً لأي عتاب أبوي من سموه. فقد كان سموه

رحمه الله يعامل جميع أبناء البلاد كأبنائه تماماً. ويضيف السيد علي فخرو بأنه كان من عادة الشيخ سلمان أن يسأل أبناءه عما دار من حديث أثناء تواجدهم في مجلس سموه، حتى يتأكد من إصغائهم وإهتمامهم وإستيعابهم للدروس والعبر المستفادة من الأحاديث التي كانت تدور في المجلس، وإطّلاعهم على مجريات الأمور في داخل البلاد وخارجها.

ولم تكن مشاركة أبناء الشيخ سلمان مقصورة على حضور مجلس سموه فقط، بل كان رحمه الله يحرص وبشكل مستمر على أن يرافقه الأبناء في تفقده لسير أمور البلاد، من خلال زياراته شبه اليومية إلى بلديتي المنامة والمحرق، اللتين كانتا تشكلان في ذلك الوقت سلطة ذات ثقل كبير في الدولة.

وقد عُرف عن الشيخ سلمان ما كان يحرص عليه بين الحين والآخر من إختبار أبنائه في العديد من الأمور والمواقف والمجالات، الصغيرة منها والكبيرة، وذلك إنطلاقاً من رغبته في أن يرى الأسلوب الذي يتّبعونه في مواجهة المواقف، وليوجههم إذا لزم الأمر، ولينمي فيهم الإعتماد على النفس وحسن إتخاذ القرار منذ الصغر. فكان سموه يوكل لكل منهم بعض المهام الخاصة والرسمية، ويقوم بمتابعتهم ومراقبتهم عن كثب في كيفية تنفيذ وتصريف هذه المهام، والمبادرة بتقديم النصح والإرشاد في الوقت المناسب.

وفي وسط هذا الجو المفعم بالتربية الجادة إستعداداً لتحمل مسئوليات دور متعاظم، كانت البلاد برمّتها على أعتاب نهضة جديدة وتحّول إجتماعي واقتصادي جديد، كان له أثر فعال في تشكيل وجدان الفتى النابه خليفة بن سلمان، وتكوين اللبنات الأساسية لوعيه السياسي وفهمه للأسس والركائز التى يقوم عليها مجتمع بلاده، إجتماعياً وسياسياً وإقتصادياً.

ونتيجة للحركة التجارية النشطة التي بدأت تشهدها البلاد، وخصوصا بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام ١٩٤٥، أدرك التجار في البحرين أنهم يواجهون في تلك الفترة معطيات جديدة وتحدياً من نوع جديد، وأن تطوير الأداة التي تُبلور وتنسق أمورهم ومصالحهم أصبح أمراً ملحاً. وبناءً على ذلك، إقترح بعض التجار من غير أعضاء (جمعية التجار العموميين) تطوير هذه الجمعية التي أُسست عام ١٩٣٩ وتحويلها إلى غرفة تجارية (١). وقد لاقت هذه الفكرة القبول والإستحسان من عدد كبير من المعنيين بالأمر، كما وجدت صدى واسعاً في أوساط تجار البحرين. لذلك تم عقد إجتماع مشترك حضره تجار من

الأعضاء وغير الأعضاء، حيث قرر الطرفان التقدم بطلب رسمي إلى مستشار حكومة البحرين، لتطوير الجمعية إلى (غرفة تجارة البحرين).

وعلى ضوء ذلك تم إنتخاب ممثلين عن التجار للجنة المؤقتة للبحث في القوانيين والأنظمة، وهم السيد خليل ابرهيم كانو والسيد كالومال والبداس والسيد اشرف محمدي والسيد أحمد فخرو والسيد حسين يتيم والسيد أحمد كانو والسيد ميكل والسيد عبدالرحمن محمد طاهر خنجي والسيد محمد الحسن والسيد عبدالرحمن المؤيد.

وكان من الأمور التي أعطت قوة لدور الغرفة التجارية هذه، أن قررت المملكة العربية السعودية عدم قبول أية بضائع تصل من البحرين إلى ميناء الخُبر السعودي، ما لم تحصل على تصديق من الغرفة المعنية، للتأكد من صحة أسعار تلك البضائع. فقد جاء هذه القرار في صالح توسيع نطاق عضوية الغرفة، الأمر الذي دفع كثيراً من التجار الذين لم يكونوا قد إشتركوا في عضوية الغرفة للمبادرة إلى الإنضمام إليها. وقد أدى ذلك إلى مضاعفة عدد الأعضاء، وإزدياد القوة المعنوية والمادية لغرفة تجارة البحرين.

وكان هذا التطور التنظيمي على الصعيد التجاري مَعلماً من معالم صحوة البحرين المبكرة على المستوى الإقليمي. وهو الأمر الذي إنعكس على مختلف الأصعدة الأخرى. وقد أسهم ذلك في بروز العديد من المعالم الاخرى لهذه الصحوة المبكرة. ومن أمثلة ذلك، التعداد الأول للسكان، الذي جاءت نتائجه لتلبي - ولو بشكل متواضع - كثيراً من الإحتياجات الضرورية لتنفيذ العديد من البرامج. وقد شجع ذلك الحكومة على إجراء التعداد السكاني الثاني. وكان ذلك في الثالث من مارس عام ١٩٥٠ . وقد إسُتخدمت فيه ذات الطريقة التى إسُتخدمت في التعداد الأول. وشارك في هذا التعداد ما يقارب من ١٥٠ كاتباً ومستخدماً من مختلف دوائر الحكومة. وقد بلغ تعداد السكان في ذلك العام ١٠٩٦٥٠ نسمة، منهم ٩١١٧٩ بحرينياً، و ١٨٤٧١ من غير البحرينيين.

❖❖❖❖

وقد برزت خلال هذه الفترة حاجة البحرين إلى بناء علاقات أرسخ مع الدول الشقيقة والصديقة، وذلك بهدف دعم الصحوة الوليدة وتحقيق التطور المنشود. ويتذكر الشيخ خليفة بن سلمان أنه كان دون الخامسة عشرة من العمر، عندما شهدت البلاد خطوة قوية على هذا الدرب تستحق أن نذكرها بكل الإعتزاز الوطني. وقد جاءت هذه الخطوة في مارس عام ١٩٥٠، عندما أسست شركة طيران الخليج

برأس مال قدره ٣٠٠,٠٠٠ روبية (٣٠ ألف دينار)، وقام بتأسيسها السيد « فريدريك بوزورث ». وترأس أول مجلس إدارة لها مستشار حكومة البحرين السيد « تشارلز بلجريف ١٩٢٧ - ١٩٥٧ ». وكان السيد « بوزورث » هو المدير والطيار الأول للشركة في مستهل تأسيسها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الشركة بدأت أعمالها بتسيير طائرتين كانت تمتلكهما في ذلك الوقت، بين البحرين وقطر وبين إمارة الشارقة والظهران بالمملكة العربية السعودية. وكان ذلك في إبريل من العام نفسه. ويشاء القدر أن يلقى السيد « بوزورث » حتفه أثناء سفره بطائرته إلى إنجلترا لعمل صيانة دورية لها، حيث سقطت الطائرة وتحطمت. وبموته وقعت الشركة في مأزق حرج، إذ فقدت أحد مؤسسيها والمحرك الرئيسى لها، وواجهت صعوبات جمة حتّمت عليها طلب العون من شركة الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار.

وهكذا تشاركت الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار مع شركة طيران الخليج في أكتوبر عام ١٩٥١، وأشترت بعض أسهمها. وفي نوفمير من نفس العام تم إنتقال رئاسة الشركة إلى السيد « ج. ب. جبسون » الذي كان موظفاً سابقاً في شركة نفط البحرين المحدودة، وتشكل مجلس إدارة جديد مكون من السيد محمد كانو والسيد حسين يتيم والسيد خليفة القصيبي. وهكذا تغلبت الشركة على الأزمة وأخذت تسير بخطى ثابتة نحو الإستقرار.

❖❖❖❖

وقد شهدت هذه المرحلة تحقق أمنية ظل الشيخ خليفة لسنوات يتمنى أن يتيح له الوالد الشيخ سلمان فرصة تحقيقها. ففى الأول من سبتمبر عام ١٩٥٤، بدأ الشيخ خليفة بن سلمان يخطو أول خطوة على طريق خدمة وطنه، وذلك من خلال القيام بمهمة، كانت على بساطتها نقطة انطلاق نحو مستقبل مليء بالإنجازات العظيمة والمتميزة.

فقد شجع الإنتعاش التجارى، الذى شهدته البلاد في أعقاب إنتهاء الحرب العالمية الثانية، الكثيرين من المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال على إنشاء المحلات التجارية. وترتبت على ذلك زيادة كبيرة في عدد هذه المحلات، التى كانت تعرف باسم الدكاكين، حتى بلغت ٣٥٤٦ محلاً. ولأن قانون الإيجارات في ذلك الوقت كان ينطبق على البيوت دون المحلات التجارية، فقد إستغل المّلاك هذه الفرصة لفرض القيمة الإيجارية التى يريدونها، متذرعين بأن إنشاء المباني الحديثة يكلفهم الكثير من الأموال.

الشيخ خليفة بن سلمان نهاية الخمسينيات



ومن جانب آخر، أثار ذلك التطور غيرة وجشع ملاّك المحلات القديمة. فرغم أنهم كانوا لا يجرون أية أعمال صيانة أو تحسينات لهذه المحلات، إلا أنهم بدأوا في رفع إيجاراتها، وإلزام المستأجرين بدفع المبالغ التى يحددونها. وقد ألحق ذلك بمصالح المستأجرين أضراراً بليغة. فما كان منهم إلا أن عهدوا إلى ممثلين عنهم برفع شكوى إلى الحاكم بهذا الشأن. وبالفعل، تم تقديم عريضة الشكوى في الثلاثين من سبتمبر عام ١٩٥٣ .

وإنطلاقاً من حرصه على خدمة أبناء وطنه، وعلى حل مشاكلهم ورفع الظلم عنهم، أصدر المغفور له الشيخ سلمان بن حمد، في العاشر من اكتوبر من عام ١٩٥٤، أوامره بتشكيل لجنة للتحقيق في الأمر وتنظيم العلاقة بين الملاّك والمستأجرين ورد الحقوق إلى أصحابها. وقد ضمت هذه اللجنة ١٤ عضواً، كان من بينهم الشيخ خليفة بن سلمان، الذى لم يكن آنذاك قد بلغ التاسعة عشرة من عمره.

وإستمر الشيخ خليفة في هذه الوظيفة حتى أوكلت إليه المهمة الرسمية الثانية في ٢٢ مارس عام ١٩٥٦ . ففى ذلك اليوم، أصدر المغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين أمره السامي بتشكيل أول مجلسين متخصصين عرفتهما البلاد، أحدهما للمعارف والآخر للصحة. وكان كل منهما يتكون من رئيس وثمانية أعضاء، يُنتخب خمسة منهم من قبل مجالس البلديات، ويعيّن الحاكم الثلاثة الباقين. وقد شُكل مجلس المعارف برئاسة الشيخ مبارك بن حمد آل خليفة، وعُين الشيخ خليفة عضواً فيه، ليخطو سموه خطوة جديدة على طريق العطاء.

وبالرغم من أن المنصب الذي أوكل إلى الشيخ خليفة كان مجرد عضوية في مجلس المعارف، إلا أن الأمر كان بالنسبة له مثيراً للغاية. ولأن الإحساس بالمسئولية في داخله كان متعاظماً، رأى الشاب المملوء حماسة لخدمة الوطن، أن البداية ينبغي ان تكون من البداية. ومن ثم، بدأ على الفور رحلة بحث طويلة في ملف تاريخ التعليم في البحرين، إكتشف من خلالها أن البداية الأولى للتعليم في البحرين جاءت في عام ١٨٩٣، عندما قامت البعثة التبشيرية الأمريكية بإفتتاح مدرسة تابعة للمستشفى الأمريكي، لتعليم اللغتين العربية والإنجليزية. وبحكم طبيعة هذه المدرسة، ظلت مهمتها التعليمية محدودة. واستمر الوضع على ما كان عليه حتى مطلع القرن الحالي، عندما بدأ الوعي التعليمي في التبلور والنمو من خلال تأسيس عدد من المدارس الأهلية. وقد أدهش الشيخ خليفة، وزاده في الوقت نفسه ثقة فيما يمكن أن يحققه تطوير التعليم في بلاده، ما عرفه من الخطوات الرائدة التي حققتها مسيرة التعليم في البحرين، إبتداءً من تأسيس أول مدرسة نظامية

في البلاد عام ١٩١٩ من تبرعات الأهالي، ومبادرة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين (١٨٦٩ - ١٩٣٢) بتخصيص مساحة الأرض اللازمة لإقامة هذه المدرسة كهبة من سموه للإسهام في هذا المشروع، وإفتتاح أول مدرسة للبنات في البحرين عام ١٩٢٨، والتي كانت الأولى من نوعها في منطقة الخليج. كما استعرض الشيخ خليفة في رحلة البحث هذه ما حققته إنطلاقة العملية التعليمية في البحرين من نجاح تلو نجاح، على درب إعداد أبناء البلاد الإعداد اللائق الذي يؤهلهم للقيام بدورهم، في سبيل رفعة شأن بلادهم في مختلف المجالات.

وقد بذل الشيخ خليفة بن سلمان كل طاقته لخدمة بلده من خلال مجلس المعارف. وفي تطوير لواجبات منصبه، إستأذن سموه والده في أغسطس عام



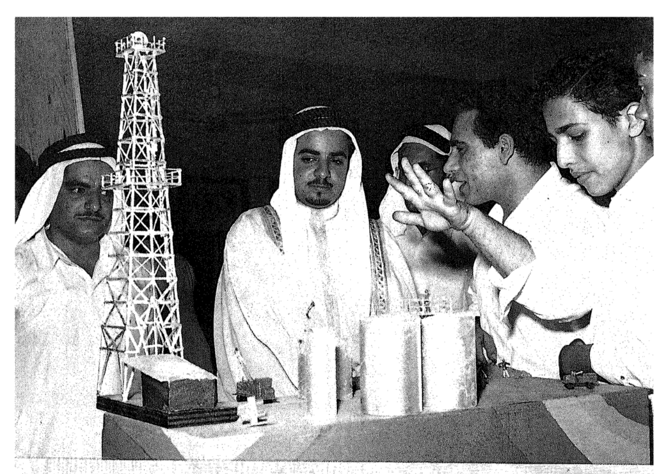
سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس مجلس المعارف يقرأ تقريراً خلال إحدى الزيارات التفقدية للمدارس (مايو ١٩٥٧)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس مجلس المعارف خلال إحدى الزيارات التفقدية للمدارس (مايو ١٩٥٧)

سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس مجلس المعارف وأعضاء المجلس في زيارة لمركز التدريب في شركة نفط البحرين





سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس مجلس المعارف يتفقد معرض المدارس (١٩٥٧)

١٩٥٦ في التوجه إلى بريطانيا، حيث أمضى حوالى خمسة شهور، إطّلع خلالها على أساليب التعليم وبرامجه الحديثة ونظام الإدارة في المدارس. وعاد سموه إلى البلاد في يناير عام ١٩٥٧، وهو يحمل الكثير من الأفكار الجديدة للإسهام في تطوير التعليم في البحرين.

وكان حماس الشيخ خليفة في أداء واجبه تجاه البلاد في هذا المجلس حماساً منقطع النظير، مما أكسب سموه ثقة وتقدير الجميع. وقد شجع ذلك الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين، عندما قرر إعادة تشكيل مجلس المعارف في ١٣ يناير عام ١٩٥٧، على إسناد رئاسة المجلس إلى الشيخ خليفة، خلفاً للشيخ مبارك بن حمد آل خليفة الذي عين رئيساً لمجلس الصحة.

وكان مجلس المعارف في تشكيله الجديد يضم كلاً من الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيساً، والشيخ عطية الله بن عبدالرحمن آل خليفة، والسيد حمد جاسم كانو، والسيد راشد عبدالرحمن الزياني، والسيد صادق محمد البحارنة، والسيد محمد يوسف جلال، والشيخ خالد بن محمد آل خليفة، والحاج عبدالله بن خميس الشروقي أعضاءً.



سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس مجلس المعارف يوزع الجوائز على المتفوقين من مدرسة الهداية الخليفة بمناسبة مرور ٤٠ عاماً على إنشائها (مايو ١٩٥٩)

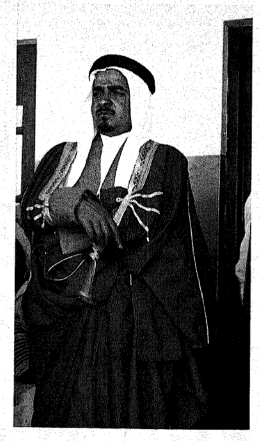
ويروي بعض أعضاء مجلس المعارف ذكرياتهم عن تلك الأيام، فيقولون أن الشيخ خليفة بدأ على الفور إجتماعات المجلس التى كانت تعقد عادة في ساعات ما بعد الظهيرة، وذلك لأن الشيخ خليفة كان يحرص على متابعة أمور الدولة عن قرب بجانب والده أثناء الفترة الصباحية.

وقد عقد مجلس المعارف أول اجتماع له بتاريخ ١٤ يناير عام ١٩٥٧ برئاسة الشيخ خليفة بن سلمان. وكانت أولى التوصيات التى أصدرها تدعو إلى تولي المجلس إدارة تعليم البنين والبنات، حتى يتسنى الإرتقاء بهما على نفس المستوى وبنفس التوجه.

وقد عمل الشيخ خليفة، بمجرد توليه مسئولية رئاسة مجلس المعارف، على وضع برنامج لتطوير العملية التعليمية في البحرين، إستناداً إلى أساس راسخ تمثل فيما حققته البحرين من سبق على المستوى التعليمي، ينبغى تطويره والبناء عليه. هذا بالاضافة إلى ثقة الشيخ خليفة الكبيرة في إمكانات وقدرات شباب هذا البلد على التحصيل العلمي والتفوق الدراسي في مختلف فروع المعرفة.

وقام المجلس كذلك بمراجعة نظام السكن المقدم إلى المعلمين الأجانب، وزار القرى والمدن لدراسة المتطلبات اللازمة، ونصح بأن يكون التعليم الخاص تحت إشراف دائرة المعارف، لاسيما تلك المدارس التي كانت تضم عدداً كبيراً من الطلاب البحرينين. ودرس المجلس أيضاً الحاجة الملحة إلى فتح صفوف جديدة. وركز المجلس، بتوجيهات من الشيخ خليفة، على تحسين تعليم اللغة الإنجليزية، وتحديد أوقات التدريس المعمول بها في جميع المدارس، والمساواة بين خريجي المدرسة الصناعية وخريجي المدرسة الثانوية العامة عند توظيفهم. أما الشيء الذي يسترعى الإنتباه، فهو ذلك الإقتراح الجريء الذي سعى المجلس إلى تحقيقه، وهو فتح مدارس للبنات في القرى، حيث أن تعليم البنات كان حتى ذلك الوقت مقتصراً على المدن الأربع الرئيسة في البلاد.

ولم تمض فترة طويلة حتى إنتهى المجلس من وضع قانون المدارس الخاصة، وذلك حرصاً من الحكومة على الإشراف والمتابعة الكاملة على هذه المدارس، ومراقبة نشاطاتها المختلفة، لتنسجم مع التوجه العام للبلاد.



عمل الشيخ خليفة، بمجرد توليه مسئولية رئاسة مجلس المعارف، على وضع برنامج لتطوير العملية التعليمية في البحرين، إستناداً إلى أساس راسخ تمثل فيما حققته البحرين من سبق على المستوى التعليمي

ولم يكن نشاط مجلس المعارف مقتصراً على ميدان التعليم وحده، بل إمتد إلى ميادين ثقافية أخرى، مما عكس تفاني رئيسه وأعضائه في خدمة وطنهم. ومثال ذلك، معرض الآثار المكتشفة الذي أقامه المجلس بالتعاون مع بعثة التنقيب الدنماركية يوم الأربعاء ٢٧ مارس عام ١٩٥٧، والذى كان الأول من نوعه في المنطقة. وقد أقيم المعرض في قاعة مكتبة المعارف الكائنة في مبنى دائرة المعارف، وتفضل الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين بإفتتاحه.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المعرض ضم مجموعة كبيرة من الآثار الهامة والنادرة، كان من بينها حفريات قلعة البحرين والمناطق المحيطة بها، وحفريات من عين السجور ومعبد باربار الأثريين اللذين يعود تاريخهما إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وقد كان إكتشاف هذه الحفريات ثمرة جهود البعثة الدنماركية التى بدأت عمليات التنقيب عن الآثار في البحرين عام ١٩٤٥ .

ويقول بعض أعضاء مجلس المعارف، وهم يستذكرون بسعادة ذكريات تلك الأيام، أنه على الرغم من حداثة الشيخ خليفة في هذا الوقت، إلا أنه تحمل المسئولية الكبيرة التى ألقيت على عاتقه بكل كفاءة وإقتدار. وكان بالإضافة إلى ذلك، يضع نصب عينيه كيفية توفير مستلزمات الحياة الكريمة للمواطنين، والإرتقاء بمستوى معيشتهم.

وكان الشيخ خليفة في هذه الفترة، يحرص كل الحرص على المشاركة في المناسبات الوطنية، وخصوصاً تلك التى كانت تمثل إضافة لبنة جديدة في بناء الوطن ونهضته الحديثة. وكم كانت سعادته يوم السابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٥٧، عندما أدار بيده المفتاح لتدخل الكهرباء قرية الجفير لأول مرة. في هذا اليوم شعر الشيخ خليفة أن حلماً غالياً قد تحقق. وكانت هذه الحادثة ترجمة لما يعترم داخل نفسه من رغبة صادقة في قهر كل ظلام، حتى تلحق البحرين بركب العصر، وتتبوأ مكانتها اللائقة بين الأمم.

وكان الشيخ سلمان يراقب بحكمته وبعد نظره، إهتمام إبنه الشيخ خليفة بآمال مواطنيه، وحرصه على توفير الإنارة والخدمات الكهربائية لجميع مناطق البحرين بلا إستثناء. وكانت الكهرباء لم تصل بعد إلى معظم القرى، مما حدا بالشيخ سلمان إلى إصدار قرار في ٣٠ ديسمبر عام ١٩٥٧ بتعيين الشيخ خليفة بن سلمان عضواً في لجنة الكهرباء، وذلك ليتمكن من ترجمة أمنياته في هذا المجال إلى واقع ملموس في خدمة أهل بلده. وكانت اللجنة المشكلة برئاسة سكرتير الحكومة، تضم في عضويتها كلا من السيد محمود العلوى والسيد حسين يتيم.

وخلال هذه المرحلة، عمل سموه جاهداً على إيصال الكهرباء والماء إلى عدد كبير من قرى البحرين، بل وأسهم بنفسه في إعداد الدراسات وتذليل العقبات، حتى يتم تحقيق هذا الهدف. ومازال سموه يذكر بكل الإعتزاز أحداث تلك الفترة التى زخرت بالعمل الوطنى الخلاق.

وجدير بالذكر أن البحرين كانت، وحتى بدأ إنتاج النفط فيها عام ١٩٣٢، تعتمد بشكل عام على الوقود المستورد كمصدر للطاقة. ورغم ذلك قررت الحكومة في عام ١٩٢٩ إقامة محطة لتوليد الكهرباء قوتها ١٠٠ كيلو واط على ساحل « رأس رمان » بالمنامة. وقد اخُتير هذا الموقع بعناية حتى يمكن إستيراد محروقات تشغيل المولد من عبدان في إيران بواسطة البواخر التى كانت تفرغ شحنتها في خزان يقع قرب المحطة. وقد بلغت تكاليف إنشاء هذه المحطة ١٣٤,٢٧٦ روبية (حوالي ٨٠ ألف دولار أمريكي). وفي شهر سبتمبر عام ١٩٢٩ أقيم احتفال تحت رعاية المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، نائب الحاكم آنذاك. وفيه أعطى سموه إشارة البدء لإضاءة ٤٠٠ شمعة كهرباء وتشغيل ٢٠٠ مروحة.

وفي عام ١٩٣٢، زُودّت مدينة المحرق بالقوى الكهربائية للمرة الأولى، وذلك بمد خط كهربائي كبير عبر البحر الذي يفصل بين جزيرتي المنامة والمحرق، نظراً لأن جسر الشيخ حمد لم يكن قد شُيد بعد. ومنذ ذلك الوقت بدأت الأدوات الكهربائية في الظهور تدريجياً في الأسواق البحرينية.

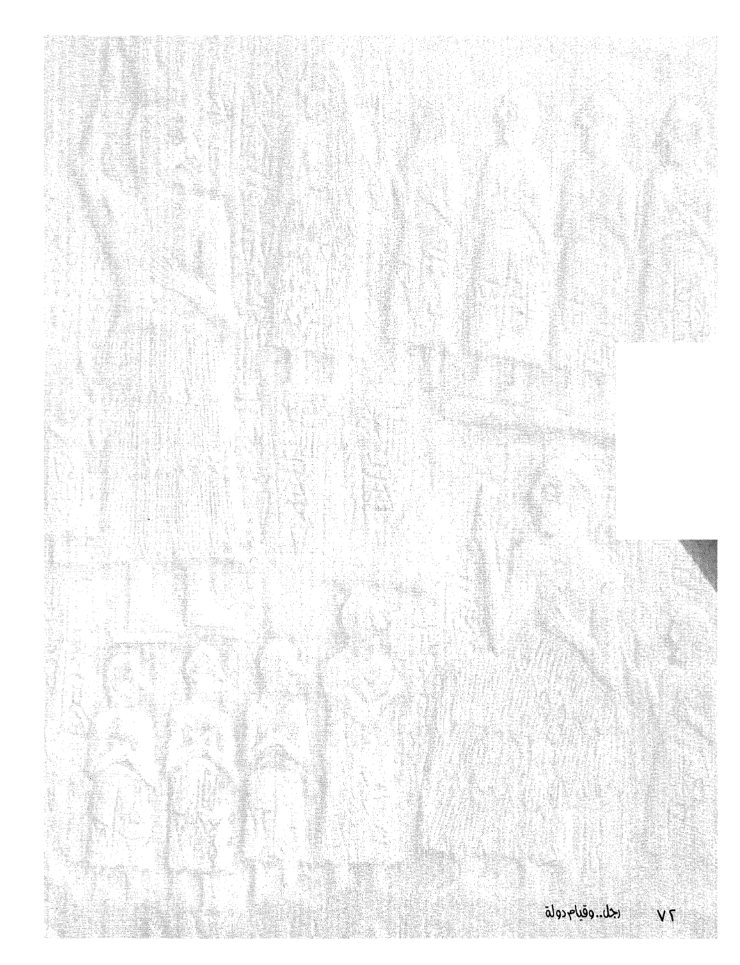
❖❖❖❖

هوامش (١) على الرغم من ذلك فان الوثائق تؤكد أن البحرين قد عرفت فكرة تجمع التجار في رابطة ما قبل هذا التاريخ، حيث يؤكد محضر الإجتماعات « لمجلس التجار » والذي عقد من ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ ديسمبر عام ١٩١٠ والذي ترأسه الميجر (السي جي ناكس - باليوز في البحرين) وحضره ممثل عن الشركات الانجليزية وممثل آخر عن الشركات الامريكية وممثل عن التجار الهنود وعن تجار البحرين الحاج زاير حسن والحاج عبدالعزيز العوضي والحاج عبدالنبي كلعوض. ويشير محضر الإجتماع والذى تعدت أوراقه التسع ورقات إلى ان المجلس ناقش العديد من المواضيع التى تخص التجار في البحرين، ومنها الحاجة إلى مخازن كبيرة وإلى تنظيم تفريغ البضائع من السفن والرسوم على السفن الشراعية التي تنقل البضائع ، كما ناقش المجلس واحدة من أهم النقاط وهى أين يضع التجار أموالهم ؟ حيث لم تكن البلاد قد عرفت البنوك التجارية بعد. كما ان الوثائق تؤكد من خلال محضر الإجتماعات أنه كانت للبحرين نظام غرفة تجارية منذ عام ١٩٢٨، ذات قوانين وأنظمة، كما أنه كان من المتبع في حالة وجود خلاف بين التجار فإن المحكمة كانت تقوم بتحويل هذه

القضايا إلى مجلس الغرفة للنظر فيها. هذا بعض ما جاء في محضر إجتماعات مجلس الغرفة الذي عقد في ٢٠ يناير عام ١٩٢٩ والذي صدق عليه مستشار الحكومة في ذلك الوقت. وعليه فإننا نعتقد أن الاجتماع الذي عقد في صباح يوم الاحد ٢٥ مارس عام ١٩٥١ في مكتب مستشار الحكومة كان في الواقع لإعادة إشهار الغرفة من جديد وبنظم وقوانين حديثة.



الشقيقان



الفصل الرابع

الشقيقان

ربطت بين الشيخ خليفة وأخيه الشيخ عيسى منذ الطفولة علاقة ود ومحبة قوية، أخذت الأيام تزيدها قوة وصلابة وتضفي عليها تماسكاً فريداً لم يكن ليخطئه أحد من المقربين لهما. وراح الأب الشيخ سلمان والمقربون من الأسرة يراقبون في إعجاب وإعتزاز تنامي هذا التآلف الأخوي بين الشقيقين. وكثيراً ما أمضى الشقيقان عيسى وخليفة وهما لم يزلا بعد طفلين صغيرين أوقاتا سعيدة في اللعب واللهو معا أو برفقة أصدقائهما والأقرباء الذين كانوا يقاربونهما في العمر.

وكانت فرحة الشقيقين الصغيرين تصل إلى ذروتها كلما إستجاب الوالد المحب لرجائهما بأن يصحبا سموه إلى بستانه في الزلاق. ففي هذا البستان كانت تنتظرهما دوما مُتع ممارسة السباحة مع الأصدقاء وصيد الطيور، وكانتا من الرياضات التى أحباها كثيرا في صباهما.

وكثيراً ما كان الأب يشعر بسعادة غامرة وهو يستمع في صمت إلى حوار عادة ما كان يدور بين الشقيقين الصغيرين، في أعقاب كل رحلة قنص أو زيارة لبستان الزلاق. حوار لم يكن يخطر على بال الصغيرين أن أحداً، وبخاصة الوالد، يستمع إليه. كان هذا الحوار غالبا ما يتناول رواية كيف تمكن أحد الشقيقين من إقتناص عدد كبير من الفرائس، فيما يصف الشقيق الآخر لشقيقه كيف يستطيع أن يصوب جيداً وبدقة، أو ماهو المطلوب من الفارس لركوب الخيل بمهارة.

ويقول السيد خليفة القعود، الذى عمل مرافقاً للشيخ سلمان وأبنائه لأكثر من ٣٥ عاماً، إن هذه الاحاديث التى كانت تدور بين الشيخ عيسى والشيخ خليفة، وهما لم يزلا طفلين صغيرين، عن مهاراتهما في الرماية والقنص والسباحة

وركوب الخيل » كانت تشكل متعه كبيرة للأب. وكان من عادته الايعّلق أبداً على هذه الأحاديث، إلا ربما بابتسامة تعكس رضاءه وسعادته بها، وبما تؤكده من رغبة كل منهما في مساندة الآخر ونقل كل ما تعلمه من خبرات لشقيقه ».

ويضيف السيد خليفة القعود بأن الرماية والقنص كانتا من الهوايات التى أحبها الشقيقان في صباهما، فيما كان الشيخ خليفة يميل كذلك إلى لعب كرة القدم، حيث كان يستأذن في ممارسة هذه اللعبة مع الزملاء في منطقة الرفاع الغربي.

كذلك كان الشقيقان يسعدان كثيرا بالوقت الذي كان الوالد يدعوهما فيه للتحدث إليهما. ولم تكن من عادة الشيخ سلمان أن يوجه النصح إلى أبنائه بشكل مباشر، وإنما كان يعمد إلى أن تكون هناك عبرة يستخلصها الأبناء بأنفسهم من خلال قصص وأمثلة يسردها الأب عليهم. وعادة ما كانت تلك القصص والأمثلة تتناول تقاليد الآباء والأجداد، التى كان سموه يحرص على أن يتعلمها أبناؤه ويتمسكوا بها.

وقد كان أداء الصلاة من أهم ما حرص الشيخ سلمان على تشجيع أبنائه على الإلتزام به منذ نعومة أظفارهم. أما في مناسبات عيد الفطر وعيد الأضحى، فقد كان سموه يحرص على أن يرافقه أولاده في أداء الصلاة في المسجد الكائن جنوبي قصر الرفاع العامر. وعقب الصلاة، كان سموه يتوجه برفقة أولاده إلى مجلسه بقصر الرفاع، حيث يستقبل وفود المهنئين من كبار أفراد العائلة والأعيان والمواطنين، فيما تقام الإحتفالات، ومنها العرضة الشعبية، أمام قصر الرفاع. وفي ثاني أيام العيد، كانت عادة الشيخ سلمان أن يذهب إلى المحرق، يرافقه أنجاله، ليرد الزيارة والتهنئه بالعيد لأعمامه وكبار أفراد العائلة الكريمة ووجهاء وأعيان المحرق.

وكان سموه يحرص أيضاً على موعد محدد من كل إسبوع، يجلس فيه مع أبنائه جلسة خاصة في مجلسه الصغير (المختصر) لا يدخل عليهم أثناءها أحد. وكان سموه يهتم في هذه الجلسات بالإستماع إلى أبنائه في أى موضوع يريدون الحديث فيه، وبتوجيههم على النحو الذى يراه، مع الحرص الكامل على أن تكون توجيهاته هذه، وربما إنتقاداته أمراً لايسمعه أحد غيرهم.

وبرغم تشدد الشيخ سلمان في تربية أبنائه، إلا أن عقابه لأحدهم اذا رأى أنه أساء التصرف لم يكن ليزيد عن كلمات عتاب. وكان من عادة الشقيقين عيسى وخليفة أن يفهما عتاب الأب من ملامح وجهه ونظراته، قبل أن تتحول



الشقيقان الشيخ عيسى والشيخ خليفة في أمسية إجتماعية بأحد الأندية

سمو الشيخ عيسى وسمو الشيخ خليفة لدى عودتهما من زيارة إلى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة حيث كان شقيقهما سمو الشيخ محمد في إستقبالهما (سبتمبر ١٩٥٩)



الأشقاء الشيخ عيسى والشيخ خليفة والشيخ محمد   خلال الإحتفال بموسم حصاد القمح في منطقة الحنينية (ابريل ١٩٥٩)

هذه الملامح والنظرات إلى كلمات. وليس غريبا أن أصبحت هذه العادة، وهذا الأسلوب الراقي الرقيق في التربية وتعويد النشىء على المبادرة الذاتية لإدراك الخطأ وسرعة تصويبه، سمة من سمات الشيخ خليفة بن سلمان في التعامل فيما بعد مع أبنائه وأحفاده.

❖❖❖❖

وهناك رواية عن حادثة صغيرة وقعت لأبناء الشيخ سلمان، أسوقها هنا كتدليل على ذلك الحب الأخوي، وعلى مشاعر العطف والحنو التى ربطت بين الشقيقين في وقت مبكر من عمريهما.

فقد كان من عادة الشيخ سلمان أن يسمح لأبنائه بين الحين والآخر بنزهة أو فسحة يختارونها بأنفسهم. وكان طبيعياً ان تكون « السينما » من بين تلك النزهات التى كان يهواها الناشئة والكبار على حد سواء في ذلك الزمن الذى لم يكن قد عرف بعد التلفزيون والفيديو، ناهيك عن « دش » الأقمار الصناعية وقنوات الكابل الأرضى وألعاب الفيديو والكمبيوتر وغيرها مما يعرفه جيدا ناشئة هذه الأيام.

ذهب أولاد الشيخ سلمان الثلاثة عيسى وخليفة ومحمد ذات يوم إلى « دار سينما الزياني » بمنطقة القضيبية. وبعد أن أمضى ثلاثتهم وقتاً طيباً في مشاهدة أفلام برنامج السينما لذلك الإسبوع، ولدى إستعدادهم للعودة إلى قصر أبيهم بالرفاع، طلب الشيخ خليفة، وكان وقتها لم يتعد الثالثة عشرة من عمره، أن يقود السيارة المخصصة لتنقلاتهم. ولم يثنه عن عزمه رفض السائق في البداية، والذى تحول إلى إستجابة على مضض لإصرار الصبى الصغير الذى كان يتوق بشدة لقيادة سيارة. وبالفعل جلس الصبي (الذى كانت محاولاته السابقة لقيادة السيارات محدودة، ولم يكن قد تمرس على السياقة كما يجب) على مقعد القيادة وأمسك بالمقود في ثقة كاملة وتحرك بالسيارة بسرعة بطيئة، مما جعل السائق الممتلىء رعباً يطمئن قليلا.

ولكن الرياح لم تأت بما يشتهى السَفِنُ، إذ ارتكب السائق الصغير حادثة تصادم تركت آثارها واضحة على السيارة !

أخذ الأخ الكبير الشيخ عيسى يطمئن أخويه، ويبث الطمأنينة في نفس شقيقه خليفة الذى إنزعج كثيراً لهذا الحادث، وانتابته مشاعر قوية من الندم والقلق، لاخوفاً من العقاب، ولكن حزناً على تكدر الوالد عندما يعلم بأمر هذا الحادث، وهو الذى يحرص على عدم إغضابه.

وتقديراً للظروف المحيطة، ورغبة في التخفيف من الهم الذى أصاب أخيه، ومنعاً لتكدر الوالد، قال الشيخ عيسى للسائق بحزم « فقط قل للوالد أن حادثاً بسيطاً قد وقع، ولا تقل إن خليفة هو الذى كان يقود السيارة، وسوف أشرح لسموه الأمر وأوضح له ماحدث بنفسى فيما بعد ».

وبالفعل نفذ السائق ما أمر به الشيخ عيسى. وإذا بالوالد ينفجر غاضباً، مؤكداً بأن السائق يكذب، وأنه سيناله منه عقاباً شديداً إن هو لم يقل الصدق.

والغريب في الأمر أنه وقبل أن يعترف السائق، اذا بالوالد يؤكد غاضباً أن أحداً غير السائق هو الذى كان يقود السيارة، وأن خليفة بالذات هو الذى فعل ذلك !! ودهش الجميع لذلك، متسائلين في سرهم: أيمكن أن يصل فهم الأب لأبنائه حد تصور ما يفعلون وهم بعيدون عن ناظريه ؟!

❖❖❖❖

وهاهما الشقيقان في مرحلة الشباب المبكر، وقد بدأ تكوينهما الفكري تتحدد ملامحه، يناقشان في إسهاب مع بعضهما كافة القضايا المحلية والإقليمية التي كان يعج بها مجلس والدهما الشيخ سلمان، وينتقلان منها إلى القضايا العربية والدولية التى كانت تشغل الرأي العام العربي في ذلك الوقت، ومنها يصلان إلى تبادل الأماني للعزيزة الغالية البحرين، وما يمكن أن تحققه وتصل إليه من مكانة إقليمية ودولية، إستناداً إلى ثقة قوية مشتركة بينهما في إمكانيات وكفاءة ومقدرة شعب البحرين على العمل والانجاز.

كانت الآمال والأهداف والرؤى المشتركة بينهما تكاد تكون متطابقة بشكل يدعو إلى الدهشة. كما كان التكامل بينهما محط إهتمام وإعجاب الوالد بصفة خاصة. فقد كان يرقب هذه النقطة دائماً بسرور كبير، وكأنه يقرأ صفحة مستقبل البلاد بارتياح عميق. ذلك أنه حتى في الصفات الشخصية التي من الطبيعي أن يتميز بها إنسان عن إنسان، كان التكامل بين الشقيقين واضحاً. فالنظرة الكلية الشاملة للشيخ عيسى، يقابلها إهتمام كبير بدقائق وتفاصيل الأمور عند الشيخ خليفة. وعاطفة الأبوة المبكرة اللازمة لرعاية المواطنين عند الشيخ عيسى، تقابلها عند الشيخ خليفة دوافع الحزم اللازمة لإدارة شئون المواطنين وحمايتهم.



سمو الشيخ عيسى وسمو الشيخ خليفة في جولة تفقدية بمواقع العمل في حقول النفط (فبراير ١٩٥٩)

ويمكن أن تجري هذه المقابلة عشرات المرات لتصل في النهاية دائماً إلى نقطة واحدة بعينها، وهي ذلك التكامل بين الشقيقين، والذى أراده الله سبحانه وتعالى ليكون نعمة تقود هذه البلاد الخيّرة لتتبوأ المكانة اللائقة بها بين الدول الشقيقة والصديقة في مختلف أرجاء المعمورة. ترتيب وتدبير شاءه المولى عز وجل لتحقيق نهضة هذا البلد وتقدمه، برغم ظروف وعوائق كثيرة من أهمها محدودية الموارد والثروات التي على أساسها يُبنى كل رخاء وتتحقق التنمية والنهضة المرجوّة.

وربما كان هذا التكامل بين الشقيقين بحد ذاته، باعثاً على المزيد والمزيد من المحبة والترابط الروحي .... مشاعر أخوية نبيلة تتجلى في كل الظروف والمناسبات وتكون أشد وضوحاً للآخرين والمحيطين عندما يلم بأحدهم. - أبعد الله الشرور عنهما - علة أو مرض.

وكان أن غادر الشيخ خليفة إلى الخارج في سفرة طويلة، كتب خلالها سمو الامير المفدى قصيدته التى تعبر عن مكنونات وجدانه ونبيل مشاعره تجاه أخيه.... أبيات من الشعر لا أجد معها كلمات يمكن أن ترقى إلى شرح معانيها أو التعليق عليها:

جفى النوم جفني ما تهنيت برقادي ... ولاطاب لي شرب ولا لذ لي زادي
اقضيّ نهاري في همومي مهايم ... وأفتّر على نفسي بكثير التهادي
وفي الليل افكار كثيرة تزورني ... وقلبي غدا كنه على كور حدادي
اسامر نجوم الليل والنار بالحشا ... تشاعر لها في داخل الجوف وقادي
واضحك اذا شفت العوائل تشوفني ... اداري شماته كل واش وحسادي
يظنون ضحكي من سرور وطربة ... وانا حامل هم وغم وانكادي
مضى لي على ها الحال تسعين ليلة ... وصبري نفذ ما فاد كثر التجلادي
ولا همني ما غيري من العنا ... سوى فقد اخوي الشيخ كساب الامجادي
خليفة حليف المرجلة بومحمد ... عضيدي ونخري في المهمات وسنادي
حميد المكارم من سما دوحة العلا ... بحزم وعزم واجتهاد واجدادي
كريم يعز الجار والضيف إلى لفى ... سبوق إلى كسب المعالي والاسعادي
حوى من جميعات المكارم كرمها ... هو الليث أو كالغيث والوسم إن جادي
ولاني بلميوم ولا أحد يلومني ... اذا همت في حبه وكثرت الانشادي
فراقة داعني ما تهنيت ساعة ... ونحتاج له حنا وشعبه والبلادي
وبكره يصير العيد والا خلافه ... ولكن شوفه عندنا خير الاعيادي
متى ياعديل الروح يأتي بشيركم ... ونفرح برؤياكم ويستر الفؤادي
وانت الخبير بحبنا لك وشوقنا ... فهل كيف تنسى او ينسّك لبعادي
نفد صبرنا ما عاد نقوى على الجفا ... ولو كان رضا الصبر ما صبرنا فادي
فانظر بعين العطف معنى رسالتي ... وانت الكريم اللي على الخير معتادي
وانت الذي لك في المواجيب مواقف ... وانت الذي صياد من كان صيادي
وانت الحكيم اللي لك الرأي الأول ... وانت الحليم الحبر والله لك هادي
عسى الله يجمعنا على الخير والرضى ... وتسلم ومن ينساك بيموت لك فادي

❖❖❖❖

وكلنا يذكر كيف خرجت البحرين عن بكرة أبيها لإستقبال إبنها البار الشيخ خليفة بن سلمان يوم عودته إلى الوطن، إثر تماثله للشفاء من علة القلب التى أصابته، واضطر بسببها إلى إجراء جراحة دقيقة، وكيف عادت يومها البسمة الأبوية المحببة تعلو ثغر سمو الأمير المفدى من جديد.

❖❖❖❖

وبما أن الشيء بالشيء يذكر، أجدني أتذكر الظروف والملابسات والمشاعر التي أحاطت بالجراحة التى أجراها سمو الشيخ عيسى بن سلمان في القلب عام ١٩٩٠ بالولايات المتحدة الامريكية.

كانت قصة هذه الجراحه قد بدأت بشكوى أبداها سمو الأمير المفدى من ألم بسيط في الكتف والذراع الأيسر. وظن في البداية أنها مجرد إصابة بالرطوبة أو الروماتيزم. ولكن قلق الشيخ خليفة دفعه للإصرار على نصيحته لأخيه بضرورة الإسراع بعمل فحوص طبية شاملة. وجاءت نتائج الفحوص

الشقيقان الشيخ عيسى والشيخ خليفة في معرض البحرين الزراعي والتجاري (مارس ١٩٥٩)

مشيرة إلى ضرورة إجراء جراحة في القلب. وعلى الفور كان قرار سمو الشيخ خليفة بمرافقة أخيه سمو الأمير المفدى في رحلة إجراء هذه الجراحة حتى إتمامها والإطمئنان على تماثل سموه للشفاء التام. وقد أراد الشيخ خليفة أن يكون قريباً من أخيه يشد على يده ويرفع من معنوياته ويخفف عنه تلك المشاعر الثقيلة التى من الطبيعي أن تعتري الإنسان قبيل دخوله لإجراء جراحة خطرة. وكم كان أثر هذه الصحبة الأخوية عظيماً على نفس سمو الأمير المفدى.

❖❖❖❖

وقد كان العمل من أجل رفعة الوطن وتقدمه هو الحلم المشترك الذي إجتمع عليه الشقيقان، والدرب الواحد الذي سارا عليه معا في مشوار الحياة، أمد الله في عمرهما.

ويذكر سمو الشيخ خليفة أن المشاركة في حضور إفتتاح مشروع ما لخدمة الوطن والمجتمع، كانت ولاتزال من أحب المناسبات إلى نفسه. وقد كانت فترة النصف الثاني من الخمسينيات عامرة بمثل هذه المشروعات التي كان من بينها تدشين مشروع إسالة المياه في المحرق، وإفتتاح مدرسة النعيم، وإفتتاح عيادة المعارف (التربية والتعليم)، وإفتتاح محطة توليد القوة الكهربائية بالبديع، وإفتتاح جناح الولادة بمستشفى النساء، وإفتتاح عيادة سترة، وتدشين بناء بلدية سترة، وتدشين مستشفى الرفاع، وتدشين بدء العمل في ميناء سلمان.

ومن العجيب أن هذه المناسبات كلها جاءت في غضون أسبوع واحد. حتى انه أطلق عليه إسم « اسبوع الإنشاء ». وقد بلغت نفقات وتكاليف مشروعات الاعمار في هذا الاسبوع وحده ٨٨ مليون روبية، أى ما يعادل ٨,٨ مليون دينار. وهذا، بلاشك، مبلغ ضخم قياساً بميزانية الحكومة في ذلك الوقت.

وكان إفتتاح مستشفى السلمانية بمثابة خطوة كبيرة على سلم الترقي، طالما تمناها الشيخ خليفة لبلده في مجال الرعاية الصحية للمواطنين. ففي الرابع من ديسمبر عام ١٩٥٧، شارك سموه في الإحتفال الكبير الذي تقدمه الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين، لإفتتاح هذا المشروع العظيم. وقد سبق الإحتفال صدور إعلان من سكرتير الحكومة جاء فيه « أعلن في اليوم الثاني من ديسمبر عام ١٩٥٧ أن المنطقة الواقعة بين شارع أوال وقلعة الشرطة في الشرق، وحدائق النخيل في الجنوب وعيادة جهاز الأشعة السينية في الغرب، ستسمى بإسم السلمانية، تكريما لعظمة حاكم البحرين الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة ». ومن هنا جاءت

التسمية التى يحملها حتى الآن هذا الصرح الطبي الكبير، الذي أفتتحت المرحلة الأولى منه في ديسمبر عام ١٩٥٧، والثانية في أبريل عام ١٩٥٩ .

ومن الطريف أنه في الساعة الثامنة من صباح اليوم الذي فتح فيه المستشفى الجديد أبوابه لخدمة الجمهور، ولم يكن قد مضى أكثر من خمس دقائق على بدء العمل، حضرت زوجة السيد حسن هاشم من قرية بوصيبع لتضع أول مولود في هذا المستشفى. وأطلق على المولود إسم « علوي ». وقد هنأ الشيخ سلمان رحمه الله أفراد الأسرة بهذه المناسبة السعيدة وأنعم عليهم بالهدايا.

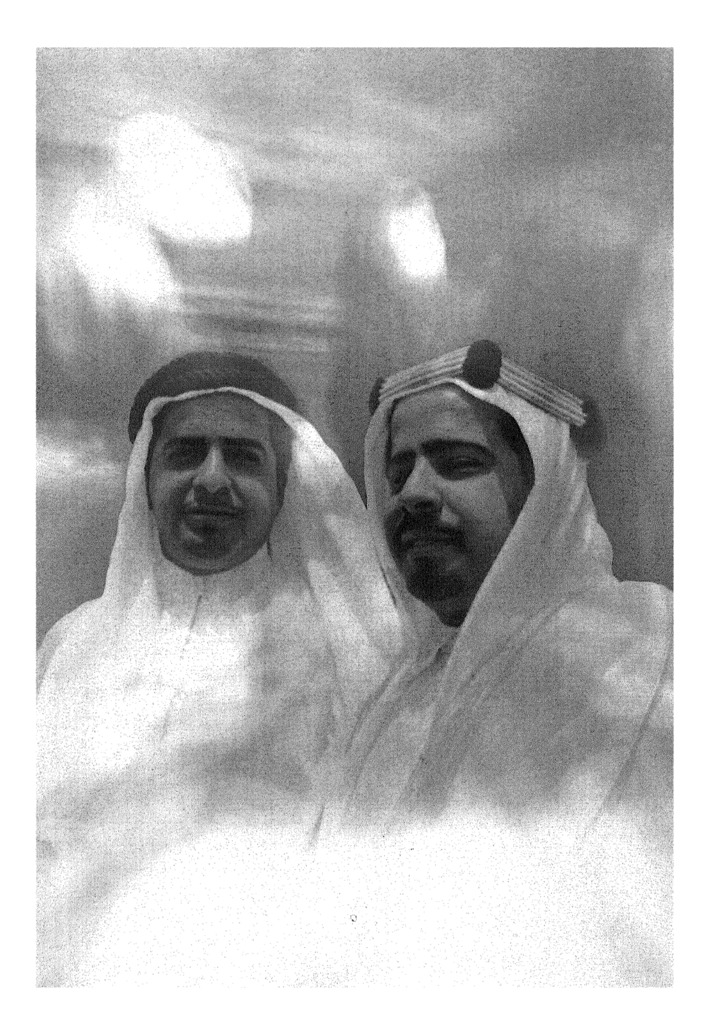
❖❖❖❖

وفي واحدة من المناسبات التى أدخلت السرور إلى قلبه، يتذكر الشيخ خليفة بن سلمان يوم إعلان والده للقرار الذي كان قد طال إنتظاره، وهو تنصيب الشيخ عيسى بن سلمان ولياً للعهد. ففي تمام الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة ٣١ يناير عام ١٩٥٨، وأثناء إنعقاد مجلس الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البلاد، وبحضور كبار شيوخ العائلة الحاكمة، وبعد أن تناول الجميع القهوة العربية وتعطروا بماء الورد وتطيبوا بالطيب، أعلن الشيخ سلمان هذا القرار التاريخي. وعندها، قام الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة، عم الحاكم ورئيس المجلس الإدراي، وشد على يد الشيخ سلمان بن حمد مهنئاً ومباركاً له هذه الرغبة السامية الصائبة، ثم تقدم الشيخ عبدالله بن عيسى نحو الشيخ عيسى وأخذه من يديه وأوقفه إلى يمين الحاكم وهنأه على هذا المنصب السامي. وبعد ذلك اندفع جميع أعضاء الأسرة الحاكمة لتهنئة ولي العهد الجديد.

واستقبلت جموع شعب البحرين الخبر بالفرحة العارمة والسرور. وأخذت جماعات المهنئين من الوجهاء والأعيان والمواطنين تتوافد على قصر الرفاع العامر، واستمرت الأفراح والتهاني عدة أيام.

وقد شهدت هذه الفترة إزدهار العلاقات الدبلوماسية بين البحرين والدول العربية وغيرها من الدول الصديقة. واستقبلت البلاد العديد من القادة والمسئولين من الدول الشقيقة والصديقة. ولكن بسبب تداعي صحة الشيخ سلمان في السنوات الأخيرة لحكمه، كان من الصعب عليه رد تلك الزيارات. وعليه، فقد كان كثيراً ما يعهد إلى أبنائه القيام بزيارات ومهام رسمية في الخارج. وكان الشيخ خليفة يحرص على مرافقة شقيقه الشيخ عيسى ولي العهد

ربطت بين الشيخ خليفة وأخيه الشيخ عيسى منذ الطفولة علاقة ود ومحبة قوية، أخذت الأيام تزيدها قـوة وصـلابة وتضـفي عليـهـا تماسكاً فـريداً لم يكن ليـخطئـه أحـد من المقـربين لهـمـا



آنذاك، في معظم زياراته الداخلية والخارجية. وكان من بين هذه الزيارات أول زيارة رسمية قام بها سموه بعد تنصيبه ولياً للعهد إلى بريطانيا وأمريكا في ٢٣ يونيو عام ١٩٥٨ .

❖❖❖❖

وكانت الروابط الإجتماعية بين أبناء البحرين، والحفاظ عليها وتوطيدها، من أهم ما حرص عليه قادة هذه البلاد منذ القدم. وقد تجلت هذه السمة في الشيخ سلمان بن حمد عندما ضربت البلاد - يوم الاثنين ٣٠ مارس عام ١٩٥٩ - عاصفة كبيرة تسببت في خسائر في الأرواح والممتلكات، مما أثار الحزن والألم في نفوس الجميع. وعلى الفور أصدر الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البلاد توجيهاته إلى إبنيه الشيخ عيسى والشيخ خليفة، ليتابعا أحوال المواطنين، وليبذلا كل جهد ممكن للتخفيف عن المتضررين، وليطلعا سموه على كل كبيرة وصغيرة بخصوص الجهود التى تبذل في هذا الشأن. كما أمر الشيخ سلمان رحمه الله بتشكيل لجنة لحصر الذين أصيبوا بأضرار من جرّاء العاصفة وتقدير وصرف المساعدات اللازمة لهم. وضمت هذه اللجنة في عضويتها كلاً من السيد أحمد بن يوسف فخرو، السيد منصور العريّض، السيد يوسف أكبر علي رضا، السيد حسن بن علي المديفع، السيد يوسف بن عيسى بوحجي، السيد محمد بن مبارك الفاضل، السيد عبدالله الحمد الزامل، السيد حسن بن عبدالرسول بن رجب، بالإضافة إلى مدير الجمارك. وقد بلغ عدد السفن التى فقدت أو دمرت في هذه العاصفة حوالى ٤٠ سفينة، وبلغ عدد الأشخاص الذين فقدوا ١١ شخصاً. وقد أصدر الشيخ سلمان بن حمد توجيهاته بصرف مساعدات إلى المتضررين بلغت حوالى ٢٣٠ , ٦٨٣ روبية (٦٠ الف دولار امريكي تقريباً) دفعت من حساب الشيخ سلمان الخاص ومن تبرع من حكومة الكويت. والمعروف أن البحرين كانت قد ضربتها في عام ١٩٢٥ عاصفة شديدة، سببت خسائر كبيرة جداً في الأرواح والممتلكات. ولايزال شعب البحرين إلى يومنا هذا يتذكر تلك السنة المشهورة بأسم « سنة الطبعة ».

❖❖❖❖

ومع مرور الوقت، تزايد شيئاً فشيئاً عدد وحجم المسئوليات التى كان يُكلف بها الشيخ خليفة بن سلمان. ففي ١١ نوفمبر ١٩٥٨، تم تعيينه في اللجنة المكلفة ببحث شئون موظفي الحكومة، إضافة إلى منصبه كرئيس لمجلس المعارف، وعضوية لجنة الكهرباء ولجنة مشكلة الإيجارات وغيرها من المسئوليات الأخرى التى أوكلها إليه الشيخ سلمان.

ورغم تعدد هذه المسئوليات وضخامة حجمها، كان الشيخ خليفة كثيراً ما يحمل على عاتقه مسئولية أخرى غاية في الدقة والأهمية، وهي القيام بأعمال سكرتير الحكومة أثناء الفترات التى يكون فيها السكرتير خارج البحرين. ولاشك في أن ذلك يعكس مدى الثقة التى حازها سموه في هذه السن المبكرة، من قِبل والد لا يقرّ المجاملة على حساب المصلحة العامة، حتى لو تعلق الأمر بأبنائه أو أقرب المقربين إليه. فقد كان رحمه الله، يضع الشخص المناسب في المكان المناسب، ولا يعهد بالمسئولية إلا للقادرين على تحملها بكفاءة وإقتدار.

كما أن الأمر في الوقت ذاته يعكس الثقة التي كان يوليها لشخص الشيخ خليفة سكرتير حكومة البحرين آنذاك السيد « ج. دبليو. آر. سميث » الذي كان نموذجاً لما يوصف به البريطانيون من أنهم يتركون العواطف والمجاملات في المنزل عندما يخرجون للعمل !!

❖❖❖❖


إرادة التحدي

الفصل الخامس

إرادة التحدي

من بين أكثر السمات التي تميز شخصية الشيخ خليفة بن سلمان، هناك سمة خاصة لايمكن لأي كتاب او تحليل يتناول السيرة الذاتية لسموه أن يستكمل الصورة بشكل دقيق دون التوقف طويلاً أمامها. سمة تجلّت في صدر الشباب وجاءت ضغوط وتحديات المسئولية وتقلبات السياسية والحياة، وأحياناً ضربات القدر، لتبرزهافي شخص سموه. ولعلي لا أتجاوز الحقيقة إن قلت أنها تشكل إلى حد كبير مفتاح فهم الشخصية. إنها ذلك المزيج الفريد من قوة إرادة مواجهة الصعب وتوقّد حوافز التحدي داخل نفس سموه تجاهه، والإقدام الجسور على معالجة هذا الصعب ، وربما المستحيل، وقيادة الأمور لتحقيق ما فيه الصالح العام. ترى هل يمكن أن أختصر هذا المزيج من السمات القريبة المتآلفة في عبارة واحدة فأقول إنها.. « إرادة التحدي.. » ؟

أرجو أن يكون في مضمون هذا التعبير كل معاني هذه السمة التى إستوقفتني طويلاً في شخصية الشيخ خليفة، والتى أسعدني كثيراً ان يُجمع على تأكيدها كل الذين أخذت أوراقي ورحت أطرح أسئلتي عليهم من الشخصيات القريبة من سموه والمقربة إليه، وبخاصة أولئك الذين عرفوه معرفة وثيقة وعملوا في خدمة الدولة تحت رئاسته سنوات طويلة.

وقد تجلت هذه السمة للمرة الأولي لجميع المحيطين بالشيخ خليفة في تلك الفترة المبكرة من شبابه، عندما توفي والده الشيخ سلمان في الثاني من نوفمبر عام ١٩٦١ . وكانت هذه أولى الصدمات القوية التى هزت الإبن البار من أعماق كيانه. فقد كان سموه قريباً جداً من والده، ليس فقط ذلك التقارب الوجداني والروحي الذي يجمع بين الأب والإبن، ولكنه كان بالإضافة إلى ذلك تقارباً ذا خصوصية، تماماً كذلك الذي يربط ما بين المعلم القدير والتلميذ النجيب، من رغبة المعلم في أن ينقل لتلميذه أكبر قدر ممكن من خبراته وتجاربه وعلومه، ورغبة التلميذ في أن ينهل

ويستوعب أكثر وأكثر، حباً للمعرفة وتقديراً وإجلالاً ومحبةً للمعلم. إلا أن هذا التقارب لم يؤد يوماً إلى رفع الكلفة بين الأب والإبن، على نحو ما نراه هذه الأيام. فهذا الأسلوب كان أبعد ما يكون عن نهج الشيخ سلمان في تربية أبنائه وعلاقته بهم. وتأكيداً لهذه الحقيقة، يذكر الشيخ خليفة أن أباه ناداه يوما، وأبلغه أنه قد آنس فيه النضج، وعليه فقد آن له أن يتزوج، وأن الزواج سيكون في غداة ذلك اليوم حيث أنه قد خطب له إبنة عمه كريمة الشيخ علي بن حمد آل خليفة. ورغم أن الشيخ خليفة لم يكن لديه أى علم مسبق بالموضوع، فقد تم الزفاف في اليوم التالى، ووقف الوالد سعيداً على رأس مستقبلي المهنئين في حفل زفاف نجله، والذى أقيم في بيت الشيخ علي بن حمد آل خليفة بالمحرق.

ولعل ذلك التقارب الروحي بين الإبن والأب هو ما حبب لكليهما أن يستمر الشيخ خليفة بعد زواجه مقيماً في بيت أبيه بالرفاع لعدة سنوات، قبل أن ينتقل إلى بيت خاص أعُد له بالقرب من قصر أبيه.

وعلى الرغم من هذا التقارب، وعلى الرغم من قلق الوالد من مخاطر السفر إلى الخارج، فإنه لم يتردد لحظة في تشجيع إبنه خليفة على السفر إلى بريطانيا للدراسة، وذلك لإدراكه بمدى أهمية هذه الدراسة في الإسهام في حسن إعداد إبنه للمستقبل. تلك كانت طبيعة الوالد، وتلك كانت قراراته التربوية، التى جاءت الأيام والسنون لتبرهن على سلامتها وحكمتها.

وقد كان الشيخ خليفة سعيداً دوما بتوجيهات والده له، مدركاً أنه يعدّه بحكمة الأب والحاكم لمسئولية ستلقى على عاتقه يوماً ما.

وكان الشيخ سلمان قد إكتشف في إبنه خليفة وهو في بداية شبابه ملكات القيادة التنفيذية. فأخذ يتعهد هذه الملكات بالرعاية، ويبث فيها من الثقة ما يدفعها لأن تنطلق بقوة على طريق النضوج. كما لاحظ الشيخ سلمان في إبنه إتقانه للإنجليزية منذ الصغر، وكياسته في التعامل مع كبار الشخصيات، فاختاره ليكون بمثابة مترجمه الخاص عند لقائه بالشخصيات الأجنبية، وبخاصة عندما كان الأمر يتطلب عقد جلسات مباحثات طويلة مع هذه الشخصيات. وظل الوالد يراقب إبنه عن كثب، ويعهد إليه تدريجياً بمسئوليات تنفيذية أكبر. وعندما آنس فيه النضج والحكمة العملية اللذين كان ينشدهما، أصدر قراراً في نوفمبر عام ١٩٦٠ بتعيين الشيخ خليفة رئيساً لمالية الحكومة. وكان هذا المنصب واحداً من أرفع المناصب الحكومية، حيث كان صاحبه يتمتع بصلاحيات مستقلة عن المجلس الإداري الذى

المغفور له سمو الشيخ سلمان بن حمد
آل خليفة (حاكم البحرين ١٩٤٢ - ١٩٦١)

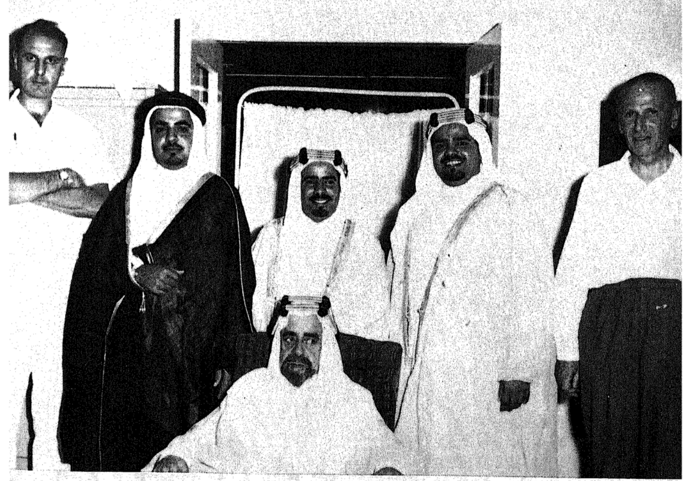


أنشأه الشيخ سلمان عام ١٩٥٦ ليكون نواة السلطة الإدارية العليا في البلاد. وكان الوالد يحرص على أن يكون قرب إبنه منه ذا فائدة مزدوجة. توجيه الأبن فيما أوكل إليه من مسئولية تنفيذية هامة من جهة، وإتاحة الفرصة له لتعلم المزيد عن كيفية إدارة شئون الدولة من جهة أخرى.

❖❖❖❖

وقد شهد عام ١٩٥٩ بداية التدهور الخطير في صحة الشيخ سلمان بن حمد. ففي شهر يونيو من ذلك العام، أصيب بأول نوبة قلبية تركت أثراً واضحاً على حالته الصحية. وكان أن إشتد المرض على الشيخ سلمان خلال النصف الثاني من عام ١٩٦٠، وظل طريح الفراش في بيته في منطقة « سافرة » لنحو عام ونصف العام.

وبقي الشيخ خليفة خلال هذه الفترة قريباً من والده يحاول أن يخفف عنه وطأة المرض، وأن يرد للأب الكريم بعضاً مما يطوق أعناق الأبناء من حق ودين



المغفور له الشيخ سلمان بن حمد وأنجاله الشيخ عيسى والشيخ خليفة والشيخ محمد في مستشفى عوالى (١٩٦٠)

لاحظ الشيخ سلمان في إبنه إتقانه للإنجليزية منذ الصغر، وكياسته في التعامل مع كبار الشخصيات، فاختاره ليكون بمثابة مترجمه الخاص عند لقائه بالشخصيات الأجنبية،

سمو الشيخ خليفة بن سلمان يتولى الترجمة لدى استقبال والده لأحد ضيوف البلاد

المغفور له الشيخ سلمان بن حمد ونجله الشيخ خليفة في إستقبال المقيم السياسي البريطاني في الخليج السيد جورج مدلتون (ابريل ١٩٥٩)

للآباء. وعندما أقعد المرض الشيخ سلمان، وأعجزه عن حضور مجلسه، كلف إبنه خليفة بأن يقدم له تقريراً يومياً عمّن حضر المجلس ومن تحدث فيه، والموضوعات التى طرحت والمشاكل التى نوقشت، والخطوات التى اتُخذت نحو حلها. وقد كان هذا التقرير اليومي في غاية الأهمية بالنسبة للأب، الحاكم الذى لم يكن يطيق أو يسمح بالإبتعاد عن مراعاة شئون الوطن وتصريف أمور المواطنين. ولذلك إجتهد الإبن كى يقدم للوالد ما يريد على أكمل وجه ممكن. وكانت الراحة التى يشعر بها الوالد، عندما يكون التقرير المنقول إليه كاملاً ومستوفياً، تبعث على الإرتياح في نفس الإبن التوّاق لخدمة أبيه والعمل على راحته وإسعاده في مرضه. وبين الحين والأخر كان الأب يمسك بيد إبنه، ويحاول أن يضغط عليها بيد أوهنها المرض، ناظراً إليه دون أن ينطق ببنت شفه، فيما كانت عيناه ووجهه الآمن المرتاح الراضي يقولون الكثير والكثير.

وجاءت وفاة الوالد صباح يوم الخميس ٢ نوفمبر عام ١٩٦١، لتغلف نفس الشيخ خليفة بمشاعر حزن وألم عميقين، ولتأخذه في دوامة لانهائية من الإحساس العميق بالخسارة الفادحة المتمثلة في فقدان الأب والقدوة والمثل والمعلم، بل والمدرسة السياسية التى نهل من ينابيعها المدرارة وجنى من أرضها الخصبة، الكثير من فنون الحكمة والقيادة. ومضت حزينة في نفسه قاسية على وجدانه لحظات تشييع جثمان الوالد إلى مثواه الأخير في مقبرة الحنينية بالرفاع (١). ونهض الإبن مثقلا بأحزانه ليتلقى مع شقيقه التعازي من الشخصيات ورؤساء الوفود الرسمية التى وصلت إلى البلاد لتقديم واجب العزاء، ومنها الشيخ عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت، والشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر وبرفقته الشيخ عبدالعزيز بن أحمد آل ثاني، والشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة، والشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي، والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان شقيق حاكم أبوظبي آنذاك، وصاحب السمو الملكي الأمير ناصر بن عبدالعزيز آل سعود، وصاحب السمو الملكي الأمير ثامر بن سعود، والسيد إبراهيم السويل وزير خارجية المملكة العربية السعودية، وغيرهم من مبعوثي الدول الشقيقة والصديقة.

وقد كان لكلمات هؤلاء القادة والموفدين وقع طيب في نفس الشيخ خليفة، أسهم في التخفيف من وطأة تلك اللحظات المؤلمة ومرارتها.

كما حملت برقيات التعزية العديدة، التى وصلت في هذه المناسبة للشيخ عيسى والشيخ خليفة وللأسرة الكريمة، الكثير من المواساة لنفس الشيخ خليفة، الذى يذكر منها على وجه الخصوص برقيتين رقيقتين إحداهما من الرئيس جمال عبدالناصر والأخرى من الملك سعود بن عبدالعزيز، عكستا عمق

العلاقات الأخوية الوطيدة التي كانت قائمة على عهد الشيخ سلمان بن حمد بين البحرين وكل من مصر والمملكة العربية السعودية.

وقد مست شغاف قلب الشيخ خليفة وبددت بعضاً من سحابات الحزن التى خيمت عليه في تلك الفترة، كلمات ألقاها الأستاذ أحمد العمران، الذى كان مديراً للتربية والتعليم آنذاك، في حفل تأبين للفقيد الراحل أقامته غرفة تجارة البحرين، في القسم الداخلي لمديرية التربية والتعليم، وحضره جمهور غفير من المسئولين والمواطنين والمقيمين. وكان من بين ما قاله الأستاذ العمران « لقد ظل سمو الشيخ سلمان العظيم يجاهد ويكافح ويغالب، وهو الأبي الصلب العنيد، في سبيل الحق والعدل. وإذا ما وضح له الطريق واستبان له الأمر وآمن بصدق رسالته، فانه لا يحيد ولا يلين. وما كان من المرض العضال ولا الصعوبات إلا أن زادته قوة على الصراع ودعمته بروح من الحق والعزم ».

وقد شعر الشيخ خليفة بأن والده رحمة الله عليه، لو كان حياً في تلك اللحظة لأراده أن يكون كما تقول كلمات الأستاذ أحمد العمران « وما كان شأن الصعوبات إلا أن تزيده قوة على الصراع وتدعمه بروح من الحق والعزم ».



جانب من حفل التأبين الذي اقيم للمغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة (ديسمبر ١٩٦١

ثم عرفت الفرحة طريقها من جديد إلى قلب الشيخ خليفة، مع إحتفال البلاد بمبايعة أخيه الشيخ عيسى بن سلمان حاكماً للبلاد في السادس عشر من ديسمبر من العام ذاته. فقد رأى سموه في أخيه إمتداداً لظل الوالد وخطاه. بل إنه شعر وهو يقبّل أخاه الأكبر مهنئا ومباركاً بهذه المناسبة، أنه إنما يقبل ويحتضن والده.

وراح إهتمام الشيخ خليفة بعد ذلك ينصب في همة وحماس على أعباء المسئوليات التنفيذية التى يتحملها، تقوده إرداة التحدي، وتدفعه نحو هدف واحد، هو خدمة الوطن وإنجاز أكبر عدد ممكن من المشاريع التى تسهم في إرساء بنيته الأساسية. فقد كان سموه يدرك أن إرساء هذه البنيه الأساسية يجب أن يكون الخطوة الأولى على طريق تقدم البلاد ورقيها.

ورغم أن قلة موارد الدولة في هذه الفترة كانت في حد ذاتها تحدياً كافياً، وعقبة في سبيل تحقيق هذا الهدف، إلا أن ذلك لم يكن أكبر التحديات التى واجهها سموه بعد فترة وجيزة من وفاة والده.

فلم تكد تمضي أيام قليلة على وفاة الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، حتى تفجرت مفاجأة كان لها وقع الصاعقة على الشقيقين عيسى وخليفة. وقد تمثلت هذه المفاجأة، التى أدرك سموه أبعادها سريعاً، في تلك الأطماع التى أسفرت عن



الأشقاء سمو الشيخ عيسى وسمو الشيخ خليفة وسمو الشيخ محمد (اكتوبر ١٩٦٣)

وجهها القبيح، راغبة في إختلاس شرعية الحكم في البلاد. ومما زاد من الإحساس بالمرارة إزاء هذه الأطماع، أنها كانت صادرة ممن ظُن أنهم سيكونون الدعم والسند، فاذا بهم لا يخفون ما بصدورهم، زاعمين أن الشقيقين الشيخ عيسى والشيخ خليفة (وكان عمرهما نحو الثامنة والعشرين والسادسة والعشرين على التوالي) أصغر من أن يتمكنا من حكم البلاد وإدارة دفة شئون الحكم بالخبرة اللازمة والحكمة المطلوبة.

وهنا تجلت الملكات القيادية الأصيلة التى يتمتع بها الشيخ خليفة. وبدافع من إرادة مواجهة الصعاب دفاعاً عن الحق، جاء تحركه الواعي والحكيم لمواجهة هذه الموقف.

وبفضل الترابط والتلاحم بين الشيخ عيسى والشيخ خليفة، تساندهما محبة وولاء الشعب، أمكن تخطي هذا التحدي الأول من نوعه، ليتمكن الشيخ خليفة من الإنطلاق لتحقيق أحلامه وطموحاته لبلده وشعبه، واثقاً من أن كل نجاح وإنجاز من أجل الوطن، وكل مشروع لتوفير الخدمات والرعاية بكل أشكالها وأنواعها للمواطن، صحية كانت أو تعليمية أو إسكانية أو أمنية أو إجتماعية، سيكون الدرع والسند الكبير لحماية الشرعية والوقوف في وجه أى طامع في الحكم.

❖❖❖❖

ولعلي لا أستبق أحداث وفصول هذا الكتاب، عندما أذكر أن إرداة التحدي في مواجهة الصعب تجلت من جانب الشيخ خليفة في مواقف اخرى عديدة، لا أبالغ إن قلت أن الكثيرين من بني البشر يعجزون عن مواجهتها والصمود أمامها. وأراني مضطراً إلى أن أسوق هنا دليلاً على ذلك، وهو تلك الفترة الحزينة التى توفي فيها إبنه البكر الشيخ محمد وهو لم يزل بعد في ريعان الشباب.

ويعجز القلم عن أن يصور قسوة هذه الفجيعة على نفس الأب المكلوم في إبنه الذي كان يمثل بالنسبة له فرحة العمر الأولى وبهجة الحاضر وأمل المستقبل. فمن يتصور ألم نبأ تشخيص المرض على نفس الأب، وعذاب رحلة العلاج الطويل والمؤلم، حتى فاضت روح الفقيد العزيز إلى بارئها يوم ١٤ يونيو عام ١٩٧٤، ورحلة إعادة الجثمان الطاهر ليدفن في أرض الوطن ؟ هل أفلحت النظارة السوداء التى وضعها الأب على عينيه في إخفاء دموعه التى تحجرت في مآقيها ؟ وهل أمكن لصمته أن يخفي صراخ ذلك الألم الرهيب الذي كاد أن يتفجر في صدره ؟ « يارب سبحانك، لا راد لقضائك.. تعلم أني كنت على إستعداد كامل لأن أفتدي إبنى بكل ما

أملك من جاه وثروة ونفوذ وسلطان، بل وبنفسي دون تردد أو وجل. فقد أمضيت العمر أقصد ما يرضيك وأعمل من أجل بلدي حرصاً على الفوز برضاك في حساب يوم عظيم .. يارب. أللهم ألهمني الصبر والقوة ».

وبرحمة من المولى عز وجل، تغلبت إرادة مواجهة الصعب في نفس الشيخ خليفة على تداعيات اليأس والقنوط. فنهض يواصل رسالته النبيلة من أجل الوطن، وهو أشد قوةً وعزماً على تحقيق المزيد من النهضة والبناء للبلاد.

ومنذ ذلك التاريخ، حرص الشيخ خليفة على أن تتضمن كل خطط وبرامج التنمية التى تضعها الحكومة تطوير الخدمات الصحية للمواطنين، وتوفير كافة سبل الرعاية والعلاج لتكون في متناول الجميع. ومازال حتى يومنا هذا يبذل جهوداً متواصلة لتوفير الأحدث والأرقى من المعدات الطبية والأساليب العلاجية لأبناء وطنه.



سمو الشيخ خليفة بن سلمان مع نجله المغفور له الشيخ محمد في أمسية اجتماعية بأحد الأندية

كما تجلت هذه القدرة العجيبة على التحدى ومواجهة الصعب، عندما أصيب سموه بمرض السكر، ثم بمرض القلب، وأجريت له جراحتان دقيقتان بالقلب، إحداهما بالولايات المتحدة الأمريكية، والأخرى بالمملكة العربية السعودية. وكانت توصيات الأطباء على إثر العمليتين مشدّدة على ضرورة تخفيف الضغوط والأعباء التى يتحملها. واتجهت القلوب المحبة المحيطة بسموه إلى بحث كيفية التخفيف عنه، وهي تعلم جيداً مدى إصراره على مواصلة العمل ليل نهار، لإيمانه العميق بأن هذا هو الأسلوب الذى يستمد منه القوة والحياة.

وخلال هذه الفترة، شهد مكتب الأستاذ محمد المطوع، وكان لايزال حينها مديراً عاماً لمكتب الشيخ خليفة، إجتماعات متواصلة ومطولة، بهدف التوصل إلى حل لمعادلة صعبة تتمثل في « كيفية تخفيف أعباء وضغوط العمل عن سمو رئيس الوزراء، مع الإستمرار في عرض كل القضايا والموضوعات عليه، على نحو ما يرغب »

وجاء الحل كالعادة نابعاً مما يتمتع به سموه من إرادة التحدي وقدرة على مواجهة الصعب. اذ أنه، وبشكل تدريجي، عاد ليمارس قدراً من العمل ومن النشاط الذهني والبدني، أكبر مما كان يقوم به قبل المرض. ولم يكن تحقيق ذلك بالأمر الهين، وإنما كان ثمرة عزيمة ومثابرة. فقد التزم الشيخ خليفة خلال هذه الفترة - وبمنتهى الحزم - بنظام غذائى صارم، مبتعداً عن كافة صنوف الأطعمة غير المناسبة، ومُقبلاً في الوقت نفسه على ممارسة التمرينات الرياضية، وبخاصة المشى، الذي يفضله على غيره من صنوف الرياضة لكونه مناسباً، فضلا عما يتيحه له من فرصة التأمل والتفكير في ما يشغله من قضايا. وكان سموه قد أقلع قبل فترة طويلة عن التدخين، مما أسهم كثيراً في إستفادته التدريجية والمستمرة من ممارسة الرياضة والإلتزام بالنظام الغذائى.

وبفضل هذا الحزم والشدة اللذين أخذ سموه بهما نفسه، أصبحت لياقته مثار دهشة وسعادة المحيطين به. ذلك أنه، وعلى سبيل المثال، في الجولات التفقدية التى يقوم بها سموه لمختلف مواقع العمل والإنتاج في الدولة، فانه كثيراً ما يقرر أثناء الجولة الخروج على خط سيرها المحدد قبلاً، وذلك بالعروج على أقسام يستدعى الأمر زيارتها، أو إذا كانت المناسبة زيارة لمعرض، فان سموه كثيراً مايلبي دعوة العارضين ممن لم يكن يشملهم برنامج الزيارة. وقد يمتد التجوال لأكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات، يعود سموه بعدها إلى مكتبه بالديوان للنظر في كافة الموضوعات المقررة.

❖❖❖❖

ولا أود ان أطيل أكثر من ذلك في الحديث عن هذه السمة، ومدى تأثيرها على مختلف جوانب حياة الشيخ خليفة، وذلك حتى لا أبتعد كثيراً عن تسلسل السياق التاريخي للأحداث. وعودةً إلى النقطة التى توقفنا عندها في هذا السياق، فان الشيخ خليفة، بالإضافة إلى مسئولياتة، عين في ١٥ مايو عام ١٩٦٢ رئيسا لبلدية المنامة، وذلك خلفاً للشيخ عيسى بن سلمان، الذى كان قد ترأس البلدية منذ عام ١٩٥٦، إثر تكليف الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة برئاسة المجلس الإداري.

❖❖❖❖

وتعد البحرين ثالث دولة عربية، بعد مصر وسوريا، في مجال إنشاء المجالس البلدية، وذلك بعد أن خطت في عام ١٩١٩ أولى خطواتها على طريق إقامة أجهزتها الإدارية، بإنشاء أول بلدية فيها، وفي العام ذاته بدأ تطبيق التعليم النظامي في البحرين.

ثم شهد عام ١٩٢٠ بداية تشكيل المجلس البلدي، الذى كان يضم ثمانية أعضاء من وجهاء وأعيان البلاد برئاسة الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة.

وتزامن تأليف هذا المجلس مع بدء إنطلاقة البحرين نحو التنظيم الإداري الحديث لأجهزة الدولة. فقد أتاحت الميزانية الأولى التى خصصت للبلدية في العام الأول لتشكيل مجلسها (١٩٢٠) الفرصة أمامها لتقدم خدماتها للمواطنين على نحو ممتاز. وقد أعانها على ذلك صدور أول لائحة قانونية في الثاني من يناير عام ١٩٢٠ . واقتصر دور البلدية في بداية عهدها على ترميم البيوت والمحال التجارية، وإزالة تلال القمامة التى كانت متكدسة فى معظم شوارع المدينة. ثم تزايد نشاطها واتسعت صلاحياتها بشكل سريع ومنتظم.

ولدى إنشائها، شغلت بلدية المنامة قسما من مبنى يمتلكه واحد من كبار تجار البحرين، هو الوجيه يوسف بن أحمد كانو. ثم انتقلت عام ١٩٢٣ إلى مبنى مستقل خاص بها، بعد أن إتسعت مجالات نشاطها، وزادت أهميتها لدى الدولة والشعب.

وحتى عام ١٩٢٩ كان الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة (نائب الحاكم آنذاك)، يتولى رئاسة بلدية المنامة. وفي عهده تطورت شئونها تطوراً كبيراً، تدل عليه زيادة عدد أعضاء المجلس البلدي - في عام ١٩٢٤ - إلى ٢٤ عضوا، أختير نصفهم من بين أهالي منطقة المنامة بالإنتخاب، بينما عُين النصف الآخر. وتمثل هذه الانتخابات أهمية تاريخية خاصة. فقد كانت الأولى من نوعها في البلاد، وبها سبقت البحرين دولا كثيرة في اتباع هذا النهج الديمقراطى المتطور.

وفي عام ١٩٣٨ كُلف الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة للمرة الثانية، برئاسة البلدية، خلفاً لشقيقه الشيخ محمد.

وظلت البلدية تضطلع بمهامها فى العديد من المجالات مثل النظافة، وصيانة الشوارع وتشجيرها، وتحصيل الرسوم من البيوت والمحال التجارية، وإنشاء الطرق الجديدة، والإشراف على سيارات الأجرة، والرقابة الصحية والأمنية على المطاعم والأسواق، وتحديد الأجور، وإصدار البطاقات التموينية للمواطنين (وهو الأمر الذى كانت له أهمية خاصة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية) وكذلك إصدار القوانين واللوائح المنظمة لكافة هذه الأنشطة.

وفي عام ١٩٢٤، شهدت البلدية دخول أول سيارة مجهزة ميكانيكياً إلى الخدمة. وبحلول عام ١٩٣٤ كان عدد السيارات من هذا النوع قد إرتفع إلى أربع. وفى عام ١٩٣٦، حصلت البلدية على أول سيارة إطفاء، وكان لذلك قصة.

ففي الثانى من رمضان عام ١٣٥٥ هجرية (١٩٣٦م) شب حريق ضخم في سوق المنامة، أتى على عدد كبير من المتاجر. ولم يكن لدى البلدية، أو أية جهة أخرى، من الوسائل ما تكافح به هذا الحريق المدمر الذى ظل مشتعلاً لعدة أيام. وبعد هذا الحادث مباشرة، قامت البلدية بشراء أول سيارة إطفاء وإنشاء أول فرقة لمكافحة الحريق. ومنذ ذلك التاريخ، تحرص البلدية على إقتناء أحدث سيارات الإطفاء، وتدريب طواقمها، حتى تتمكن من حماية أرواح الناس وممتلكاتهم من أخطار الحريق.

وإمتدت أنشطة البلدية لتشمل الخدمات الصحية. ففي عام ١٩٣٢، أنشأت ماكان يعرف باسم « مستشفى المجانين » فى أحد المنازل فى « فريق الحمام ». وفي عام ١٩٣٧، تم نقل المستشفى إلى المقر الذى يشغله حالياً مستشفى الأمراض العصبية والنفسية. وظل المستشفى تابعاً للبلدية حتى عام ١٩٤٦، عندما تولت السلطات الصحية في البلاد مسئولية إدارته.

وحرصاً على توفير الأمن والراحة للمواطنين، أولت البلدية عناية خاصة لمشاريع إنارة الشوارع والأسواق بالمصابيح الكهربائية والغازية. كما أنشأت في عام ١٩٣٦ أول حديقة عامة في البلاد، وزودتها ببعض الحيوانات البرية والمستأنسة، لتكون واحداً من أوائل المظاهر الحضارية التى شهدتها البلاد فى تاريخها الحديث.



سمو الشيخ خليفة بن سلمان
آل خليفة في نهاية الستينات

وفي عام ١٩٥٦، عُين سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة رئيساً لبلدية المنامة، خلفاً للشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة الذى اسُندت إليه رئاسة المجلس الإداري. وتقديراً للدور المهم الذى تقوم به البلدية لخدمة المواطنين، خصص سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة في عام ١٩٥٩ قطعة أرض بحرية، وأمر بردمها وإعدادها لإنشاء مبنى خاص لبلدية المنامة. وبعد وفاة سموه، في الثانى من نوفمبر عام ١٩٦١، تسلم مقاليد الحكم فى البلاد سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، الذي خلَفه فى رئاسة البلدية سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة.

وفي السادس عشر من ديسمبر عام ١٩٦٢، وبمناسبة الذكرى الأولى لعيد جلوسه، تفضل حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى بإفتتاح مبنى البلدية الجديد.

ويعد هذا المبنى، الذى تشغله بلدية المنامة منذ ذلك التاريخ، واحداً من المعالم التاريخية الرئيسية التي شهدت مراحل صنع تاريخ البحرين الحديث. فقد كان مسرحاً للعديد من التطورات السياسية ذات الأهمية البالغة. ففي إحدى قاعاته إفتُتح المجلس التأسيسى والمجلس الوطنى وعقدت إجتماعاتها. كما شهد المبنى عدداً آخر غير قليل من المناسبات التاريخية والوطنية التي لاتنسى.

وفي ١٧ سبتمبر عام ١٩٦٧، عين الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة رئيساً لبلدية المنامة خلفاً لسمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة الذى تولى منصب رئيس المجلس الإدارى.

❖❖❖❖

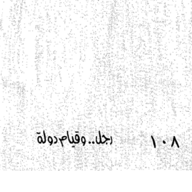
وعودة إلى التسلسل التاريخى للأحداث، نرى أن القضاء على الفتنة ودحر الطامعين في الحكم ، لم يكن آخر التحديات التي واجهت الشيخ خليفة بن سلمان. بل على العكس من ذلك، كان بداية سلسلة من تحديات أخرى لاتقل أهمية وخطورة، تمثلت في بناء الأمة وتثبيت أركانها، وتحقيق النجاح الذى شك الطامعون في إمكانية تحقيقه على أيدى الشابين عيسى وخليفة.

❖❖❖❖

هوامش (١) الجدير بالذكر ان المغفور له الشيخ سلمان بن حمد قد ولد يوم الاثنين ١٥ ربيع الثاني عام ١٣١٢ هجرية الموافق ١٠ اكتوبر عام ١٨٩٤)



وفاة الشيخ سلمان كانت اولى الصدمات القوية التى هزت الابن البار من اعماق كيانه




من أجل بلدي



الفصل السادس

من أجل بلدي

في إطار من التأكيد الحازم على أمن واستقرار البلاد، عمد سمو الشيخ خليفة في المرحلة التي أعقبت وفاة الوالد المغفور له الشيخ سلمان بن حمد، إلى دعم جهود تطوير البنية الأساسية وتعزيز حركة البناء والعمران. وقد كان للسمات والصفات التي تُميز شخصية الشيخ خليفة، من عزم قوي وإصرار على تحقيق النجاح مهما كانت الصعوبات والتحديات، أثرها المباشر والفعّال في تحقيق العديد من الإنجازات الوطنية. وبرغم إضطراري في هذا الفصل، وفي الكثير غيره من فصول هذا الكتاب، إلى أن أشير إلى إنجازات عديدة تحققت على يديه، إلا أن الغرض الأساسى من وراء ذلك ليس تعديد الإنجازات، بقدر ما هو تأكيد أن طبيعة هذه الشخصية السياسية الفذة، بكل ما تملكه من عوامل القوة، كانت سبباً هيأه المولى عز وجل لبلادنا الطيبة، في مرحلة دقيقة من تاريخها الحديث، لتحقيق هذه النهضة التنموية الشاملة، وتلك المكانة المرموقة التى نفخر ونعتز بها اليوم.

وإنني لعلى ثقة بأنه إذا كان من حقنا أن نشعر بهذا الفخر والإعتزاز بمكانة البحرين بين الدول، وبإنجازاتها التي كان من المستحيل قبل ثلاثين أو أربعين عاما تصور - مجرد تصور - تحقيقها، فإنه من الواجب في الوقت نفسه على كل باحث أومحلل، أن يغوص في أعماق الأحداث، ليقدم للناس وللتاريخ حقيقة الدوافع الكامنة وراء تلك الإنجازات التى تحققت للبحرين في غضون سنوات قليلة، وفي ظل ما نعرفه جميعا من حقائق محدودية الدخل والموارد.

ولم يكن سمو الشيخ خليفة بن سلمان يملك عصاً سحرية ليحقق بها ما تحقق. ولكنه كان يملك في ذاته ما هو أقوى من العصا السحرية: عقلية عصرية متفتحة ومدركة تماما لكل معطيات العصر وعوامل تفاعله على مختلف

الأصعدة، وإرادة صلبة حديدية لا تلين أمام الصعوبات والعوائق، وقدرة مذهلة على مواجهة التحديات، وإصرار لا حدود له على تحقيق النجاح. وليس أبلغ للتعبير عن ذلك من مقولته « الإصرار على النجاح، هو الخطوة الأولى على طريق تحقيق النجاح » والتي يرددها على مسامع العاملين معه، كلما بدا ذلك النجاح صعبا أو بعيد المنال. بهذه الصفات كانت إنطلاقة سموه للعمل من أجل البحرين.

❖❖❖❖

وإلتزامًا بالسياق التاريخي، فانه من الجدير بالذكر أن البحرين شهدت في هذه المرحلة المبكرة من مشوار الشيخ خليفة العملي، ذلك الإحتفال الذي أقيم مساء يوم الخميس ٣٠ أبريل عام ١٩٦٢، بمناسبة قيام سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البلاد بقص الشريط، إيذانا بافتتاح أضخم مشروع عرفته البحرين حتى ذلك الوقت، وهو « ميناء سلمان » الذى تكلف إنشاؤه مايقارب أربعة ملايين جنيه إسترليني، وهو مبلغ وصفه لى صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء بأنه كان ضخماً للغاية بمقاييس ذلك الوقت. مشيراً سموه إلى أن التفكير في بناء هذا الميناء العميق كان قد بدأ بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، ولم تتوفر للبلاد الإمكانات المالية لتنفيذه إلا في عام ١٩٥٣ . وقد بدأ تنفيذ المشروع في أواخر عام ١٩٥٦، وجرت توسعته أثناء سير العمل ثلاث مرات.

وإعتباراً من أواخر عام ١٩٦٢، وفي ظل قيادة سمو الشيخ عيسى بن سلمان حاكم البلاد، وبدعم قوي وجهد متواصل من سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس بلدية المنامة ورئيس مالية الحكومة، شهدت البحرين إفتتاح عدد من المشاريع الضخمة، كان أولها مشروع مطار البحرين الدولي الذي تم إفتتاحه يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٦٢ . (والجدير بالذكر في هذا الصدد، أن تاريخ هبوط أول طائرة ركاب في البحرين يعود إلى شهر أكتوبر عام ١٩٣٢، عندما هبطت طائرة تابعة للطيران البريطاني في الأرض القريبة من نادي الخريجين حالياً). وبعد الإحتفال الكبير بافتتاح مطار البحرين الدولي، غادر موكب سمو الحاكم إلى موقع آخر، حيث إفتتح جسر الشيخ حمد الجديد الموصل بين المنامة والمحرق، بعد أن أصبح الجسر الذى بُني في عهدسمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين (١٩٣٢ -١٩٤٢) غير قادر على استيعاب الحركة المرورية التي تزايدت كثافتها مع التطور الذي بدأت تشهده البلاد. وقد قام عدد من قصابي منطقة المحرق بنحر الذبائح أمام موكب الحاكم ابتهاجاً وتيمناً بهذه المناسبة السعيدة.



سمو الشيخ عيسى بن سلمان (حاكم البحرين) وسمو الشيخ خليفة بن سلمان (رئيس بلدية المنامة) في إفتتاح مبنى بلدية المنامة (ديسمبر ١٩٦٢)

ومن موقع عمله كرئيس للبلدية ورئيس لمالية الحكومة، بدأ الشيخ خليفة بن سلمان في وضع الخطط والدراسات اللازمة لتوفير إحتياجات المواطنين في مجال الخدمات العامة، وترتيب الأولويات بالنسبة لهذه الخدمات. وقد إحتل السكن اللائق والصحى لكل مواطن، مكان الصدارة على قائمة هذه الأولويات. وانطلاقاً من هذا المبدأ، وضعت الحكومة الخطط والبرامج التي بدأت تؤتي ثمارها خلال النصف الأول من عام ١٩٦٢، عندما قام الشيخ خليفة بتوزيع مائتي « وثيقة ملكية » على أهالي قرية المالكية. وفي النصف الثاني من العام نفسه، وبالتحديد في تمام الساعة السادسة والنصف من مساء يوم السابع من أغسطس، أدار سموه مفتاح توصيل الطاقة الكهربائية إلى قرية كرباباد.

ومع رسوخ مبدأ « توفير المسكن المناسب لكل مواطن » على قائمة الأولويات، حرصت الدولة على تخصيص جهة حكومية تتحمل مسئولية الإستمرار في تطبيق هذا المبدأ الرئيسي والمهم. من أجل ذلك، صدرعن حاكم البحرين في ١١ سبتمبر عام ١٩٦٢ المرسوم رقم ٢ لسنة ١٩٦٢، الخاص بإقامة

سمو الشيخ خليفة يرعى الإحتفال بتوصيل الكهرباء لمناطق توبلي والنويدرات والمعامير والعكر ووادیان (يناير ١٩٦٥)

مشروع الإسكان والتمليك. وقد جاء في هذا المرسوم « نحن عيسى بن سلمان آل خليفة، حاكم البحرين وتوابعها، ورغبة منا في تيسير حياة أفضل لذوي الدخل المتوسط والمحدود من أبناء شعبنا العزيز، وبناءً على ماعرضه علينا رئيس المالية، قررنا إصدار هذا المرسوم ......». وكان المرسوم إيذاناً ببدء المسيرة الحكومية نحو توفير المسكن الصحي الملائم لكل مواطن. وقد شُكلت لهذا الغرض « لجنة الإسكان » التى ضمت فى عضويتها كلا من السيد علي عبدالرحمن الوزان، والسيد عبدالله غلوم، والسيد صادق محمد البحارنة، والأستاذ أحمد العمران.

وتنفيذاً لما ورد في هذا المرسوم، واحتفالاً بعيد الجلوس الأول للشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين، قام الشيخ خليفة بن سلمان رئيس المالية ورئيس لجنة الاسكان في ١٦ ديسمبر عام ١٩٦٢ بتوزيع ٤١ بيتاً في مدينة المحرق، و٢٤٤ بيتاً في المنامة. ولم تمض أيام حتى قام الشيخ خليفة أيضاً، في يوم الخميس ٢٠ ديسمبر ، بتوزيع ٨١ وثيقة ملكية لاهالي مدينتي المنامة والمحرق.

وفي إطار إهتمامه بخدمات الإسكان، قام سمو الشيخ خليفة بعد ظهر يوم الأحد التاسع عشر من مايو عام ١٩٦٣ بإدارة مفتاح التشغيل، ليتدفق الماء العذب إلى منطقة الحد. وقد بلغت تلكفة هذا المشروع نصف مليون روبية (٥٠ ألف دينار) وتم من خلاله تغذية نحو ١٥٠ منزلاً بالماء العذب.

ومرة أخرى تجلت إرادة التحدي ومواجهة الصعب من جانب الشيخ خليفة، وذلك من خلال الإصرار والعزم والجهود التى بذلها لإتمام مشروع إنشاء مدينة سكنية كاملة. فقد كانت إدارة الإسكان، التي تم إلحاقها بدائرة المالية، تقوم بوضع الدراسات للمشاريع الإسكانية، ثم تعرضها على اللجنة الإستشارية للإسكان، التى كان يترأسها الشيخ خليفة، وذلك للنظر في هذه المشروعات ودراستها دراسة متأنية، وبحث التوصيات المتعلقة بها بحثاً مستفيضاً. وبصفته رئيساً للمالية، كان سموه يبذل أقصى ما يمكنه من جهد في متابعة الإعداد للمشروعات الإسكانية، والعمل على رصد الميزانيات اللازمة لإنجازها دون تأخير. وسارت الأمور على هذا النهج من مشروع إلى مشروع، حتى سنحت الفرصة أمام صاحب السمو الشيخ عيسى والشيخ خليفة ليتوجا جهودهما في توفير السكن المناسب لكل مواطن، من خلال إقامة مدينة حديثة ومتطورة في المنطقة الكائنة بين المنامة والرفاع، تمثل أكبر مشروع إسكاني حديث يقام في منطقة الخليج العربي في ذلك الوقت.

ومع بدء الخطوات التنفيذية لإنجاز هذه الخطوة العملاقة عام ١٩٦٤، دبت الحركة والنشاط في منطقة المشروع الذي تضمنت تخطيطاته، بالاضافة إلى المساكن والمدارس والمراكز الصحية، إنشاء إستاد رياضي حديث، فضلا عن العديد من المرافق والخدمات اللازمة لتوفير سبل الراحة والحياة الكريمة للمواطنين. وكانت الزيارات الميدانية المتكررة التى قام بها الشيخ خليفة لموقع المشروع، بمثابة حافز قوي لجميع العاملين فيه. فقد كان حريصاً على التواجد معهم بشكل شبه يومي. وكان تشجيعه لهم حافزاً على بذل المزيد من الجهد، ومواصلة الليل بالنهار، وصولا إلى يوم الإنجاز الكبير.

وقد تم إنجاز هذه المشروع التاريخي في عام ١٩٦٨ . وقام سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البلاذ بإفتتاح المدينة الجديدة، في إحتفال كبير أقيم بهذه المناسبة في إستاد المدينة، وشارك فيه أربعة الآف طالب وطالبة، قدموا مجموعة من الإستعراضات والتشكيلات الجميلة. وتكريماً لحاكم البلاد، وعرفاناً من المواطنين بجهوده في إنجاز هذا المشروع الحيوي، قرر سمو الشيخ خليفة تسمية المدينة الجديدة بإسم « مدينة عيسى ».



سمو الشيخ خليفة بن سلمان والشيخ محمد بن مبارك والسيد محمود ا
يطلعون على التصاميم للمساكن والمرافق الخاصة بإنشاء مدينة عي



سمو الشيخ خليفة بن سلمان يلقى كلمته في الإحتفال الذى أقيم بمناسبة وضع حجر الأساس لمدينة عيسى (١٩٦٥)

سمو الشيخ عيسى بن سلمان وسمو الشيخ خليفة بن سلمان يطلعان على مجسم لمدينة عيسى (١٩٦٥)

ومنذ ذلك الوقت، تَسارع دوران عجلة بناء المساكن والمرافق الصحية للمواطنين. كما استمرت قيادة البلاد في تقديم الأراضي للمواطنين لكي يشيّدوا عليها مساكنهم، بالإضافة إلى تقديم المساعدات للأشخاص غير القادرين على بناء المساكن.

وبرغم الأعباء التى فرضها مشروع المدينة الجديدة، إلا أن الحكومة إستمرت في توصيل الخدمات وإنشاء المرافق في جميع مناطق البحرين عامة والقرى خاصة. ففي منتصف عام ١٩٦٤ قام سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس المالية ورئيس بلدية المنامة آنذاك، بإفتتاح مستشفى الولادة بمنطقة سترة.

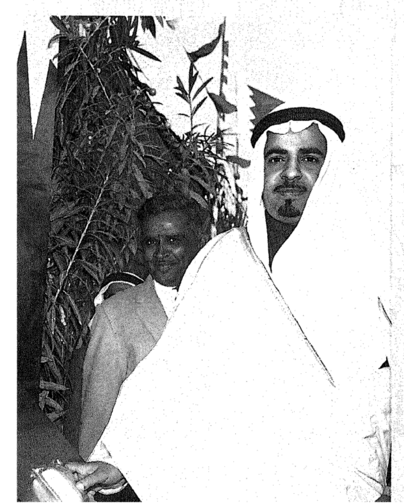
وقد خصصت الحكومة الكثير من الأموال لتوصيل الخدمات للمواطنين في جميع المناطق، حيث أعلنت في أكتوبر عام ١٩٦٤ عن خطة لتزويد قرى منطقة سترة ومنطقة الخميس وطشان وجدحفص والسنابس والديه ومنى ومرزون والمالكية وكرزكان وغيرها بالماء. وقد بلغت تكاليف هذه المشروعات أكثر من ثلاثة ملايين روبية (٣٠٠,٠٠ دينار). كما عمد الشيخ خليفة في إطار هذه النهضة العمرانية، إلى دعم الجهود الرامية إلى رفع المستوى التعليمي في البلاد، وإعداد الكوادر الوطنية للتعليم، وذلك عن طريق إفتتاح المعهد العالي للمعلمين في عام ١٩٦٦ .



سمو الشيخ خليفة بن سلمان يوزع وثائق الملكية لأهالي قرية المالكية (١٩٦٢)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان يدير مفتاح توصيل الكهرباء إلى قرية كرباباد (أغسطس ١٩٦٢)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان يدير مفتاح توصيل الكهرباء إلى قرية الجسرة (١٩٦٣)

إحتل السكن اللائق والصحي لكل مواطن، مكان الصدارة على قائمة الأولويات.
سمو الشيخ خليفة بن سلمان يتابع مواقع الإنشاءات لبيوت مدينة عيسى (ديسمبر ١٩٦٤)

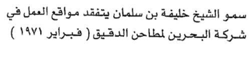
تجلت إرادة التحدي ومواجهة الصعب من جانب الشيخ خليفة، وذلك من خلال الإصرار والعزم والجهود التى بذلها لإتمام مشروع إنشاء مدينة سكنية كاملة.
سمو الشيخ خليفة بن سلمان وجولات مستمرة لتفقد بيوت مدينة عيسى (١٩٦٤)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان مع أهالي منطقة سترة بعد إفتتاح مستشفى الولادة في سترة (اغسطس ١٩٦٤)

سمو الشيخ خليفة بن سلمان يضغط على زر توصيل المياه العذبة إلى منطقة الحد (مايو ١٩٦٣)




سمو الشيخ خليفة بن سلمان يتفقد مواقع العمل في شركة البحرين لمطاحن الدقيق (فبراير ١٩٧١)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان يتفقد المنطقة الصناعية في ميناء سلمان (يونيو ١٩٦٥)



سـمـو الشـيخ خليـفـة بن سلمـان آل خليـفـة
(رئيس المجلس الإداري رئيس الماليـــة)
في مكتبه بدار الحكومة - منتصف الستينيات .

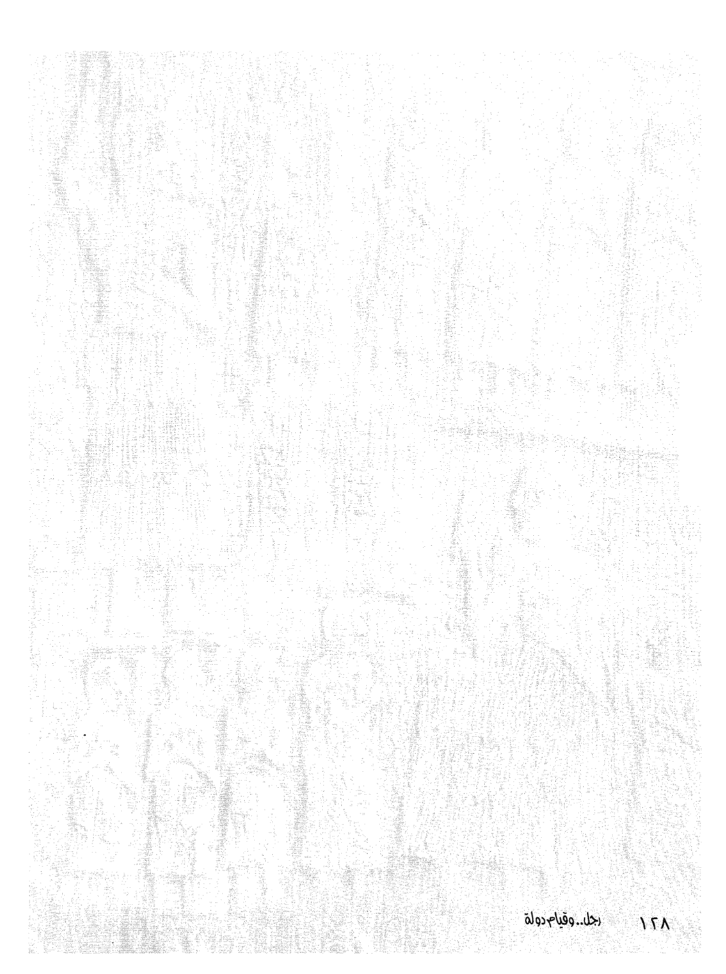
وقد شهد مطلع الستينيات، مع تولي سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة مقاليد الحكم، بداية إرساء قواعد الدولة الحديثة. فتعددت المشاريع في كل مجال، وتسارعت حركة العمل في كل موقع. وكان سمو الشيخ خليفة يتابع بنفسه كل لبنة تضاف إلى هذا الصرح العظيم. ورغم ذلك، ظلت التنمية العمرانية وتوفير المساكن اللائقة للمواطنين شغله الشاغل. ومازال حتى يومنا هذا، يضع هذا الهدف النبيل في موقع الصدارة على قائمة إهتماماته وأولوياته.

ولم تتوقف جهود الحكومة في مجال التنمية العمرانية عند حد، فتوالت الإنجازات يوماً بعد يوم. وتم إنشاء مدينة حمد، وآلاف الوحدات السكنية في مختلف أرجاء البلاد. ولسنا هنا في معرض الحديث عن تفاصيل هذه الإنجازات. ولكن هناك واقعة صغيرة أود الإشارة إليها. فقد حدث في أوائل عام ١٩٧١ أن قام سمو الشيخ خليفة بزيارة إلى منطقة أم الحصم. وهناك، لاحظ أن عدداً كبيراً من المواطنين يعيشون في بيوت مبنية من سعف النخيل. ولم تمض على تلك الزيارة شهور قليلة حتى وضع بنفسه حجر الأساس لمشروع أم الحصم الإسكاني، الذى ضم اكثر من مائة وحدة سكنية، أعطى الأولوية في توزيعها لساكنى بيوت سعف النخيل.





رفيق الدرب



الفصل السابع

رفيق الدرب

يتذكر سمو الشيخ خليفة بن سلمان أنه مع بداية النصف الثاني من الستينيات، بدأت طموحاته تتجه نحو التنمية الاقتصادية بركيزتيها التجارية والصناعية، وأنه كان في تلك المرحلة يبذل الكثير من وقته وجهده، دارساً ومستطلعاً وباحثاً ومتشاوراً مع كل ذي خبرة، في الإمكانات والسبل المتاحة لبلوغ هذا الهدف المنشود، وعلى أسس سليمة. وكان هذا التوجه من جانب الشيخ خليفة سبباً في توثيق علاقة التعاون بينه وبين المغفور له السيد محمود أحمد العلوي. فمن خلال رئاسته لمالية الحكومة، لمس الشيخ خليفة الخبرة المالية والإقتصادية النادرة التى كان يتمتع بها السيد محمود العلوي. وبحس وطنى مرهف، وإدراك كامل لأبعاد المسئولية، سعى الشيخ خليفة للإستفادة الكاملة من خبرات هذه الشخصية ومشورتها في هذا المجال، من أجل وضع التصور وتحديد خطوات التنفيذ على طريق التنمية الاقتصادية.

ويقول سمو الشيخ خليفة أن هذه الفترة شهدت مشاورات ومناقشات مطولة بينه وبين السيد العلوي. وحرصاً على إستمرار الإتصال بينهما دون حواجز، رأى كلاهما أنه من غير الضرورى أن يشغل كل منهما مكتباً منفصلا. وعليه، فقد تشاركا في مكتب واحد بمبنى السكرتارية، حيث كانت المشاورات بينهما لا تكاد تتوقف إلا لتستأنف من جديد.

ومن أجل توفير إحصاءات حديثة ودقيقة تكون سنداً للتخطيط الإقتصادي، وتوضح ترتيب الأولويات في ما يتعلق بإحتياجات المواطنين، خصوصاً إثر االتطور الذى طرأ على مختلف أوجه حياتهم، إتفق سمو الشيخ خليفة والسيد العلوي على ضرورة إجراء التعداد السكاني الرابع في البحرين، والذي أجري بالفعل في ١٣ فبراير ١٩٦٥ .

وكان سمو الشيخ خليفة قد رأى في عام ١٩٦٤ أن الوقت مناسب لتحقيق تلك الأمنية التى ظلت تراوده طويلاً، وهى أن تكون للبحرين عملتها الوطنية الخاصة بها، تحمل شعار ورمز هذه البلاد وإسمها العزيز. ولأن العملة بالنسبة لأي بلد لا تعني مجرد نقود معدنية أو ورقية يتم سكها للتداول، وإنما تعنى أيضاً جزءاً من نظام عالمى للنقد يحدد قيمتها حسب أسس معروفة. وقد أعرب الكثيرون آنذاك عن تخوفهم من فشل الفكرة أو صعوبة تنفيذها. والجدير بالذكر ان هذه الأمنية كانت تراود ايضاً المغفور له الشيخ سلمان منذ ان إستلم الحكم، حيث تؤكد الوثائق ان مذكرة ارسلت من سموه إلى مستشار الحكومة في ١٨ فبراير ١٩٤٩ جاء فيها « لابد وان تذكرون انه جرت مذاكرة من مدة في خصوص النقد والعملة التى سنعمل لتداولها في البحرين، وإن شاء الله تتسع إلى أزيد. انني أرى من الواجب الأهتمام بذلك بالسرعة وإن أحوج الأمر إلى خبير فني في معرفة النقد وتداوله ممكن طلبه من لندن لاخذ إفاده من رأيه ويكون إرتباط العملة بالجنيه الاسترليني فأرجو أن تهتموا بأسرع وقت. هذا مالزم بيانه والسلام عليكم ». ولعل هذه واحدة من المقارنات التي تؤكد على امتداد وتواصل الفكر السياسي بين الأب سمو الشيخ سلمان بن حمد والابن سمو الشيخ خليفة بن سلمان.

❖❖❖❖

ويعد تاريخ تطور النظام النقدي في البحرين أحد السجلات التى تحوي رواية موضوعية للمراحل التى مربها تاريخ البلاد. فهناك إجماع بين الباحثين والمؤرخين على أن البحرين كانت من أوائل دول الخليج التى عرفت إستخدام النقود بأشكال مختلفة، لتنظيم المعاملات المالية والتجارية، سواء في مجال التجارة الخارجية أو الداخلية. وقد ظلت العملات الرومانية القديمة وسيلة للتعاملات المالية في منطقة الخليج لفترة طويلة إمتدت حتى أوائل القرن الماضي، عندما أصبح الدولار النمساوي الذي كان معروفاً باسم ريال « ماريا تريزا » العملة الأكثر تداولاً في المنطقة. وإلى جانب الدولار النمساوي كانت هناك الليرة التركية والروبية الهندية وبعض العملات الأخرى.

إلا أن تزايد حجم التجارة بين البحرين والهند، خصوصاً في مجال تجارة اللؤلؤ، جعل الروبية الهندية أجدر بأن تكون العملة الأكثر تداولاً في البحرين. وقد ساعد على ذلك كون الدولار النمساوي عملة قديمة جداً، وصعوبة تحويله إلى روبيات، حيث كان يساوي روبية واحدة وخمس آنات وخمس بيزات. لذلك كان من غير الطبيعي بقاؤه كعملة مسيطرة على النظام النقدي في البحرين.

وهكذا تحولت الروبية الهندية من مجرد عملة قابلة للتداول في البحرين وتوابعها عام ١٨١٨، إلى العملة الرسمية للبلاد عام ١٨٨٠ .

وظل الحال على ما هو عليه حتى مطلع الخمسينيات من هذا القرن، عندما تعرضت الهند لعمليات تهريب واسعة النطاق، إستهدفت إدخال الذهب إلى الأراضي الهندية بصورة غير مشروعة. وكان المهربون يبيعون هذا الذهب بالروبية، ثم يهربون حصيلة البيع إلى خارج الهند، حيث يحولونه إلى عملة صعبة، مما كان يعود عليهم بأرباح طائلة. إلا أن عمليات تهريب الذهب وتجارة العملة أدت بمرور الوقت إلى إضعاف موقف الروبية، وإلحاق ضرر كبير بالإقتصاد الهندي. وفي إطار سعيها لمكافحة هذه الظاهرة قامت الحكومة الهندية في عام ١٩٥٥، بإصدار عملة شبيهة بالروبية الهندية هي « الروبية الخليجية »، بغرض ان تصبح عملة خاصة بمنطقة الخليج وحدها. ووافق حاكم البحرين في ١٨ فبراير عام ١٩٥٧ على قانون العملة الهندية « المعدل »، وفي ٣١ مارس عام ١٩٥٧ إتفقت جميع بنوك البحرين على أن يكون ذلك اليوم عطلة، وذلك بمناسبة إدخال العملة ذات النظام العشري، حتى يسهل تحويل الحسابات إلى العملة الجديدة. إلا أن غالبية الموظفين في البحرين إستمروا في إستلام رواتبهم بالعملة القديمة عدة شهور، حيث لم يكن هناك ما يكفي من العملة الجديدة لصرف الرواتب والأجور.

وطبقاً لذلك النظام النقدي الجديد، قُسّمت العملة إلى مائة وحدة نقدية، أطلق على كل واحدة منها اسم « بيزة ». وحدد قرار حاكم البحرين فترة إنتقالية يُسمح خلالها بتداول العملة الموجودة في الأسواق، ثم تسحب بعدها من التداول. وحتى لا تكون هناك ثغرة يمكن من خلالها إستغلال الفترة الانتقالية، ألزم هذا القرار جميع الجهات المعنية بعرض الجدول الذي يوضح قيمة العملة الجديدة بالنسبة للعملة التى كانت متداولة في الأسواق قبل تاريخ صدور القرار.

ومع بداية شهر يوليو من نفس العام، بدأ ظهور أوراق مالية مزيفة من فئة المائة روبية. ولكن نظراً لرداءة تزييفها، أمكن اكتشافها بسهولة، وأمكن تحديد أرقامها بسرعة.

ولحماية سوق النقد في البحرين، أعلنت الحكومة في ٣٠ مارس عام ١٩٦٣ عدم قبول تداول قطع النقود التى تحمل « رأس الملك » إعتبارا من ذلك اليوم. وألزم هذا الإعلان جميع من لديهم هذا النوع من العملة المعدنية بأن

يقوموا بإستبدالها خلال أسبوع لدى البنك الشرقى المحدود (تشارترد بنك حاليا). وبعد انتهاء المهلة، مُنع دخول هذه العملة إلى البلاد منعاً باتاً.

❖❖❖❖

ثم جاء عام ١٩٦٤، ليشهد أولى ثمار الجهود التى بذلها سمو الشيخ خليفة على مدار السنوات السابقة. وقد تمثلت هذه الثمرة في تأسيس « مجلس نقد البحرين » الذى بدأ مزاولة مهامه وسط ظروف بالغة الصعوبة، كان من أبرزها التنافس الشديد الذي إشتعل بين مختلف أنواع العملات. وكان تأسيس هذا المجلس بحق نقطة تحول هامة في تاريخ إقتصاد البحرين بصفة عامة، وتاريخ نقدها بصفة خاصة. وقد تتابعت قرارات المجلس التى إستهدفت تنظيم أوضاع النقد في البلاد. وفي إطار قرار إستخدام الروبية، أصدر رئيس مالية الحكومة الشيخ خليفة بن سلمان إعلانا في ٦ اكتوبر عام ١٩٦٥ بشأن « نظام إستيراد العملة إلى البحرين ». وبمقتضى ذلك الإعلان مُنعت عمليات إستيراد الأوراق المالية المعروفة باسم روبية الخليج، كما مُنع إستيراد قطعة العملة المعدنية التى كانت تعرف باسم مسكوكات الخليج. وحدد الإعلان مقدار ما



سمو الشيخ خليفة بن سلمان (رئيس المجلس الإداري) ورفيق دربه السيد محمود العلوي أثناء العمل بمبنى سكرتارية الحكومة (١٩٦٧)

يمكن أن يستورده الفرد الواحد القادم إلى البحرين عبر المنافذ الرسمية من أوراق روبية الخليج، بما لايزيد قيمته على ألف روبية. أما المسكوكات المعدنية فقد حددها الإعلان بما لايزيد عن خمس روبيات.

❖❖❖❖

وفي ظل إحساس عام بالإنتماء للوطن، ومع سعي البلاد نحو تأمين مصالحها الاقتصادية، توج « مجلس نقد البحرين » أعماله باصدار قرار يُلغي فيه إستخدام الروبية الهندية، ويعلن فيه إصدار عملة بحرينية وطنية خلال عام ١٩٦٥ . وفي هذا العام، عُين سمو الشيخ خليفة رئيساً للمجلس، الذي كان يضم في عضويته كلا من السيد محمود أحمد العلوي، والسيد أحمد يوسف فخرو، والسيد أحمد علي كانو، والسيد علي عبدالرحمن الوزان، والسيد س. لومب.

وبناءً على عرض من سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس المالية لما تم إتخاذه نحو إصدار عملة وطنية، أصدر سمو الشيخ عيسى بن سلمان حاكم البحرين في اليوم السابع عشر من اكتوبر عام ١٩٦٥ مرسومين، كان الأول منهما هو المرسوم رقم « ٩ مالية » لسنة ١٩٦٥ الذي حدد مواصفات النقد البحريني المقرر إصداره، من حيث الشكل والتصميم واللون. أما المرسوم الثاني، فقد حمل رقم « ١٠ مالية » لسنة ١٩٦٥، واطلق عليه مرسوم النقد البحريني « اليوم المعين ». ونص هذا المرسوم على ان يكون يوم ١٧ اكتوبر من عام ١٩٦٥ هو اليوم المعين لإصدار العملة البحرينية الجديدة. ولإستكمال الترتيبات التى تضمن استقرار الاوضاع لصالح العملة الجديدة، حدد المرسوم (١٠ مالية) الفترة التى يمكن خلالها إستبدال النقد المتداول في الأسواق بالعملة البحرينية الجديدة، بحيث تبدأ من اليوم المعين (١٧ اكتوبر عام ١٩٦٥) وحتى يوم ٢٢ من الشهر ذاته. وقد بلغ حجم الإصدار الأول من العملة الجديدة ٧,٨ مليون دينار بحريني.

وقد كانت سعادة الشيخ عيسى بن سلمان حاكم البلاد كبيرة، وهو يطّلع على أول إصدار لأول عملة وطنية، حيث أعرب للشيخ خليفة بن سلمان رئيس مجلس النقد عن. « عظيم شكره وإمتنانه على الجهود الكبيرة التى بذلت لهذا العمل الوطنى المتميز في الاقتصاد البحريني » وذلك حسب نص التصريح الذي أدلى به الشيخ عيسى بهذه المناسبة.

ويتذكر سمو الشيخ خليفة بن سلمان اليوم، بكثير من السعادة والرضا، تلك الجهود المضنية التي بُذلت من أجل إصدار عملة وطنية في البلاد، مشيداً في هذا الشأن بجهود وإخلاص شخصيات وطنية عديدة وقفت إلى جانبه لتحويل الحلم إلى حقيقة. ومن بين هذه الشخصيات بصفة خاصة السيد محمود العلوي الذي وصفه بانه كان معلماً ورفيق درب مخلصاً.

❖❖❖❖

ويعد السيد محمود أحمد العلوي واحداً من أبرز الاقتصاديين الذين عرفتهم البحرين. وقد ولد السيد محمود في يوم الإثنين الأول من مارس من عام ١٩٠٩ في فريق المخارقة، أحد أحياء مدينة المنامة، حيث نشأ وترعرع. وفي عام ١٩١٩، غادر البحرين إلى الهند للدراسة، والتى إستمر فيها إلى عام ١٩٢٤ . ثم عاد إلى البحرين ليواصل دراسته من خلال مدرسة الإرسالية الأمريكية بالمنامة حتى عام ١٩٢٦ .

وقد بدأ السيد محمود حياته العملية مع مؤسسة يوسف بن أحمد كانو، حيث عمل أميناً للصندوق حتى عام ١٩٢٨ . ثم إلتحق بوظيفة أمين صندوق ومحاسب مع حكومة البحرين في مكتب المستشارية. وبعد ذلك رقى إلى منصب رئيس دائرة الحسابات، ثم مديراً للمالية، ثم رئيساً للمالية والإقتصاد الوطني. وقد تولى السيد محمود الشئون المالية خلال السنوات الصعبة التى مرت بها البحرين إبان الأزمة الاقتصادية العالمية، وأشرف خلال سنوات الحرب العالمية الثانية على الجهاز الذى انشأته الحكومة لتحديد عمليات الشراء والإستيراد وإعادة التصدير، لتوفير الإحتياجات الاساسية للبحرين خلال تلك الفترة الحرجة. كما كان السيد محمود العلوي أحد العناصر الفعّالة في إعداد البلاد لمرحلة الاستقلال، ووضع الأسس الحديثة لعملية تنظيم ميزانية الدولة. وينسب إليه الفضل في وضع أول ميزانية



السيد محمود أحمد العلوي



سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء وبجانبهما السيد محمود العلوي في إفتتاح منتزه عين قصاري (أبريل ١٩٧٤)

سمو رئيس الوزراء والسيد محمود العلوي والسيد يوسف الشيراوي في حديث
ودى مع السيد ذو الفقار علي بوتو رئيس الوزراء الباكستاني الأسبق ديسمبر ١٩٧٣



مكتوبة في تاريخ البحرين الحديث، إلى جانب إسهامه في إتفاقيات تعديل الإلتزامات النفطية الدولية للبحرين، حتى تستكمل سيادتها وتعلن إستقلالها.

وفي تشكيل أول حكومة للبحرين إختار سمو الشيخ خليفة بن سلمان السيد محمود العلوي وزيراً للمالية والإقتصاد الوطني. وكانت هذه الوزارة تضم العديد من الوزارات الحالية. وقد تقلد السيد محمود العلوي العديد من الاوسمة، منها وسام البحرين من الدرجة الاولى، ووسام عمان مدني من الدرجة الثانية، والوسام البريطاني المدني الذى يعد من أعلى الأوسمة التى كانت تمنحها بريطانيا. وقد إستمر السيد محمود العلوي رفيقاً مخلصاً على درب خدمة الوطن، يقدم عطاءه من موقعه كمستشار مالي لرئيس الوزراء، حتى توفاه الله يوم الأربعاء الموافق ١٣ ابريل عام ١٩٩٤ . وقد شارك سمو أمير البلاد وسمو رئيس الوزراء وجمع غفير من المواطنين في الصلاة على جثمانه، عرفاناً وتقديراً للدور الكبير والهام الذى قام به لخدمة الوطن.

❖❖❖❖

وإثر الإطمئنان إلى انتظام تداول العملة الوطنية الجديدة، وتأمين سبل حمايتها، بدأ سمو الشيخ خليفة السعى نحو تطوير عدد من المشروعات التى



وزير النفط السعودي السابق الدكتور أحمد زكي يماني يستقبل سمو الشيخ خليفة بن سلمان لدى نزول سموه من اليخت « غزال » في مستهل زيارة سموه إلى المملكة العربية السعودية (أبريل ١٩٦٦)

سمو الشيخ خليفة بن سلمان والشيخ أحمد زكي يماني
ورئيس شركة أرامكو السعودية أثناء إفتتاح حقل أبو سعفة (١٩٦٦)

من شأنها دعم الاقتصاد الوطني للبلاد. وكان من بين هذه المشروعات تطوير حقل أبوسعفة المشترك بين البحرين والمملكة العربية السعودية.

وفي هذا الإطار، قام سمو الشيخ خليفة بزيارة للملكة العربية السعودية يوم ٣٠ يناير عام ١٩٦٦، إستهدفت مواصلة تدعيم العلاقات الأخوية الوطيدة القائمة بين البلدين والشعبين الشقيقين، وترسيخ آفاق التعاون المشترك بينهما في العديد من المجالات. وقد وصل الشيخ خليفة على متن اليخت « غزال » إلى ميناء الخُبر بالمنطقة الشرقية للمملكة. وفي اليوم التالي لوصوله قام، برفقة مضّيفه الدكتور أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية آنذاك، بزيارة كلية البترول والمعادن. وكان الشيخ خليفة حريصاً على زيارة هذه الكلية لإعجابه بها، ولإدراكه لأهمية الدور الذى يمكن أن يلعبه خريجوها في تنمية إقتصاديات الخليج، وأيضاً لعزمه إبتعاث طلاب من البحرين للدراسة بها وبغيرها من الكليات بالمملكة العربية السعودية. كما كان لهذه الزيارة أثرها في بلورة طموحاته في أن يكون للبحرين صروحها العلمية من الكليات والمعاهد.

وتوجه الشيخ خليفة بعد ذلك إلى منطقة رأس تنورة، يرافقه الدكتور أحمد زكي يماني والسيد توماس باجر رئيس شركة النفط السعودية « ارامكو » للمشاركة في إدارة صمّام تدفق النفط من حقل ابي سعفة المشترك بين البلدين.

المجلس الإداري

كان سمو الشيخ خليفة بن سلمان يقوم بدور رئيسى في إدارة أعمال المجلس الإدارى، قبل فترة طويلة من توليه رئاسة هذا المجلس رسميا إثر وفاة الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة رئيس المجلس. وكان الشيخ عبدالله يتمتع بمكانة خاصة بين أفراد العائلة الحاكمة والمواطنين، وذلك لحكمته ولكونه آخر أبناء الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين الأسبق (١٨٦٩ - ١٩٣٢) وعم الشيخ سلمان بن حمد، والد الشيخ عيسى والشيخ خليفة.

وكانت البحرين قد شهدت يوم ٢٣ أبريل عام ١٩٦٦ تشييع جنازة المغفور له الشيخ عبدالله، حيث كان في مقدمة المشيعين سمو الشيخ عيسى بن سلمان حاكم البحرين والشيخ شخبوط بن سلطان ال نهيان حاكم أبوظبي الذى كان قد وصل في اليوم ذاته، وقبل الوفاة، ضيفاً على البحرين، وكبار أفراد العائلة الكريمة وجموع من المواطنين.



المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة
رئـيـس المجـلـس الإداري (١٩٥٦ - ١٩٦٦)

وتفادياً لأن تُحدث وفاة الشيخ عبدالله فراغاً في الهيكل الإداري للدولة، أصدر سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمره في ٢ مايو من العام ذاته، بتعيين سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيساً للمجلس الإداري، وذلك تقديراً للدور الكبير الذي كان يضطلع به في إدارة أعمال هذا المجلس منذ فترة بعيدة، ولاسيما عندما تقدم الشيخ عبدالله بن عيسى في العمر، وحال تدهور حالته الصحية دون قيامه بإدارة أعمال المجلس.

وتجدر الاشارة هنا إلى تاريخ تأسيس المجلس الإداري وطبيعة صلاحياته. فقد أُسس هذا المجلس في عام ١٩٥٦، عندما أصدر الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين (١٩٤٢ -١٩٦١) القرارين رقم (١٩ و ٢٠) واللذين نص الأول منهما (رقم ١٩) على تشكيل المجلس الإداري، على أن يتولى الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة رئاسته، وعلى أن يضم في عضويته كلا من الشيخ خليفة بن محمد بن عيسى آل خليفة، والشيخ دعيج بن حمد آل خليفة، والشيخ خالد بن محمد آل خليفة، والسيد جي. دبليو. آر. شميث، والأستاذ أحمد العمران، والأستاذ سالم العريّض، وأن يقوم بأعمال السكرتارية الأستاذ يوسف الشيراوي.

ونص القرار رقم (٢٠) على «صلاحية هذا المجلس لتنسيق الجهاز الحكومي وتسهيل أعماله والإتصال بالجمهور والقيام بتنفيذ ما يأمر به الحاكم، وعلى المجلس ألا يتدخل فيما يتعلق بدخل الدولة أو العلاقات الخارجية أو الشئون السياسية » كما حدد القرار أن « على المجلس أن يبحث أية قضية إدارية تقدم له سواء عن طريق الحاكم أو مستشار الحكومة، أو بقرار خاص من المجلس، أو بطلب من أي دائرة حكومية، أو على إثر إقتراح من الجمهور، إذا ما وجد المجلس ذلك مناسباً. ويحق له أن يستدعي أى موظف حكومي عندما ينظر في أمر يتعلق بالدائرة التى يعمل فيها ذلك الموظف. وعليه أيضاً أن يحسم قدر المستطاع كل المسائل التي تصل إليه. أما الأمور المتعلقة بالقضايا الكبرى، فيجب أن ترفع إلى الحاكم، مباشرة أو عن طريق مستشار الحكومة. وعلى المجلس أن يوجه عناية خاصة إلى العلاقات العامة، لكي يتسنى للعموم الإطلاع على قرارات الحكومة والأسباب التى دعت لاتخاذها ».

وقد شرع المجلس الإداري برئاسة سمو الشيخ خليفة بن سلمان في ممارسة عمله، واضعًا نصب عينيه عددًا من المهام، في مقدمتها رفع

مستوى الخدمات للمواطنين، وتحسين الكادر الوظيفي للعاملين في الحكومة، والعمل على صياغة القوانين والقواعد المنظمة للعمل. ولم يغُفل الشيخ خليفة عند تحديده لهذه المهام تحقيق الإصلاح الإداري في البلاد، وتنظيم الدوائر الحكومية بما يحقق تطوير أدائها.

وفيما بقي الإقتصاد الوطني يشكل محور إهتمام الرئيس الجديد للمجلس الإداري ورئيس المالية سمو الشيخ خليفة بن سلمان في هذه المرحلة، كانت هناك قضايا أخرى تفرض نفسها على قائمة أولوياته وإهتماماته، حتى في ذروة إنهماكه في العمل على وضع الأسس التنظيمية الحديثة للدولة. ومن أهم هذه القضايا قضيتا الإستقلال عن بريطانيا، ووضع حد للمطالب الإيرانية بضم البحرين، وهو ما سنفرد له فصلاً مستقلاً في هذا الكتاب.

❖❖❖❖

وفي هذه الفترة، شُغلت البحرين والساحة الخليجية بصفة عامة بقضية إقامة إتحاد الإمارات التسع، وهى الفكرة التى كانت قد طرحت بشكل رسمى للمرة الأولى في مؤتمر القمة العربي بالقاهرة عام ١٩٦٤ . وقد واجهت الفكرة الكثير من العقبات في البداية، ولاسيما بسبب إستمرار الإحتلال البريطاني لدول المنطقة. غير أنه عندما أعلنت بريطانيا في عام ١٩٦٨ قرارها بالإنسحاب من الخليج قبل نهاية عام ١٩٧١، أصبحت الظروف مواتية بشكل أكبر لتنفيذ الفكرة. وفي ظل إحساس عام من دول الخليج العربية بضرورة المضي قدما في سبيل تحقيق الإتحاد والتلاحم العربي، صدر الإعلان المشترك عن إجتماعي أبوظبي ودبي في ١٨ فبراير عام ١٩٦٨، والذي تضمن الدعوة إلى إقامة « اتحاد فيدرالي » بين إمارات الخليج. وقد كان سمو الشيخ عيسى بن سلمان هو أول حاكم في الخليج يعلن قبوله لدعوة إعلان أبوظبي ودبي. وتم الإتفاق على عقد إجتماع في دبي لبحث الموضوع خلال الفترة من ٢٥ إلى ٢٧ فبراير عام ١٩٦٨ .

وقد شارك في هذا الإجتماع الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين، والشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس المجلس الإداري، وكذلك كل من الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي، والشيخ أحمد بن علي آل ثاني حاكم قطر، والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي، والشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم الشارقة، والشيخ راشد بن حميد النعيمي حاكم عجمان، والشيخ أحمد بن راشد المعلا حاكم أم القوين، والشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة، والشيخ محمد بن حمد الشرقي حاكم الفجيرة.



سمو الشيخ عيسى بن سلمان وسمو الشيخ خليفة بن سلمان
والشيخ محمد بن مبارك في إجتماع قادة دول الخليج في أبوظبي (١٩٦٨)

سمو الشيخ عيسى بن سلمان وسمو الشيخ خليفة بن سلمان
والسيد محمود العلوي في إجتماع قادة دول الخليج في دبي



ورغم الصعوبات المتعددة التى واجهت هذا الإجتماع التاريخي، فقد أسفر عن إعلان « إتفاقية دبي » نسبة إلى المدينة التى إستضافت الإجتماع، وتم الإتفاق بموجبها على أن تستمر إجتماعات حكام الخليج بشكل دوري، على أن تنعقد في إحدى عواصم الإمارات مؤقتاً حتى يتم إختيار مقر دائم للإتحاد المزمع إقامته.

وبسبب وجود مشكلات موروثة بين البحرين وإيران لم تكن قد سوّيت بعد، فقد عمدت إيران إلى شن حملة عنيفة تطالب فيها بالبحرين من ناحية، وتعارض من ناحية آخرى إنضمامها للإتحاد الإماراتي المرتقب. وترتب على ذلك أن تراوحت إجتماعات حكام الإمارات التسع لبحث أمور إتحادها بين الدوحة وأبوظبي، وظهر الإصرار على ألا تكون المنامة عاصمة للإتحاد الفيدرالي المقترح، على الرغم من تفوق البحرين الواضح على كافة الإمارات التسع في جميع المعايير التى إتُفق على وضعها كأساس لإقامة الإتحاد، مثل عدد السكان ومستوى التعليم ونسبته بين المواطنين، وإرتفاع مستوى الخدمات الصحية وتطور الأنظمة الإدارية والأنظمة القانونية، وهو ما إعترف وأقر به غالبية الأعضاء. إلا أن هذه المعايير كانت سبباً في إثارة بعض الخلافات، عندما شرعت الإمارات التسع في مناقشة القضايا الأساسية، مثل مسألة المجلس الوزاري، ومسألة التمثيل النسبي في مجالس الشورى.

وقد ساهم سمو الشيخ عيسى بن سلمان وسمو الشيخ خليفة بن سلمان بجهود مضنية في هذه الإجتماعات، من أجل تسوية الخلافات الناشبة والحيلولة دون تفاقمها.

ومن ضمن الإقتراحات التى تقدمت بها البحرين للتخفيف من حدة هذه الخلافات، أن يكون هناك إستفتاء لرأى شعوب الإمارات التسع، كل في بلده، حول قيام الإتحاد وطريقة تحقيقه. غير أن هذا الإقتراح لم يلق القبول، الأمر الذى أدى إلى زيادة التوتر، مما حدا بالشيخ خليفة وبصراحته المعهودة، أن يعلن « ان البحرين تؤمن بان الإتحاد يجب أن يقوم بين الشعوب لا الحكومات. وإذا تفهمّ جميع الأطراف معنى وأهمية الإتحاد، فسننضم إليه. أما إذا لم يتفهموا ذلك فسيكون لكلٍ طريقه، متمنين التوفيق للجميع ».

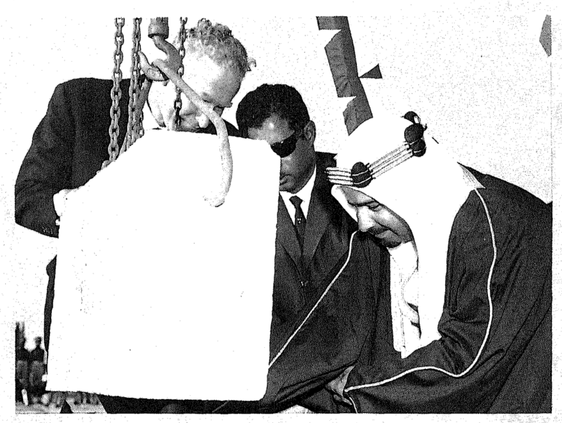
ولما بات واضحاً أنه من الصعب التقريب بين وجهات النظر المختلفة بما يسمح بتجاوز الخلافات، تم الإتفاق على إغلاق ملفات فكرة إتحاد إمارات الخليج في اكتوبر عام ١٩٦٩ .



سمو الشيخ عيسى وسمو الشيخ خليفة يطلعان على مجسم لشركة المنيوم البحرين

أولى الصناعات الثقيلة

رغم الإدعاءات الإيرانية حول المطالبة بالبحرين، وما كان لها من تأثير سلبي على المستثمرين الأجانب في تلك المرحلة، تمكن مكتب الحكومة للتطوير والإنماء، والذي كان يرأسه الشيخ خليفة ، من تحقيق نجاح كبير لتنشيط الوضع الإقتصادي في البلاد، وكسر الحاجز الوهمي الذي فرضته إيران بادعاءاتها. فقد أُعلن في مؤتمر صحفي عقد في فندق « دورشستر » في لندن يوم الأول من اكتوبر عام ١٩٦٨، عن إنشاء أول مشروع للصناعات الثقيلة في منطقة الخليج العربي بأسرها، يقام في البحرين. وجاء في البيان الرسمي لهذا المؤتمر أنه سوف يقام مصهر لصناعة الألمنيوم في البحرين، وأنه قد سبق هذا الإختيار للموقع إجراء دراسات لإنشاء هذا المصهر في كل من نيوزلندا وأيسلندا والنرويج. إلا أنه تم إختيار البحرين لتوفر الطاقة لديها، وكذلك لموقعها الجغرافي الوسيط بين الاسواق الصناعية الرئيسية في العالم.



سمو الشيخ عيسى بن سلمان (حاكم البحرين) يضع حجر الأساس لشركة المنيوم البحرين

وقد جاء الإعلان عن إنشاء هذه المشروع « شركة المنيوم البحرين - ألبا » بتكلفة مبدئية قيمتها عشرون مليون جنيه إسترليني، ليسجل نجاحاً وطنياً كبيراً لمكتب الحكومة للتطوير والإنماء، والذي أُسّس في عام ١٩٦٧ بهدف تحقيق التقدم الصناعي والإقتصادي في البلاد. وكان الإتفاق السابق لإقامة مشروع مصهر الألمنيوم قد تم في ٥ يونيو عام ١٩٦٧ . إلا أن نشوب الحرب بين إسرائيل والعرب في ذلك اليوم خلق أوضاعاً جديدة في الشرق الأوسط بشكل عام. كما ساعد على ذلك أيضا حدوث تطورات أخرى، مثل إنخفاض قيمة الجنيه الإسترليني، وقرار بريطانيا إلغاء معاهداتها الدفاعية مع دول الخليج، الأمر الذي جعل مسألة البدء في تنفيذ المشروع محل شك وتساؤل. وفي خضم هذه الظروف، أثير إقتراح بوجوب مساهمة البحرين في تمويل مشروع صهر الألمنيوم، وذلك بهدف تعزيزه وسرعة إنجازه. وقد أعلن الشيخ خليفة بن سلمان موافقة حكومة البحرين على هذا الإقتراح. وهكذا دخلت كشريك مباشر في المشروع، وبإمتلاك الحصة الأكبر فيه، تأكيدًا لثقتها في

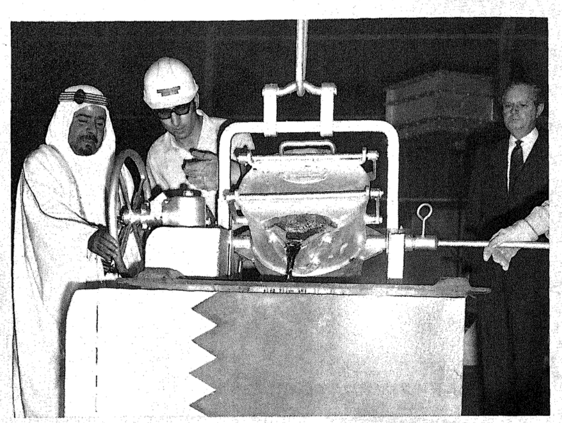
مستقبلها الإقتصادي، وهو ماكان له أثر إيجابي طيب لدى أطراف عديدة كانت معنية بإستطلاع مستقبل الإقتصاد في البحرين.

وكان المؤسسون عند تكوين شركة المنيوم البحرين « ألبا » هم (شركة المعادن البريطانية - ٢٥٪)، (اكتيبو لجت اليكيرو كوبار - ٢٥٪)، (شركة المعادن الغربية - ١٢,٥٪)، (أورورا - ١٠٪)، (حكومة البحرين ٢٧,٥٪). وقد مثل حكومة البحرين في مجلس الإدارة السيد محمود أحمد العلوي مدير المالية والسيد يوسف أحمد الشيراوي مدير مكتب شئون النفط. وقد أعرب سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البلاد، عن ترحيب البحرين بتأسيس الشركة، حيث قال « إننا نرحب بصورة خاصة بأصدقائنا المساهمين في المشروع، الذين برهنوا على أنهم يشاركوننا في إعتقادنا في مستقبل الخليج. وإننا نأمل بإخلاص بأن المستقبل سيُظهر تطورات مثيرة أخرى مثل شركة ألبا في الخليج ». كما رحب سموالشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس المجلس الإداري ورئيس المالية والمسئول عن مصالح حكومة البحرين بقيام المشروع، وبالتعاون مع بريطانيا والسويد في هذا المجال.

وبعد ثلاثة أيام من إعلان إنشاء شركة المنيوم البحرين، بدأ المدراء المختصون يتوافدون على البلاد للبدء في تنفيذ هذا المشروع، حيث وصل كل من السيد « نيك كترينج » رئيس مجلس الادارة والسيد « برونو » رئيس إنشاءات الصهر البريطانية المحدودة، إضافة إلى فريق من الخبراء والفنيين. وقد شرعوا فور وصولهم في إعداد الترتيبات المتعلقة بالإنشاء. وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاثنين ٦ اكتوبر عام ١٩٦٨، قام الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البلاد، وبحضور سمو الشيخ خليفة وعدد كبير من المدعوين، بوضع حجر الأساس لأول صناعة ثقيلة ليس في البحرين فحسب وإنما في منطقة الخليج كلها. وفي يوم الإحتفال بوضع حجر الأساس، أعلن رئيس مجلس إدارة شركة المنيوم البحرين عن توسعات كبيرة ستجرى في المشروع بتكلفة اضافية تبلغ قيمتها عشرة ملايين جنيه إسترليني

❖❖❖❖

وبعد متابعة دقيقة ومستمرة من جانب سمو الشيخ خليفة بن سلمان لتطورات سير العمليات الإنشائية والتنفيذية للمشروع، جاءت اللحظة التي إنتظرها الجميع. ففي الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الثلاثاء ١١ مايو عام ١٩٧١، شمل سموالشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد برعايته



سمو الأمير المفدى يصب أول سبيكة المنيوم في إفتتاح مصهر المنيوم البحرين - البا (١٩٧١)



سمو أمير البلاد وسمو رئيس الوزراء يرعيان الإحتفال بصب
أول سبيكة المنيوم في البحرين (أغسطس ١٩٧١)

صب أول سبيكة المنيوم من إنتاج شركة المنيوم البحرين. وجاءت كلمات سمو الأمير في الإحتفال الذي أقيم بهذه المناسبة التاريخية معبرة عن الفرحة الغامرة التى عمّت الجميع حيث قال « قبل ثلث قرن تقريباً، وعلى مسافة قريبة من هذا المكان، قام جدنا المغفور له الشيخ حمد بتدشين مصفاة النفط. وكان ذلك الحدث إيذاناً ببدء عصر من التصنيع الحديث الذي أسهم في بناء إقتصادنا الوطني. وكم يطيب لنا أن نجتمع في هذا اليوم الأغر، لنشهد حدثا هاماً وانجازاً عظيماً هو الأول من نوعه في العالم العربي، ونعتبره بحق مصدراً لفخرنا وفخر أبنائنا في هذه المنطقة من العالم ».

ويتذكر سموالشيخ خليفة بن سلمان أن توقيت إنشاء مشروع شركة المنيوم البحرين (والتى تعد اليوم من أكبر وأضخم الشركات العاملة في هذا المجال على مستوى العالم كله) أسهم بشكل غير مباشر في علاج مشكلة تجارية كادت أن تُحدث كساداً خانقاً في السوق البحرينية. فقد جاء إنشاء « ألبا » بمثابة دليل قاطع على ثقة المستثمرين الأجانب في مستقبل الإستثمار والعمل التجاري والإقتصادي في البحرين. وكان البريطانيون في هذه المرحلة يعدون العدة للخروج من البحرين. وراح بعضهم يبث الشك في إمكانية أن تبقى السوق التجارية البحرينية مزدهرة بعد خروجهم، وهم الذين ينفقون ما يُقّدر بستة ملايين جنيه إسترليني سنوياً على مشترواتهم من هذه السوق. لذلك زعموا أن السوق سوف تشهد بعد خروجهم إحجاماً كبيراً عن الشراء، وقلة إن لم تكن ندرة في السيولة.

وقد مثّل هذا الوضع بالفعل تحديًا كبيراً إستنفر في داخل نفس الشيخ خليفة بن سلمان كل بواعث إرادة مواجهة ذلك التحدي، والتصدي للعمل بهمة واخلاص لتحقيق النجاح، تحدوه الثقة الأكيدة في بلوغ أهدافه الوطنية النبيلة.

وقد أدت المزاعم التى أطلقها البريطانيون بالفعل إلى إثارة القلق في الوسط التجاري. الأمر الذى تطلب جهداً كبيراً وواعيًا قام به المجلس الإداري برئاسة سمو الشيخ خليفة بن سلمان لإعادة الثقة والإستقرار إلى السوق، إضافة إلى ما أرساه المجلس في هذه المرحلة من سياسات إقتصادية، بجذب الإستثمارات العربية والأجنبية وتوثيق العلاقات التجارية بين البحرين والعديد من الدول الشقيقة والصديقة.



سمو الشيخ عيسى بن سلمان (حاكم البحرين)
يفتتح محطة الأقمار الصناعية (١٩٦٨)

سمو الشيخ عيسى بن سلمان (حاكم البحرين)
أثناء اتصاله بالأمير دوق أدنبره لدى إفتتاح
محطة الأقمار الصناعية (١٩٦٨)



وقد تضمنت الجهود التى قام بها الشيخ خليفة لتأكيد الثقة الشاملة في مستقبل الوضع الإقتصادي للبلاد أن إقترض شخصياً من البنوك للبناء وإقامة عدة منشآت، مما كان له الأثر الكبير في تشجيع الكثيرين على الإستثمار في مجالات شتى في البحرين.

وعن الدور الذي قام به سمو الشيخ خليفة بن سلمان لإحتواء هذه الأزمة وتطويقها بأسرع ما يمكن، يؤكد السيد علي بن يوسف فخرو رئيس غرفة تجارة وصناعة البحرين أن الجهود التي بذلها سموه في دعم وحماية السوق البحرينية، واتصالاته في الداخل والخارج، والثقة التى كان يخاطب بها كل من يعنيهم الأمر ويبثها في نفوسهم، كان لها فعل السحر في تهدئة المخاوف وإعادة الثقة والإطمئنان إلى النفوس. ويشير السيد علي بن يوسف فخرو إلى الرعاية الخاصة التى يوليها الشيخ خليفة دوماً لتأمين الإستقرار وبعث النشاط في السوق التجارية البحرينية، والإهتمام المتواصل الذي يبديه بعمل وجهود غرفة تجارة وصناعة البحرين. ويضيف السيد علي بن يوسف أن الشيخ خليفة كثيراً ما يستقبل أعضاء ومسئولين من الغرفة، ويصغى إلى المشاكل التى تعوقهم في أداء عملهم، ويناقش معهم سبل حلها ويساعدهم على التغلب عليها، مما يسهم في دعم وإزدهار أنشطة السوق التجارية والصناعية في البلاد.

وكثمرة لهذه الجهود وتلك الرعاية، بدأت البلاد تشهد تدفقاً كبيراً للإستثمارات الأجنبية، وبمبالغ ضخمة، وذلك على عكس توقعات بعض الجهات الأجنبية. ومع تزايد إرتباط البحرين وتنامي علاقاتها بمختلف دول العالم، رأت القيادة أهمية دعم شبكة الإتصالات في البلاد، كواحدة من دعائم البنية الأساسية للتنمية الشاملة. وعليه، ففي يوم الاثنين ١٤ يوليو عام ١٩٦٩ دخلت البحرين عصر الإتصال عبر الأقمار الصناعية، وذلك من خلال المكالمة التى أجراها سمو أمير البلاد مع دوق أدنبره عبر محطة الأقمار الصناعية التى كان الأمير قد افتتحها في نفس اليوم، والتى تعد واحدة من الإنجازات التى حققها المجلس الإداري على طريق ربط البحرين بالعالم الخارجي.

مجلس الدولة

وقد شجعّت النجاحات التي تم إنجازها في هذه الفترة على الإنتقال إلى مرحلة جديدة من مراحل تطوير تنظيمات وآليات عمل الدولة الحديثة، وذلك وفق برنامج طموح تبناه سمو الشيخ خليفة بن سلمان وتعهده بالرعاية. وفى هذا

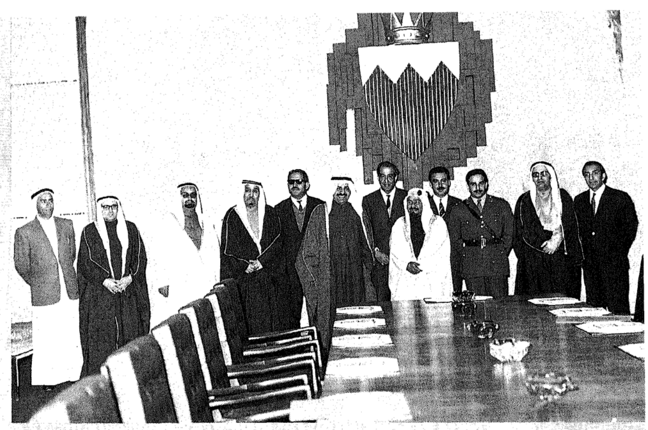
الإطار أعلن سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد، في كلمتة بمناسبة عيد الجلوس يوم ١٦ ديسمبر عام ١٩٦٩، إنشاء مجلس الدولة (١) ،

وقد إستمرت المشاورات بين سمو الشيخ عيسى وسمو الشيخ خليفة على نحو مكثف حول التفاصيل المتعلقة بإنشاء مجلس الدولة حتى يوم التاسع من يناير عام ١٩٧٠، حين صدر عن الحاكم المرسوم رقم (١) لسنة ١٩٧٠ ويقضى بإنشاء مجلس الدولة الذي يتولي مسئوليات السلطات التنفيذية في البلاد، برئاسة الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة.

وفي صباح يوم الأربعاء ٢١ يناير عام ١٩٧٠، إفتتح سمو الشيخ عيسى بن سلمان حاكم البلاد أول جلسة لمجلس الدولة، بكلمة بيّن فيها المهمة الملقاة على عاتق أعضاء المجلس في هذه المرحلة الدقيقة، جاء فيها « عليكم أن تتحملوا مسئولية دوائركم وتوجيهها في الطريق التى تتطلبها البلد، وأن تتعاملوا مع زملائكم لتنسيق الأجهزة والخدمات، وأن لا تجعلوا تلك المهام والواجبات مع أهميتها تشغلكم عن الهدف الأهم من وراء تشكيل هذا المجلس، وهو دراسة ما يتطلبه المستقبل من تنظيم، وما تحتاجه البلاد من تخطيط إقتصادي، لرفع مستواها ودفعها في طريق التقدم والرقي ».



سمو الشيخ عيسى بن سلمان يفتتح بحضور سمو الشيخ خليفة بن سلمان أول جلسة لمجلس الدولة ١٩٧٠



سمو الشيخ عيسى بن سلمان وسمو الشيخ خليفة بن سلمان في صورة تذكارية مع أعضاء مجلس الدولة (١٩٧٠)

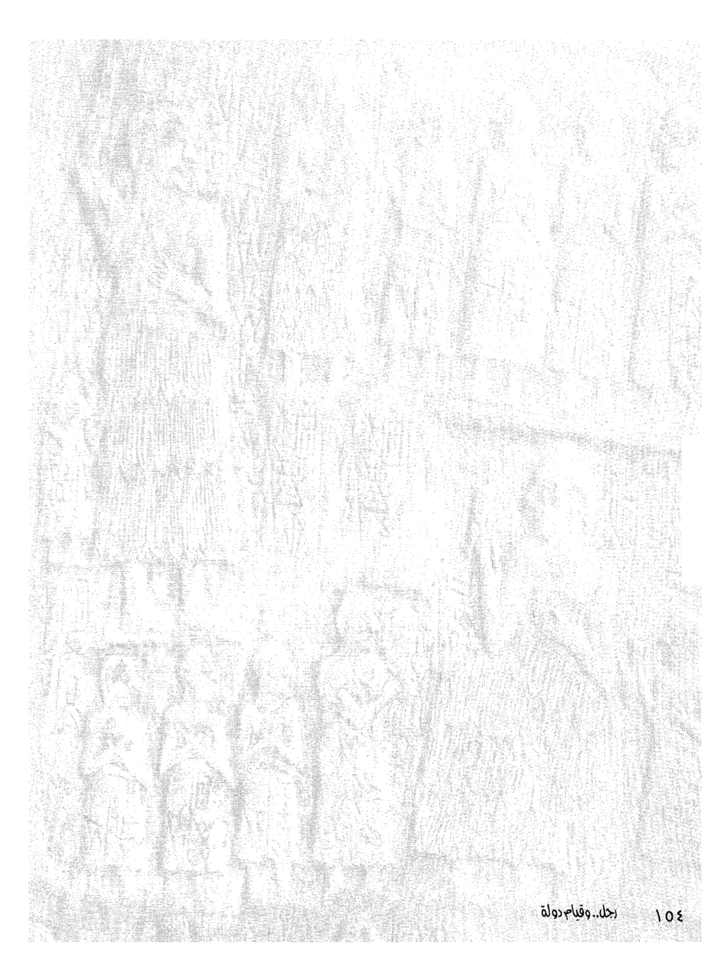
بعد ذلك ألقى سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس المجلس كلمة أعرب فيها عن شكره لصاحب السمو حاكم البلاد على الثقة التى أولاها أعضاء المجلس لخدمة الوطن الحبيب. وعقد مجلس الدولة بعد ذلك جلسة مغلقة، ناقش فيها طريق سير أعماله. وقرر الإجتماع في يومي الأحد والأربعاء من كل أسبوع.

وفي العدد السابع عشر من مجلة « صدى الأسبوع » البحرينية، الصادرة بتاريخ ٢٧ يناير عام ١٩٧٠، وصف الأستاذ علي سيار رئيس تحرير المجلة إفتتاح أول جلسة لمجلس الدولة قائلاً « دخلنا القاعة. وجلت بعيني أتصفح الوجوه وجهاً وجهاً. كلها وجوه معروفة. بعضها كان في الظل قبل صدور مراسيم تشكيل المجلس الجديد، وبعضها كان في الصورة منذ زمن ليس بالقليل. ونقلت عينيّ إلى وجه الرجل الأول في الدولة. كانت الجدية هي التعبير الوحيد البارز في قسمات وجهه. كان يبدو لى عظمة الحاكم وهو يتوسط مجموعة

الشباب (يقصد أعضاء مجلس الدولة) ساعتها أنه مر بفترة معاناة غير بسيطة. كان يبدو متعبا كمن سهر الليل بطوله. ومع ذلك كان هناك بريق في عينيه لا تخطئه العين. لعله بريق التطلع إلى مستقبل أفضل لهذا الوطن ... »، واستمر الأستاذ علي في وصفه « ونقلت عينيّ إلى وجه الشيخ خليفة، أول رئيس لأول مجلس دولة. كان هو الاخر يبدو متعباً، وهو يقف مع أعضاء المجلس الجديد في مواجهة الكاميرا لإلتقاط صورة تذكارية لأعضاء المجلس الجديد في أول اجتماع له. ولم يكن ذلك غريباً، فكل الذين عاشوا فترة الترقب والإنتظار شاهدوا مبني دار الحكومة وهو مضاء حتى ساعات متأخرة من الليل. كان معنى ذلك ان ساعات البحث المضنية التى شهدها المبنى لم تكن كافية في النهار، فتواصلت حتى ساعة متأخرة من الليل. كل ذلك ترك أثره في وجوه الرجال الذين يمسكون بزمام السلطة في البلاد، والذين كانوا طوال الأشهر القليلة الماضية في إجتماع دائم، لا ينفض حتى ينعقد ».

❖❖❖❖

هوامش (١) وقد جاء في كلمة سموه « شعبنا العزيز... رغبة منا في إرساء قواعد المستقبل المستقر والمزدهر لأبناء هذا الوطن، وبداية لسلسلة التنظيمات التطويرية التى تتطلبها المرحلة الراهنة ومتطلبات المستقبل، وترسيخاً لدعم الدولة العصرية المتطورة، وبالاشارة إلى ما ورد في خطابنا في عيد الجلوس بشأن الإصلاح الإداري والسياسي للبلاد، يسعدنا أن نعلن لأبناء الشعب الكريم المراسيم الثلاثة التالية، التى نعتبرها خطوة أولى تمهيدية في نطاق الإصلاحات والتنظيمات التي نتبعها لهذا البلد العربي الناهض، وفي هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه. وتهدف هذه المراسيم، التى تقضى بإنشاء مجلس للدولة وبإعادة تنظيم الدوائر الحكومية، إلى خلق جهاز تنفيذي فعّال يكون نواة لسلسلة الإصلاحات المقبلة، وأداة صالحة وقادرة على نقلها إلى حيز التنفيذ. وسوف يقوم رئيس مجلس الدولة - حسب صلاحياتة المنصوص عليها في هذه المراسيم - مع أعضاء المجلس بدراسة مشاريع الإصلاحات المقترحة، وتقديمها إلينا للنظر في إصدارها حسب مقتضيات المصلحة الوطنية العليا ».




شاه إيران ...
من العداء إلى التقدير العميق

الفصل الثامن

شاه إيران ...
من العداء إلى التقدير العميق

لم أكن قد تجاوزت الحادية عشرة من عمري، عندما تنبه وعيي إلى إسم الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة لأول مرة.

كانت البلاد تعيش نهاية مرحلة مطالبة شاه إيران الراحل محمد رضا بهلوي بتبعية البحرين لإيران . وبالطبع، فانني كناشىء صغير في مثل هذه السن، لم أكن مدركاً على الإطلاق لمعنى وأبعاد تلك المفاوضات والأخذ والرد الذى كان دائراً بين البحرين وإيران. لكن جرحاً عميقاً أحدثه في وجداني صبيان من زملاء « الفريج » في تلك الفترة. فعن غير إدراك، راح هولاء الزملاء من « الفريج » يهددون بعضهم البعض، ويهددوني أحياناً، بأن الشاه قادم، وأن جيوشه سوف تستولى على ديارنا وتقتلنا أو تطردنا من البلاد، إلى غير ذلك من العبارات التى كان الصبية يرددونها دون فهم لمعانيها أو إدراك لمدلولاتها.

وأتذكر أنني عشت في هذا الرعب الغامض فترة ليست بالقصيرة. ومما زاد الأمر سوءا بالنسبة لي، هو عدم قدرتي على أن أفضي بمخاوفي لأحد، أو أن أستطلع حقيقة الأمر من أحد. وفي أحد الأيام، فوجئت بعلامات السرور والإرتياح وقد علت وجوه كل من صادفتهم في البيت أو في « الفريج » بل وفي كل أنحاء البلاد.

ومن استماعي عفواً ودون قصد لأحاديث الكبار، فهمت أن تطورات حدثت لتزيل كل المخاوف التي زرعها في نفسي صبية « الفريج ». وتجرأت على السؤال، فجاءتني الإجابة مطمئنة ومؤكدة بأن « خليفة بن سلمان قد وقف لهم، مؤكداً عروبة البحرين واستقلالها عن إيران، وانتزع منهم إعترافاً رسمياً بذلك ».

ومنذ ذلك اليوم، وأسم « خليفة بن سلمان » محفور في وجداني كواحد من أعظم رجالات هذا البلد، بما سعى اليه من حماية عروبة الوطن وإستقلاله. وما كان من شأن الأيام التي مرت عليّ منذ ذلك التاريخ إلا أن زادت، بإنجازات هذا الرجل لوطنه، الصورة رسوخا في وجداني.

❖❖❖❖

وقد ألحّت على خاطري، وبقوة، هذه الذكريات الشخصية وأنا بسبيل البحث في أحداث هذه الفترة من تاريخ العلاقات بين البحرين وإيران، ودور الشيخ خليفة بن سلمان فيها. فرأيت أن أسجلها كمدخل لهذا الفصل من تاريخ بلادي. فهى وإن كانت ذكريات شخصية، إلا أنها بالتأكيد تعطي في الوقت ذاته صورة عامة عن طبيعة ما كان سائداً في البلاد حيال هذه المسألة.

❖❖❖❖

تقول وقائع التاريخ أن إيران لم تقف عند حد المطالبة بضم البحرين إليها، وإنما كانت وراء تحريك بعض الإضطرابات في البحرين منذ بداية القرن الحالي.

وعندما حدثت بعض المشكلات الداخلية في البحرين عام ١٩١٩، تعالت نداءات عديدة في إيران تطالب بتعيين ممثل للبحرين في البرلمان الإيراني، وإجراء الإنتخابات فيها. والواقع أن السبب الحقيقي وراء هذه المشكلات التي حاولت إيران تصويرها على نحو يخدم إدعاءاتها، كان المطالب التى تقدم بها الأهالي لحاكم البحرين في ذلك الوقت الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بعدم تطبيق القوانين المدنية والجنائية التى وضعتها بريطانيا، وعدم وضع الجمارك تحت تصرف البريطانيين الذين أضروا كثيرا بمصالح التجار الوطنيين.

وتؤكد العديد من الدراسات والمراجع ذات الإسناد القوى، أن إيران كانت وراء الإضطرابات التى شهدتها البحرين عام ١٩٢٢، حيث كانت تحرض بعض السكان من ذوي الأصول الإيرانية على إحداث هذه الإضطرابات. وقد استغلت الصحف الإيرانية هذه الفرصة، لإثارة الشعب والرأي العام الإيراني تجاه إحتلال البحرين ووقوعها تحت السيطرة البريطانية. وأخذت هذه الصحف تطالب بإقامة قنصلية إيرانية في البحرين، حتى تتمكن من الإتصال ببعض السكان من ذوي الأصول الإيرانية، بحجة الدفاع عن مصالحهم.

وتقـول المراجع أن إيران لم تقنع بهـذا، وإنما مـارست كـافـة أشكال المضايقات مع رعـايا البحـرين القـادمين إليهـا لزيارة الأمـاكن المقدسـة. ففي شهر يونيـة عـام ١٩٢٢، أرسلت القنصلية البـريطانية في بندر عبـاس تقـريراً إلى حكومـتها، جاء فيـه أن موظفي الجوازات الإيرانيـة في ميناء بندر لنجة قـاموا بمصـادرة جـوازات السفـر من رعـايا البـحـرين القـادمين لإيران لزيارة الأمـاكن المقـدسـة، وأعلنوا إعـتبـارهم من رعـايا إيران. وعلى إثر ذلك، قـدم الوزير البـريطاني إحـتـجـاجاً لدى الحكومـة الإيرانيـة في طهـران على هذه التصرفات غير القانوينة. وبالتالي، أصدرت حكومة طهران المركزية توجيهاتها إلى الجهات المختصة بعدم تكرار مثل هذه الأعمال مستقبلاً.

ولكن الصحف الإيرانية هاجمت هذا القرار، وطالبت الحكومة الإيرانية بإحـتـلال البـحـرين، مما إضطر حكومـة طهـران إلى إصـدار أوامـرهـا إلى مـوظفـيهـا بمعـاملة البـحـرينيين كـرعـايا تابعين لهـا. وأرسلت عـمـلاءهـا إلى البـحـرين لإجـراء إتصـالات بالإيرانيين المقـيـمـين فـيـهـا، بغـيـة إثارة الشـغب والإضطرابات. وتركزت هذه الإتصـالات مع بعض التـجـار الإيرانيين البـارزين في البحرين. (١)

وفي عـام ١٩٢٣، شدّد القنصل الإيراني في النجف الأشرف على جميع الإيرانيين والمواطنين في البحـرين بضـرورة تسـجيل أسـمـائهم لدى القنصلية الإيرانيـة في النجف الأشـرف. وقـد سُلمّت نسـخـة من هذا الإعـلان إلى المندوب السـامي البـريطاني المقيم في العـراق. وكـان الإجـراء البـريطاني شـديداً تجاه هذه التـصـرفـات غيـر القـانونيـة. فـقـد وجـه المندوب السـامي تحذيراً رسمياً إلى حكومة طهران، طالب فيه بسحب هذا الإعلان فوراً.(٢)

ومنذ تلك الفترة، إتخذت بريطانيا الإجراءات اللازمة لمواجهة الإدعاءات والإعلانات الصـادرة من القناصل الإيرانيـين في العـراق. وقد أصدر المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولى عهد البحـرين آنذاك، في ٩ سبتمبـر عـام ١٩٢٣، قراراً أعلن فيه « لقد نما إلى علمي أن بعض القناصل التابعين للحكومة الإيرانية يسـجلون رعـايانا من البحـارنة على أنهم رعـايا إيرانيين. ولذلك فإنني أحتج إحتجاجا شديداً على ذلك، باعتباره يشكل خرقاً صريحاً لحقوق السيادة المخولة لي كولي عهد للبحـرين، وأعتبـر إجـراء أي تسجيل من ذلك النـوع عملاً غيـر شرعي، كمـا سيُبعد الشخص الذي يقبل تسجيل نفسـه، أو تسجيل أي فرد من أسرته، من البحرين بعد أن ينال جزاءه الرادع ».

كما وجه الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة إنذاره إلى الرعايا الإيرانيين المقيمين في البحرين بأنه « إذا ثبت تآمرهم فإنهم سينالون جزاءً رادعاً بما في ذلك مصادرة ممتلكاتهم وإبعادهم النهائي عن البحرين ».

وليس القصد من وراء سرد هذه التفاصيل الإساءة إلى دولة هامة ورئيسية في المنطقة، وإنما تقديم صورة متكاملة لخلفية هذا الموضوع التاريخية. ولكي تكتمل هذه الصورة، لا بد أن نورد ما تذكره الدراسات والمراجع في هذا الشأن من أن الإجراءات الصارمة التى أُتخذت من جانب السلطات البريطانية وحاكم البحرين لم تردع إيران، ولم تثنها عن عزمها. ففي عام ١٩٢٧ لجأت إيران إلى إسلوب آخر، وهو إرسال عملائها ومهاجريها بغية تأليب شعب البحرين ضد حكامه، وإثارة الفتنة الطائفية في البلاد. وقد جاء ذلك في المذكرة التي بعث بها المقيم السياسي البريطاني في الخليج إلى حكومة الهند، حيث قال « إن البحرين أصبحت قاعدة للمؤامرات الإيرانية ويجب إيقاف الهجرة الإيرانية المكثفة إلى البحرين ».

وتقديراً لخطورة الهجرة الإيرانية إلى البحرين، إتخذت الحكومة البريطانية عدة إجراءات من شأنها الحد من هذه الهجرة. وكان من بين تلك الإجراءات أنها طلبت من حاكم البحرين، الذي كان بدوره مستاءً من هذه الهجرة، أن يصدر قانوناً في أول يناير عام ١٩٢٩، بعدم السماح بالدخول إلى البحرين لكل من يحمل جوازات أو وثائق سفر إيرانية، ووجوب الحصول على جوازات للسفر معتمدة من قِبل القنصليات البريطانية الموجودة في بعض المدن والموانئ الإيرانية. وقد وقّع على ذلك القرار « السير تشارلز بلجريف » المستشار الخاص لحكومة البحرين.

ولم ينجح قانون ١٩٢٩ في وقف هجرة الإيرانيين إلى البحرين. بل على العكس من ذلك، عمدت إيران إلى تكثيف موجات هذه الهجرة، مما إضطر حكومة البحرين إلى إصدار قانون الجنسية والملكية في عام ١٩٣٧، للحد من حصول الإيرانيين على الجنسية البحرينية.

وقد إستمر حاكم البحرين في ذلك الوقت، في محاولة التصدى لهذه الإدعاءات المتجددة. وكتب في هذا الصدد رسالة إلى المقيم السياسي البريطاني، طلب فيها من الحكومة البريطانية بموجب إتفاقية « الحماية » التصدي لهذه الإدعاءات والمطالب غير القانونية. وصرح في هذه الرسالة بأن

شيوخ البحرين يعتزمون إرسال الشيخ محمد، شقيق الشيخ حمد بن عيسى ولى العهد، إلى جنيف نيابة عن حاكم وشعب البحرين، للوقوف فى وجه المطالب الإيرانية.

وفي أعقاب إنتهاء الحرب العالمية الثانية، تصورت إيران أن الوقت بات مناسباً لكي تحقق أطماعها في البحرين، وتؤكد دعواها السابقة، فقام البرلمان الإيراني في عام ١٩٤٦، بإصدار قرار يقضي بعزم إيران على ممارسة سيادتها على البحرين وتطبيق الرسوم البريدية الداخلية على الرسائل الصادرة إلى البحرين.

ثم إتخذ التصعيد الإيراني أبعاداً جديدة عندما أصدرت الحكومة الإيرانية في عام ١٩٥٧، قراراً جديداً يقضي بضم البحرين - التي أطلق عليها القرار إسم الإقليم الرابع عشر - إلى الأراضي الإيرانية.

وعلى مدى خمسة عشر عاماً من ذلك التاريخ، واصلت إيران إصدار البيانات والتصريحات التى تكشف عن نواياها إزاء البحرين وإصرارها على ضمها. وانتهزت فرصة قرار الإنسحاب البريطاني من منطقة الخليج العربي، الذى صدر في الأول من أبريل عام ١٩٦٨، لتؤكد من جديد ما أسمته بـ « الحقوق الإيرانية في الخليج ».

ويذكر سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة بالتقدير، الدور الذي قام به المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية الأسبق (١٩٦٤ -١٩٧٥) في دعم موقف البحرين في مواجهة الإدعاءات الإيرانية. ويقول الشيخ خليفة أنه بحكم علاقات الأخوة العميقة والمودة الصادقة التى تربط بين الشعبين الشقيقين في المملكة العربية السعودية والبحرين، بذل الملك فيصل جهوداً كبيرة للتأثير على الإمبراطور محمد رضا بهلوي شاه إيران (١٩٤١ - ١٩٧٩) بخصوص سياسته وتوجهاته نحو البحرين.

وقد بلغ هذا التأثير مداه خلال الإجتماع التاريخي الذي عقد بينهما في جدة في اكتوبر عام ١٩٦٨، والذي تصدر موضوع البحرين جدول أعماله. وكانت الأوضاع السياسية في المنطقة آنذاك مازالت تمر بفترة حرجة للغاية، بسبب التوترات الإقليمية من جهة، والتداعيات التى أحدثتها المزاعم الإيرانية من جهة آخرى.

وقد آتت الجهود السياسية والدبلوماسية البحرينية أولى ثمارها، عندما صرح شاه إيران محمد رضا بهلوي في ٤ يناير عام ١٩٦٩، أثناء زيارته لنيودلهي، بشأن سياسته تجاه البحرين قائلاً « إن جزر البحرين فصلها الإنجليز عن بلادنا قبل مائة وخمسين عاماً، وألحقوها بإمبراطوريتهم. ولكن الوقت قد حان لكي يخرج الإنجليز من المنطقة، وأن يكون إنسحابهم إنسحاباً أساسياً وواقعياً. ومن ناحية أخرى فإن إيران تحرص على الإلتزام بسياستها القائمة على أساس عدم إعتماد القوة في الحصول على مكاسب إقليمية. وإذا كان سكان البحرين لا يرغبون في الإنضمام إلى بلادنا، فنحن لن نلجأ للقوة، لأن ذلك يتعارض ومبادىء سياستنا ».

وإثر العديد من الإتصالات غير المباشرة بين المسئولين في البحرين وإيران، تم الترتيب لعقد لقاء بين المسئولين في الدولتين. واتُفق على أن يكون هذا اللقاء في جنيف. وهناك، بذل الشيخ خليفة بن سلمان رئيس المجلس الإداري والشيخ محمد بن مبارك آل خليفة رئيس دائرة الخارجية والإعلام، جهوداً مضنية في المفاوضات التى جرت بين وفد البحرين ووفد الحكومة الإيرانية برئاسة الممثل الخاص لجلالة شاه إيران .

وقد سألت سمو الشيخ خليفة « كيف إستطعتم مواجهة إيران التى كانت في أوج قوتها، مع الإمكانيات المتواضعة للبحرين ؟ »

فأجابني سموه وبكل ثقة « إنه الايمان بالحق وقوة الإرادة ». ومضى يسرد عليّ ذكريات هذه المرحلة قائلاً « عندما جلسنا مع الوفد الإيراني لأول مرة على طاولة المفاوضات في جنيف، بدأ رئيس الوفد الإيراني بداية غير مناسبة، حيث راح يطلق التهديد والوعيد، بإسلوب لايليق بجو جلسة مفاوضات بين بلدين. وكان من بين ما قال أن بإمكان إيرن إرسال سفنها الحربية إلى البحرين، وإحتلالها في ساعات وحسم المسألة. وعندئذ أبلغت رئيس الوفد الإيراني بأن البحرين قد تكون صغيرة المساحة، إلا أننا سوف ندافع عنها بكل ما نملك من قوة، وبكل إيمان وعزيمة، وحتى آخر قطرة من دمائنا، وأنه لن ينزل جندي أجنبي على أرضنا إلا ليجدها ناراً مشتعلة ». وأنهى الشيخ خليفة الجلسة، وغادر قاعة الإجتماعات بعد أن ختم كلامه للمسئول الإيراني بقوله « نحن أتينا هنا للتفاوض وليس لسماع التهديدات ». ولم تمض سوى دقائق حتى دق جرس الهاتف في جناح الفندق الذي كان ينزل فيه الشيخ خليفة. وكان المتحدث رئيس الوفد الإيراني شخصياً، حيث طلب منه، وبطريقة دبلوماسية بدت مختلفة تماماً عن أسلوبه السابق، العودة إلى الإجتماع.

وقد كان من الواضح أن هذا التطور جاء بناءً على توجيهات من شاه إيران شخصياً، بعد أن تم إعلامه عبر الهاتف من قِبل رئيس الوفد الإيراني بما دار في الإجتماع. وكان من الواضح أيضاً أن الشاه لم يعد لديه أدنى شك في عروبة البحرين وعدالة قضيتها. وما كانت هذه المفاوضات إلا وسيلة لحفظ ماء الوجه، ومحاولة لإظهار بلاده بالمظهر الحضاري الذي كانت أبعد ما تكون عنه خلال عقود من مطالبتها بالبحرين.

وإستمرت المفاوضات بين الوفدين البحريني والإيراني عدة أشهر. وإستمرت معها سلسلة من الإتصالات، على مستويات مختلفة، بين الجانبين من جهة، وبين البحرين وبريطانيا من جهة ثانية، وبين الدول الثلاث مجتمعة من جهة ثالثة، وأيضاً في إطار الأمم المتحدة. وكان للموقف الصلب الذي تبناه الشيخ خليفة، سواء في المفاوضات أو الإتصالات، أعظم الأثر في دحض الإفتراءات الإيرانية، وتعزيز موقف البحرين. وقد دارت هذه المفاوضات والإتصالات المكثفة حول ثلاثة حلول رئيسية لقضية البحرين وإيران.

كان الحل الأول يتمثل في « مبدأ الإستفتاء » الذى طرحه شاه إيران بشكل غير مباشر خلال زيارته للهند عام ١٩٦٩ . إلا أن الشيخ خليفة كان متحفظاً إزاء القبول بهذا المبدأ، على أساس أنه ينطوى على التشكيك في عروبة البحرين، وأنه يمكن أن يؤخذ كسابقة تشجع الدول الكبيرة والقوية على المطالبة بأية دولة صغيرة، على اساس تاريخي أو سكاني.

وكان الحل الثاني متمثلاً في أن تقوم إيران بطرح الموضوع على اللجنة الدولية لتصفية الإستعمار، والتي كانت تعرف باسم « اللجنة ٢٤ ». وقد أدت التطورات الخاصة بالعلاقات بين بريطانيا وعدن إلى طرح فكرة هذا الحل. غير أن وضع البحرين كان مختلفاً تماماً عن طبيعية العلاقة التى كانت قائمة بين بريطانيا وعدن، والتى بمقتضاها وواقع حالها كانت الأولى تحتل الثانية عسكرياً.

أما الحل الثالث فقد تمثل في إمكانية رفع القضية إلى محكمة العدل الدولية. غير أن ذلك بالطبع لم يكن من إختصاص المحكمة، حيث لم تكن هناك مشكلة قانونية بين العرب وإيران حتى تنظر المحكمة في حلها.

ومن جانب آخر وافقت البحرين، يساندها عدد من الدول العربية في الأمم المتحدة، على تكوين لجنة لتقصي الحقائق، يتولى السكرتير العام للمنظمة

الدولية تعيين أعضائها. إلا أن السكرتير العام لم يجد ضرورة لتشكيل مثل هذه اللجنة، واقترح بدلاً من ذلك إرسال مبعوث شخصي نيابةً عنه إلى البحرين، ليتقصى الحقائق ويجتمع بالأهالي، ثم يقدم تقريراً إلى السكرتير العام، ويُرفع التقرير بالتالي إلى مجلس الأمن، ليسجل كوثيقة دولية تعلن إيران إعترافها بها.

ومن خلال الإتصالات السرية التى جرت بين بريطانيا وإيران، تم الاتفاق بينهما على القبول بهذا الحل، الذي إعترض عليه الإتحاد السوفيتي السابق، حيث سجل مندوبه لدى الأمم المتحدة إعتراض بلاده على قيام السكرتير العام للمنظمة الدولية بإتخاذ هذه الخطوة دون أن يستشير الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن. ورد السكرتير العام على الإعتراض السوفيتي قائلاً « إن الأطراف المتنازعة إتفقت على طريقة الحل مسبقاً. وهناك سوابق عديدة حدثت في الأمم المتحدة وتصّرف فيها السكرتير العام ».

❖❖❖❖

وفى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين من بعد ظهر يوم ٢٦ مارس عام ١٩٧٠ أعلنت إذاعة لندن أن كلاً من بريطانيا وإيران تقدمتا بطلب إلى السكرتير العام للامم المتحدة لإرسال مندوب من المنظمة الدولية لإستطلاع رأى شعب البحرين حول ما إذا كان يرغب في الإستقلال أو الإنضمام إلى إيران ».

وفي يوم الأحد ٢٩ مارس من العام ذاته أصدر مجلس الدولة في البحرين، بعد إجتماع مطول له برئاسة سمو الشيخ خليفة بن سلمان، بياناً لشعب البحرين جاء فيه « إن الموقف الإيراني تجاه البحرين من الأمور التى يجب معالجتها جذرياً، ليس باعتباره مسألة تخص البلدين فحسب، بل لضمان مستقبل دول المنطقة كلها » وأضاف البيان يقول « ولقد قبلنا بهذا الإجراء لأنه قبل كل شيء لا يمس سيادتنا وكرامتنا كبلد مستقل، ولا يعني إعترافا منا بالإدعاء الايراني، ولكن لكي نبرهن في الوقت ذاته على صدق نوايانا في مجال التعاون المخلص مع دول منطقتنا كلها ». وإستمر البيان يقول « أيها المواطنون .... إنها لفرصة تاريخية أن نقول كلمتنا على مسمع من العالم كله، مؤكدين حقيقتنا، مظهرين وعينا ونضجنا ورقينا، مثبتين تمسكنا بروح السلم من أجل تأكيد حقنا الذى سيبقى بإذن الله ناصعا كاملا، مع رسوخ كيان هذا البلد العريق ».

ولم يكن الإستعداد لهذا الحدث قاصراً على البحرين وحدها. فقد كانت إيران من جانبها تبذل كل الجهد لتهيئة الجو لنتائج بعثة الأمم المتحدة، والتي لم يكن هناك أدنى شك في أنها ستجيء مؤكدة عروبة البحرين. وفي هذا الإطار، عقد مجلس النواب الإيراني جلسة طارئة برئاسة السيد عبدالله رياضي رئيس المجلس. وقد بدأ وزير الخارجية الإيراني السيد أردشير زاهدي الجلسة بكلمة مطولة تحت عنوان (قضية البحرين ومصير سكانها) نكتفي هنا بنقل الفقرة الأخيرة منها، حيث قال الوزير الإيراني « كما يعلم السادة النواب المحترمون، أن الحكومة البريطانية سوف تنسحب في سنة ١٩٧١ من (الخليج الفارسي). وقد يبدو عندئذ أن العقبات الموجودة لإعادة البحرين قد زالت، وأن إيران سوف تتمكن بعد الإنسحاب من إحتلال الجزيرة بإرسال القوات اليها. إلا أنه يجب ملاحظة إمكان وقوع تغيرات بطبيعة سكان البحرين بفعل هذه المدة الطويلة التى تركت أثراً على الميول الباطنية لغالبية السكان هناك، دون أن تعلم الحكومة الشاهنشاهية شيئًا عن طبيعتها في الوقت الحاضر. واعتماداً على هذه الملاحظات، فقد حدد جلالة الشاهنشاه أريامهر في مقابلته الصحفية في يناير ١٩٦٩ في نيودلهي، الخطوط المنطقية والمعقولة التي كان على إيران أن تختارها لحل قضية البحرين. وقال موضحاً في التصريحات الحكيمة هذه، لقد كانت إيران متمسكة دائماً بسياستها المبنية على عدم إستخدام القوة للحصول على أراضٍ وإمتيازات إقليمية، ضد ميول ورغبات سكان تلك المنطقة. وأود أن أقول إنَّه إذا لم يرغب سكان البحرين بالإنضمام إلى بلادنا، فإننا لن نلجاء إلى إستخدام القوة أبداً، لأن إستخدام القوة لإستعادة هذه الجزيرة يتنافى ومبادىء سياسة حكومتنا. ومن جهة أخرى، ما الفائدة من إحتلال أرض للاحتفاظ بها بالرغم من معاداة سكانها لكم ؟ إن هذا العمل يعتبر قبل كل شئٍ إحتلالاً. ومع كل إحتلال يجب عليكم مراقبة وحفظ أمن وسلامة قواتكم المحتلة، وأن يقوم جنودكم في الشوراع بأعمال الحراسة في كل الأوقات، وهم معرّضون لأخطار إطلاق النار والقنابل وغيرها من المخاطر. إن سياستنا وفلسفتنا تقوم على أساس عدم الإحتلال أو الإحتفاظ بأرض الغير بالقوة. أما بالنسبة لكيفية الحصول على الرغبات والميول الحقيقة لسكان البحرين، فقد قال الشاهنشاه أريامهر إن اي عمل يمكن أن يُبرز إرادة سكان البحرين بشكل نعترف به نحن وأنتم والعالم أجمع بصورة رسمية، فهو عمل جيد. وعلى ضوء ذلك جرى الإهتمام باختيار الطريق القانوني والمنطقي لحل قضية البحرين. وبعد إجراء الدراسات اللازمة، قررت الحكومة اللجوء إلى منظمة الأمم المتحدة بهذا الشأن، بإعتبارها المرجع الوحيد لتسوية الخلافات الدولية ».

وأرجو هنا ملاحظة إستخدام المسئول الإيراني لعبارة (الخلافات الدولية) مما يعد إعترافاً مبكراً وصريحاً ومباشراً من إيران باستقلال البحرين، حيث الخلاف بين « دولتين »، وليس ما كان يّدعي البعض لديهم بأنها خلافات إيرانية داخلية.

ومن الطريف أن أربعة من مجموع خمسة أعضاء، كانوا يمثلون حزب إيران الكبرى في هذه الجلسة، صّوتوا بالموافقة على الحل المذكور، بينما صّوت نائب الحزب، السيد فضل الله صدر، ضد هذا الحل. وكانت نتيجة ذلك أن طُرد السيد فضل الله من الحزب، بسبب إتخاذه لهذا الموقف المعاكس. كما أوقفت السلطات المختصة في إيران صحيفة (خاك خون) عن الصدور، إثر مهاجمتها للسياسة الإيرانية فيما يتعلق بقرارها حول إجراءات إنهاء المطالبة بالبحرين.

ومن جانبه، قال السيد مسعودي نائب رئيس مجلس الشيوخ الإيراني « إن البحرين قد تطورت في الوقت الحاضر، وشهدت تغيراً كبيراً » وأضاف السيد مسعودي، الذي نقل تصريحاته هذه راديو طهران الناطق بالإيرانية، قائلا « ليس باستطاعة إيران أن تبني مواقفها على نظريات قديمة يعود عهدها إلى ماقبل مائة وخمسين سنة .... ».

والجدير بالذكر أن مجلس الشيوخ الإيراني كان قد وافق بالإجماع على الطريقة التى إتبعتها الحكومة الإيرانية لحل قضية البحرين. وفي مجلس النواب، وافقت جميع الأحزاب الإيرانية على نفس الطريقة، فيما عدا حزب واحد، هو حزب « بان إيران » المعروف بتطرفه. إلا أن أعضاء هذا الحزب في البرلمان كانوا قليلين، وبالتالي كان تأثيرهم ضعيفاً.

وبعد موافقة الأطراف المعنية بقضية البحرين (بريطانيا وإيران وحكومة البحرين)، وفي الساعة السابعة من صباح يوم ٣٠ مارس عام ١٩٧٠، كان سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس مجلس الدولة في قاعة التشريفات بمطار البحرين الدولي، في إنتظار وصول لجنة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة. وضمت البعثة في عضويتها ستة ممثلين دوليين من إندونيسيا وأيرلندا وفرنسا والهند والأردن، إضافة إلى رئيسها المندوب الإيطالي السيد « ونسبير جيو شاردي ». وأعلن « جيو شاردي » لدى وصوله مطار البحرين، أنه سوف يقوم بزيارة المؤسسات والهيئات والمنظمات والجمعيات وبعض أفراد الشعب. كما أعلن ترحيبه بكل من يود القيام بزيارته أو الإتصال به بكل حرية. وفي ختام حديثه، أكد أنه سوف يقوم بعمله بكل أمانة وحياد وتجرد وعدل، دون تحيز أو ميل، مع عدم التدخل في الشئون اليومية للمواطنين.

وقد تم وضع برنامج الإستطلاع للجنة الأمم المتحدة، بحيث يشمل معظم مناطق البلاد،وقد بدأت البعثة هذه اللقاءات مع المواطنين في عصر نفس يوم الوصول، وذلك في قاعة المؤتمرات في فندق الخليج، حيث كان رجال الدين هم أول من التقت بهم البعثة وذلك في الساعة الخامسة عصراً ، ثم توالت هذه اللقاءات لمعظم الأندية والجمعيات والقرى والمؤسسات، وذلك حرصا من جانب اللجنة على أن يشمل الإستطلاع معظم فئات وأفراد الشعب. وعلى سبيل المثال، إجتمعت البعثة مع إدارات أندية العروبة والخريجين والبحرين وجدحفص والنسور والسنابس والجزائر والفردوسي وسترة والرفاع واليرموك والإصلاح والنعيم والأهلي والترسانة. كما كان للجمعيات النسائية دورها، حيث إلتقت البعثة بإدارات جمعية رعاية الطفولة والأمومة ونهضة فتاة البحرين. هذا بالإضافة إلى الجمعيات الأخرى مثل أسرة الأدباء والكتاب وأسرة فناني البحرين وجمعية الهلال الاحمر البحريني، والعديد غيرهم.

وبينما كانت لجنة تقصي الحقائق تقوم بمهمتها في البحرين، كان وزير خارجية المملكة العربية السعودية الأستاذ عمر السقاف يقوم بزيارة إلى إيران. وقد صرح السقاف خلال هذه الزيارة بقوله « إن موقف إيران في مسألة البحرين هو موقف سلمي ومنطقي، وأن السياسة الحكيمة للشاهنشاه كانت دوماً مبعث التقدير » وجاء هذا التصريح في إطار الجهود التى كانت تقوم بها المملكة العربية السعودية لدعم قضية البحرين، وإعطاء حكومة الشاه التقدير الإقليمي الذي كانت بحاجة إليه داخلياً.

وفي ١٩ ابريل عام ١٩٧٠، سافرت اللجنة بعد الإنتهاء من مهمتها في البحرين إلى جنيف. وفي الثلاثين من الشهر نفسه قدم السيد « جيو شاردي » تقريراً كاملاً بنتائج عمل بعثته في البحرين إلى الأمين العام للامم المتحدة. وقد ذكر « جيو شاردي » في تقريره أنه « تعمد إستطلاع رأي الجمعيات والنوادي والمواطنين العاديين، كما زارت البعثه ثلاث قرى نائية، وأجرت الكثير من المقابلات والإتصالات الشخصية. كما أن اكثر الردود التي تلقاها إلتقت عند قاسمين مشتركين، أولهما: تطلّع الجميع إلى الهدوء والإستقرار في المنطقة، وقيام علاقات أوثق بين زعماء دول الخليج بما فيها إيران. وثانيهما: قيام دولة ذات سيادة وإستقلال تامين. وقالت الأغلبية العظمي إن هذه الدولة يجب أن تكون دولة عربية. والجدير بالذكر أن هذا التقرير الذى إعتمده مجلس الأمن الدولي وإعترفت على أساسه جميع دول العالم

بإستقلال البحرين قد شمل أرخبيل البحرين بأكمله وجميع جزرها بما فيها جزر حوار، بما ينهي ليس مطالبات إيران فحسب، بل يجعل المطالبات القطرية في « حوار » غير ذات موضوع وغير قائمة أصلاً.

وقبل إنعقاد مجلس الأمن للمصادقة على بيان لجنة تقصي الحقائق، سافر وفد البحرين إلى الأمم المتحدة. وكان مؤلفاً من رئيس دائرة الخارجية الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة، والمستشار القانوني لمجلس الدولة الدكتور حسين محمد البحارنة، وبعض المختصين.

وفي ١١ مايو عام ١٩٧٠، صادق مجلس الأمن على تقرير لجنة تقصي الحقائق حول مشكلة البحرين. وبهذا سقطت المطالبة الإيرانية بالبحرين، بعد إدعاءات إستمرت أكثر من ١٥٠ عاماً. وبعد أن أكدت اللجنة الدولية - على أرض الواقع - إستقلال البحرين وعروبتها الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، لم يعد أمام حكومة شاه إيران سوى الإعتراف بالأمر الواقع. ومن ثم عمدت إلى التقارب مع البحرين، فأرسلت في ١٧ مايو عام ١٩٧٠ وفداً برئاسة وكيل وزارة الخارجية للتهنئة بصدور القرار. ومن غرائب الصدف أن يكون هذا الوكيل هو نفس المسئول الذى ترأس الوفد الإيراني لأول مفاوضات في جنيف مع البحرين !

ولتأكيد الأصالة العربية للبحرين قام رئيس مجلس الدولة آنذاك سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة في يونيو عام ١٩٧٠ بأول زيارة رسمية يقوم بها مسئول بحريني إلى إيران منذ ما يقارب القرن من الزمان.

وفي أعقاب هذه التطورات، أخذت العلاقات البحرينية الإيرانية في التحسن بشكل كبير للغاية، حيث لم تمر فترة طويلة على عودة سمو الشيخ خليفة من إيران، حتى وصلت البحرين دعوة أخرى إلى سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البلاد آنذاك من الشاه محمد رضا بهلوي يدعوه فيها لزيارة إيران. وفي ١٨ ديسمبر من نفس العام قام الشيخ عيسى بتلبية هذه الدعوة.

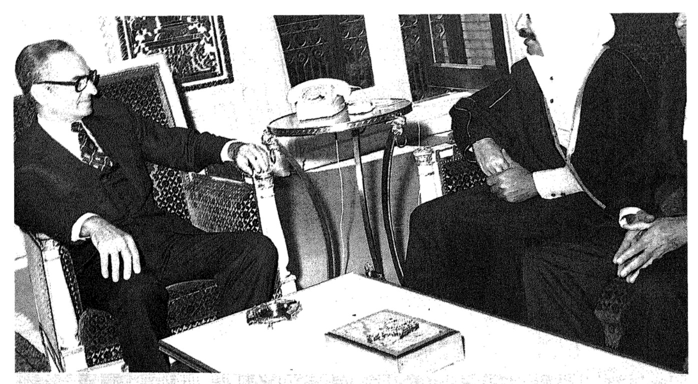
❖❖❖❖

وإنطلاقاً من الحرص الذي أولاه الشيخ خليفة لتطوير علاقات الصداقة والتعاون بين البحرين وإيران، ورغبة منه في تعزيز آليات العمل السياسي والتبادل التجاري والإقتصادي بينهما، قام في ٢٤ مايو عام ١٩٧٥ بزيارة ثانية إلى طهران تلبية لدعوة رسمية من السيد أمير عباس هويدا رئيس الوزراء الإيراني آنذاك.

وقد كان لهذه الزيارة، وفق ما تناقلته وكالات الأنباء العالمية، طابعاً مميزاً، حمل في طياته تقديراً إيرانيا كبيراً لهذا السياسي العربي القدير القادم من البحرين. وانعكس هذا التقدير على كل شيء، إبتداءً من جدول الأعمال الحافل الذي أُعّد قبل الزيارة. وعند وصول الشيخ خليفة والوفد المرافق له إلى مطار طهران، أحيط باستقبال رسمي حافل. ورافقت موكبه عربات تجرها الخيول إلى وسط العاصمة الإيرانية. هذا بالاضافة إلى الحفاوة البالغة من الشعب الإيراني الذي إصطف على جانبي الشوراع لتحية الوفد البحريني. وقد بلغت هذه الحفاوة والتقدير لشخص الشيخ خليفة قمّتها خلال وبعد المباحثات التي أجراها مع شاه إيران السابق. ففي ختام جولة المباحثات التى أجرياها في القصر الامبراطوري بطهران، مشى الشاه مع الشيخ خليفة حتى باب القصر. وهناك، توقف الشيخ خليفة مودعاً، ومعبراً للشاه عن شكره والوفد المرافق. فما كان من الشاه إلا أن أصر على توصيل ضيفه إلى مقر إقامته في أحد القصور الملحقة بالقصر الرئيسي، وذلك سيراً على الأقدام عبر حدائق القصر الشاسعة، ووسط دهشة كافة المسئولين الإيرانيين المرافقين الذين لم يعتادوا رؤية إمبراطورهم وقد نحّى جانباً مقتضيات البروتوكول الخاص بالبلاط الشاهنشاهي. وكانت هذه لفتة تقدير خاصة من جانب الشاه لضيفه الكبير.



سمو الشيخ خليفة بن سلمان أثناء لقائه بشاه إيران محمد رضا بهلوي في طهران (مايو ١٩٧٥)



علامات الإعجاب والتقدير تبدو واضحة على وجه شاه إيران محمد رضا بهلوي أثناء اجتماعه بسمو الشيخ خليفة بن سلمان (مايو ١٩٧٥)

شاه إيران محمد رضا بهلوي يقوم بتوصيل سمو الشيخ خليفة بن سلمان إلى مقر إقامة سموه في أحد القصور الملحقة بالقصر الشاهنشاهي بطهران (مايو ١٩٧٥)

وعندما أطاحت الثورة الإيرانية بنظام الشاه، الذي أجُبر على مغادرة إيران في ١٦ يناير عام ١٩٧٩، وقبل أيام قليلة من عودة الإمام الخميني إليها في الأول من فبراير من نفس العام، فإن البحرين - شأنها شأن مختلف دول المنطقة، وربما العالم كله - أخذت ترقب تطورات الأوضاع في إيران، معتبرة أن ما تشهده هو شأن داخلي يخص شعبها وحده.

وقد أعقبت هذه المرحلة، فترة شابها القلق والريبة من قِبل العديد من دول المنطقة تجاه الجمهورية الإسلامية في إيران، والتى أُعلن عن قيامها في الثاني من أبريل عام ١٩٧٩ . وربما كان سبب هذا القلق هو عدم وضوح الرؤية بالنسبة لطبيعة التوجهات على الساحة الإيرانية، وتعدد هذه التوجهات وأحيانا تضاربها.

وفي ظل هذا الغموض، جاءت تصريحات من آية الله صادق روحاني في يوليو عام ١٩٧٩، لتهدد بحدوث منعطف سلبي على العلاقات بين البلدين. فقد أعلن روحاني أن الاتفاق الإيراني البحريني عام ١٩٧٠ غير شرعي، مما أثار حفيظة حكومة وشعب البحرين. وقد هاجم سمو الشيخ خليفة بن سلمان هذا التصريح، ورد عليه بالقوة التي يوجبها حق البحرين والشرعية الدولية.

ولم تمض فترة طويلة، حتى أعلن السيد إبراهيم يزدي وزير خارجية إيران آنذاك، أن تصريحات آية الله صادق روحاني تعبر عن رأيه الشخصي، وليس عن رأى الحكومة الإيرانية.

وفي ٢٩ سبتمبر من العام نفسه، أعاد آية الله صادق روحاني تصريحاته. وفي نفس اليوم أكد وزير الخارجية مرة أخرى أن تلك الأقوال لا تعكس وجهة نظر الحكومة الإيرانية. وفي أكتوبر من العام نفسه، نفى رئيس الوزراء الإيراني المهندس مهدي بازركان بصورة قطعية أن تكون لبلده أهداف توسعية في منطقة الخليج. وأكد أن تصريحات آية الله روحاني ليس لها أية قيمة سياسية. وعلى ضوء ذلك، توجه في ١٠ نوفمبر من العام نفسه نائب رئيس الوزراء الإيراني السيد صادق طبطبائي إلى البحرين، إستجابة لمبادرة سورية إستهدفت تحسين العلاقات البحرينية الإيرانية. والتقى طبطبائي خلال هذه الزيارة بأمير البلاد ورئيس الوزراء، وأعلن أن الثورة الإيرانية تحترم إستقلال جميع الدول المجاورة. وفي مايو عام ١٩٨٠، زار البحرين وزير الخارجية الإيراني السيد صادق قطب زاده، في محاولة أخرى لتحسين العلاقات بين البلدين.



سمو رئيس الوزراء يستقبل وزير الخارجية الإيراني علي اكبر ولايتي (مايو ١٩٩٣)

إلا أن نشوب الحرب العراقية الايرانية في سبتمبر عام ١٩٨٠، كان سبباً في إلحاق الجمود - وربما التوتر - بالعلاقات الإيرانية الخليجية العربية، ليس فقط إنطلاقاً من الموقف الخليجي والعربي المساند بشكل عام للعراق، ولكن أيضا بسبب الشكوك التى تملكت العديد من دول المنطقة بأن إيران، ومن خلال سعيها لتصدير أفكار ثورتها، كانت مصدر العديد من المؤامرات والمحاولات التخريبية التي تم إكتشافها في هذه الدول، فيما استمرت السلطات الإيرانية في إنكارها لهذه الإتهامات.

❖❖❖❖

هوامش (١) الدكتور محمد حسن العيدروس: العلاقات العربية - الإيرانية - منشورات ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٥

(٢) نفس المصدر


قيام الدولة



الفصل التاسع

قيام الدولة

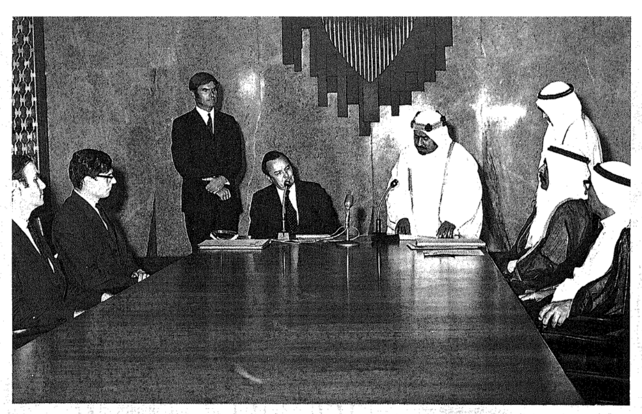
سـألت الشيخ خليفـة بن سلمـان آل خليفـة عن أهم وأغلى الإنجـازات الوطنيـة في نظره، فأجاب الرجل دون تردد « العمل من أجل تحقيق إستقلال وسيادة البحرين، كغاية أساسية بحد ذاتها، وكخطوة هامة نحو الإنطلاق لتحقيق تقدم البلاد وبناء نهضتها الحديثة »

❖❖❖❖

ولا يختلف إثنان على أن الرابع عشر من شهر أغسطس عام ١٩٧١، يوم لايُنسى في تاريخ البحرين الحديث. ففي ظهيرة ذلك اليوم، إلتف أهل البحرين جميعهم، رجالاً ونساءً، كبيراً وصغيراً، حول أجهزة الراديو، غير عابئين بحرارة الجـو التى تبلغ ذروتهـا في هذا الوقت من العـام. واحـتـبـست أنفـاسـهـم وهم يترقبون بشغف ولهفة سماع صوت الرجل الذي عرفوه وأحبوه، والذي ناضل لسنوات طويلة من أجل هذه اللحظة، لحظة تحـقق الأمل وتحـول الحلم إلى واقع، وهو يلقي على مسامعهم أهم بيان في تاريخ بلادهم. وكان البيان مذاعاً على الهـواء مبـاشـرة من قاعـة الإجـتمـاعات بدار الحكومة في المنامـة. وجاء صوت الرجل يتدفق قوة وحماساً، ويبعث في سامعيه إحساساً بالفرحة والأمل لم يسبق لهم أن عاشوه أو عرفوه.

كان ذلك الصوت هو صوت الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، وكان البيان هو بيان الإستقلال.

وفي سـاعـة مبكرة من صباح اليوم التالى - ١٥ أغسطس ١٩٧١ - وبعد ليـال وأيام من العـمـل الشـاق والجهـد المتواصل، عـاد الشـيخ خليفـة إلى نفس القاعةَ التى أعلن منها بيان الإستقلال، ليشرف بنفسه على ترتيبات الحفل الذى



سمو الشيخ عيسى بن سلمان يوقع إتفاق إنهاء العلاقات التعاهدية مع
بريطانيا بحضور سمو الشيخ خليفة بن سلمان (أغسطس ١٩٧١)

سمو الشيخ خليفة بن سلمان أثناء المؤتمر الصحفي الذي عقده عقب
إنهاء العلاقات التعاهدية بين البحرين وبريطانيا (أغسطس ١٩٧١)



كان من المقرر إقامته في الحادية عشرة من صباح نفس اليوم، بمناسبة التوقيع على وثيقة إنهاء المعاهدة الخاصة التي كانت قائمة بين البحرين والمملكة المتحدة. وقد قام سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البلاد، بحضور سمو الشيخ خليفة، بالتوقيع على هذه الوثيقة ممثلاً لقيادة وإرادة شعب البحرين، بينما قام السيد « جيفري آرثر » المقيم السياسي وممثل ملكة بريطانيا بالتوقيع نيابة عن الحكومة البريطانية.

❖❖❖❖

وقد وضع هذا التطور التاريخي نهاية مرحلة كانت أحداثها قد بدأت قبل نحو مائة وعشرة أعوام، وبالتحديد يوم ١٣ مايو عام ١٨٦١، عندما وقّع الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة حاكم البحرين في ذلك الوقت معاهدة العلاقة الإرتباطية مع بريطانيا. وجاءت التطورات التى توالت بعد ذلك، لتؤكد أن تلك المعاهدة كانت جسراً إستطاعت البحرين عبره أن تخطو خطوة على طريق إمتلاك إرادتها. فقد خرج المقيم السياسي البريطاني في إيران آنذاك السيد « جونز » على رأس حملة بحرية بريطانية صغيرة قوامها أربع سفن حربية من ميناء بوشهر الإيراني، وحاصر ميناء المنامة، وراح يستعرض قوته العسكرية ويهدد بإستخدام السلاح إن لم توقّع البحرين على معاهدة الصداقة. ورغم أن هذه المعاهدة كانت تعطي بريطانيا إمتيازات واسعة في البحرين، إلا أن الشيخ محمد بن خليفة آثر المبادرة إلى توقيعها، إدراكاً منه بأن موازين القوى آنذاك كانت تميل كلها لصالح بريطانيا، ولكن عامل الوقت كان بكل تأكيد في صالح البحرين. فبقاء بريطانيا في منطقة الخليج عموماً، والبحرين على وجه الخصوص، كان وضعا محكومًا عليه بالإنتهاء إن عاجلاً أو آجلاً، وذلك بحكم التغير في الأوضاع الإستراتيجية العالمية.

وقد كان السبب الذى دعا إلى تواجد قوات بريطانيا في الخليج العربي، هو حماية مستعمراتها في شبه القارة الهندية من أطماع أعدائها. لذلك عمدت بريطانيا إلى جعل الخليج العربي بحيرة بريطانية، وخط دفاع أول لحماية مستعمراتها في الهند. وفي منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، بدأت بريطانيا تعيد النظر في سياستها تجاه منطقة شرق السويس، وخاصة الخليج وجنوب الجزيرة العربية حول عدن، وذلك بسبب الأوضاع التي سادت الشرق الأوسط في ذلك الوقت، والتى جعلت بريطانيا تعيد النظر في تخطيط سياستها العالمية بأكملها. فقد إنسحب

البريطانيون عام ١٩٤٨ من فلسطين التى كانت من أكبر قواعدهم في منطقة شرق قناة السويس. كما تخلت بريطانيا عام ١٩٥٤ عن قاعدتها في منطقة قناة السويس، بعد أن تعرضت لهجمات الفدائيين في مصر. وقد واجهت الحكومة البريطانية بسبب ذلك إحتجاجات شديدة من قبل الجناح اليميني في حزب المحافظين.

وبعد العدوان الثلاثي الفاشل على مصر عام ١٩٥٦، أعُيد تقييم السياسة البريطانية. وظهرت إستراتيجيتها الجديدة في عام ١٩٥٧، عندما أصدرت وزارة الدفاع البريطانية « الكتاب الأبيض » الذي تضمن الخطوات العريضة لسياستها الدفاعية، والتي كانت ترتكز على وجود قواعدها في شرق السويس وفي شرق أفريقيا.

وكان إنشاء القواعد البريطانية التسع في الخليج، تعويضاً عما خسرته بريطانيا في قناة السويس عقب العدوان الثلاثي على مصر. كما عوّضت بريطانيا بهذه القواعد التسع قواعدها في عدن، والتي إضُطرت إلى الجلاء عنها بسبب المشاكل والضغوط التى تعرضت لها بفعل حركة الثوار في اليمن الجنوبي.

وفي عام ١٩٦٢، أصدرت وزارةالدفاع البريطانية الكتاب الأبيض الثاني، وكان عنوانه « السنوات الخمس القادمة ». وقد بيّن الكتاب أهمية البترول في السياسة البريطانية، وأكد إلتزام بريطانيا بخططها الدفاعية وتقديم المساعدات العسكرية إلى حلفائها. ثم عادت الوزارة فأصدرت كتاباً أبيض جديداً عام ١٩٦٧، تضمن تخفيض عدد قواتها شرق السويس، بسبب الدوافع الإقتصادية والرغبة في خفض النفقات العسكرية.

وفي ١٦ يناير عام ١٩٦٨، صرح السيد « هارولد ولسن » زعيم حزب العمال ورئيس الحكومة البريطانية، في مجلس العموم البريطاني قائلاً « لقد عزمنا على سرعة سحب قواتنا من الخليج. وقد بيّنا لحكام الخليج أن إهتماماتنا الأساسية في رخاء الخليج مازالت كما هى ».

❖❖❖❖

ولم يمر وقت طويل على توقيع وثيقة إنهاء المعاهدة البحرينية البريطانية، حتى صدر عن سمو الشيخ عيسى بن سلمان مرسوم بشأن إعادة التنظيم

السياسي والإداري للبلاد. وطبقاً لهذا المرسوم تم تغيير إسم إمارة البحرين إلى دولة البحرين، وكذلك لقب حاكم البحرين وتوابعها إلى أمير دولة البحرين. وتبع ذلك صدور مرسوم آخر بإعادة التنظيم الإداري للدولة، حيث تم تغيير مسمى مجلس الدولة إلى « مجلس الوزراء » وتسمية رئيس مجلس الدولة إلى « رئيس الوزراء » وأعضاء مجلس الدولة إلى وزراء.

ويذكر سمو الشيخ خليفة أن الفرحة الشعبية العارمة التى عمت البحرين بهذه المناسبة، زادته تصميمًا على أن يكون هذا التغيير في المسميات تحولاً حقيقًا في مضمون التنظيم السياسي والإدراي للبلاد، وعلى أن تبدأ الحكومة العمل على إنطلاق البحرين نحو تبوء المكانة اللائقة بها على خريطة العالم.

وكم كانت سعادته غامرة، وهو يقف إلى جانب شقيقه الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد، يتلقى التهاني من رؤساء وأعضاء الوفود الرسمية التي توافدت على البحرين بهذه المناسبة التاريخية، من مختلف البلدان الشقيقة والصديقة.

ويذكر سمو الشيخ خليفة أن الفترة الزمنية الفاصلة بين إستقلال دولة البحرين وإستقلال دولة قطر الشقيقة كانت أياماً معدودة. فقد حصلت دولة قطر على إستقلالها يوم ٣ سبتمبر من نفس العام، إثر توقيع معاهدة الصداقة مع بريطانيا. وفور إعلان إستقلال دولة قطر، إبتعث سمو الأمير المفدى وفداً رفيع المستوى برئاسة سمو الشيخ خليفة بن سلمان للتهنئة بهذه المناسبة.

ويقول سمو الشيخ خليفة إن تحقيق الإستقلال عن بريطانيا مع الإبقاء على علاقات صداقة قوية معها، خطوة جديدة أمكن تحقيقها على درب تأمين سيادة وإستقلال البحرين، وذلك بفضل ما أنعم الله به عليها من تلاحم صادق بين القيادة والشعب، مما كان له أعظم الأثر في كل ما إستطاعت إنجازه على كافة المستويات.

❖❖❖❖

تلك كانت لمحة إستعرضنا من خلالها بقليل من التفصيل، أهم أحداث الفترة التى سبقت الإستقلال، وما واكبها من أحداث ارتبطت بالأطماع الإيرانية في البحرين والتصدى لها، وما تلاها من إرساء قواعد الدولة الحديثة. غير أن الدور والجهود التى قام بها سمو الشيخ بن سلمان على مدى سنوات طويلة من أجل إستقلال البحرين وتأمين سلامة البلاد في مرحلة مابعد الإستقلال، ثم وضعها في المكان اللائق بها على خارطة العالم المتحضر، تستحق في رأيي ان ينفرد لها كتاب مستقل.



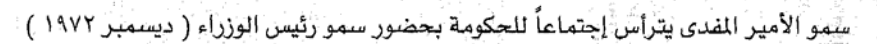
صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء (وخادم الحرمين الشريفين جلالة الملك) فهد بن عبدالعزيز آل سعود في زيارة إلى دولة قطر لتقديم التهاني إلى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (نائب الحاكم وولي العهد آنذاك) بمناسبة اعلان إستقلال دولة قطر (٤ سبتمبر ١٩٧١)

الجلسة الأولى

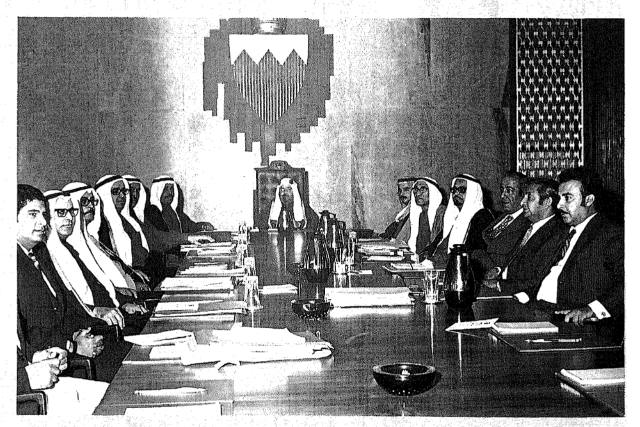
في تمام الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الأربعاء الموافق ١٨ أغسطس عام ١٩٧١، إفتتح سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البحرين الجلسة الأولى لأول مجلس للوزراء في الدولة. وبعد الإفتتاح عُقدت في قاعة الإجتماعات بمبنى الحكومة الجلسة الأولى والتاريخية لمجلس الوزراء، برئاسة سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء. وقد تضمن جدول أعمال هذه الجلسة العديد من الموضوعات المترتبة على إعلان الإستقلال، والخطوات التى تعتزم الدولةإتخادها في هذا المجال. كما تقرر أن يقوم الدكتور حسين محمد البحارنة، وزير الدولة آنذاك، بالسفر إلى القاهرة لتقديم طلب البحرين للإنضمام لجامعة الدول العربية بصورة رسمية إلى الأمين العام للجامعة السيد عبدالخالق حسونة، وهو ماتم بالفعل يوم السبت ٢١ اغسطس عام ١٩٧١ .



صورة تذكارية لسمو الأمير وسمو رئيس الوزراء مع التشكيل الوزاري الجديد (١٩٧٢)



سمو الأمير المفدى يترأس إجتماعاً للحكومة بحضور سمو رئيس الوزراء (ديسمبر ١٩٧٢)



وواصل مجلس الوزراء جلساته، فعقد جلسته الثانية صباح يوم الإثنين ٣٠ أغسطس. وقد تصدّر جدول أعمال هذه الجلسة مشروع مرسوم بتنظيم وزارة الخارجية، ومشروع قانون تنظيم السلكين الدبلوماسي والقنصلي. كذلك اطّلع المجلس على الدعوة الموجهة إلى رئيس الوزراء من الدكتور محمود فوزي رئيس الوزراء المصرى آنذاك ، للقيام بزيارة رسمية لمصر. كما وافق المجلس في هذه الجلسة على أن يترأس الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة، وزير الخارجية ووزير الإعلام بالوكالة، وفد البحرين لإجتماع جامعة الدول العربية الذي عقد في القاهرة في ١١ سبتمبر من العام نفسه، وكذلك رئاسة وفد البحرين لحضور إجتماعات الدورة السادسة والعشرين للجمعية العمومية للأمم المتحدة في نيويورك والتي بدأت في ٢١ من الشهر نفسه.

وبعد مشاورات بين أمير البلاد ورئيس الوزراء، جاءت هدية سمو الأمير لشعبه المحب الوفي، عندما أعلن يوم ١٧ نوفمبر عام ١٩٧١ « لقد كان الهدف الذي وضعناه نصب أعيننا هو توفير الظروف المعيشية الطيبة لجموع أبناء شعبنا . ومن هنا كان تخطيطنا لبناء مدينة عيسى النموذجية، لتوفر لمواطنينا، وخاصة من ذوي الدخل المتوسط والمحدود، السكن اللائق. وبالفعل، أصبحت مدينة عيسى تضم الآن حوالى ١٥٠٠ عائلة، جاءت من مختلف أنحاء البلاد . ولما كنا نرغب في تخفيف العبء المالي على ساكني مدينة عيسى وتحسين ظروفهم، وإبتهاجًا بعيد إستقلال بلادنا العزيزة، فقد أصدرنا أمرنا بإعفاء جميع ساكني المدينة الحاليين من الأقساط المستحقة عليهم »

وفي ١٢ ديسمبر عام ١٩٧٢، جرى أول تعديل وزاري، عندما سُلمت حقيبة وزارة التربية والتعليم إلى الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل خليفة، خلفاً للأستاذ أحمد العمران الذي عُين مستشاراً للأمير. كما عين الأستاذ إبراهيم محمد حسن حميدان وزيراً للعمل والشئون الإجتماعية، بدلاً من الإستاذ جواد سالم العريض الذي أصبح وزيراً للدولة لشئون مجلس الوزراء.

ويقول سمو الشيخ خليفة إنه إستناداً إلى الدعم الذى لقيته الحكومة من قِبل سمو أمير البلاد، تواصلت الجهود نحو تحقيق الطموحات سريعاً وبلا توقف، حتى يتم وضع البحرين في إطار الدولة الحديثة، وحتى تتحقق تطلعات وطموحات هذا الشعب الوفي العظيم.

وإنطلاقا من قناعة القيادة السياسية في البلاد، بأن وجود دستور قوي ومتوازن يعد ضرورة أساسية من ضرورات تقدم ورقي الدول، كان الحرص منذ الشهور الأولى لإستقلال البحرين على أن يكون للدولة دستورها الوطني الذي تعتز به. وعلى هذا الأساس، قام أمير البلاد في ٢٠ يونيو عام ١٩٧٢، بإصدار المرسوم الذي كان قاعدة الإنطلاق نحو إعداد دستور الدولة، والذى نصت المادة الأولى منه على ان « يُنشأ مجلس تأسيسي لوضع مشروع دستور للبلاد، ويتألف من إثنين وعشرين عضواً ينتخبهم الشعب بطريق الإنتخاب العام السري المباشر، ومن عدد لا يزيد عن عشرة أعضاء يعيّنون بمرسوم، ويكون الوزراء أعضاء في المجلس بحكم مناصبهم ».

وعلى إثر ذلك، عمد سمو الشيخ خليفة إلى تطوير الجهود الهادفة إلى تهيئة المجال لسير العمل الرسمي والشعبي في الطريق السليم والمنظم، حتى يرى دستور البلاد النور. وقد شهد يوم ١٩ يوليو من العام نفسه صدور مرسومين. أولهما المرسوم الذى صدر عن رئيس الوزراء وحدد فيه المناطق والدوائر الإنتخابية، وذلك بتقسيم البلاد إلى ثمان مناطق تضم تسع عشرة دائرة. أما المرسوم الثاني فقد صدر في اليوم ذاته عن سمو الأمير بشأن أحكام الإنتخابات للمجلس التأسيسي، وفيه حُددت فئات وأعمار الناخبين وبقية الشروط التي يتعين توافرها فيهم.

وفي ٣١ يوليو عام ١٩٧٢ صدر قرار عن وزير البلديات والزراعة، بشأن تشكيل « لجان تسجيل الناخبين في جداول الإنتخابات ». وحدد هذا القرار عدد لجان التسجيل وتشكيلها ومقارها في جميع المناطق الإنتخابية. وجدير بالذكر في هذا الصدد، أن من أهم الأسباب التي أدت إلى إسناد مسئولية الإنتخابات إلى وزارة البلديات والزراعة، هو خبرتها الطويلة في مجال الإنتخابات، حيث أن البحرين عرفت الإنتخابات المباشرة منذ فترة العشرينيات من خلال المجالس البلدية.

ولما كان من الضروري تحديد أسماء المناطق الإنتخابية، فقد صدر عن رئيس الوزراء في ٢١ اغسطس عام ١٩٧٢ قرار بشأن « المناطق والدوائر الإنتخابية ». وبعد أن تحدد الهيكل الإداري اللازم للمشروع، بدأ العمل في الجانب التنفيذي من عملية إنتخاب المجلس التأسيسي لإعداد دستور الدولة. وقد تواصلت جهود الشيخ خليفة بن سلمان بلا كلل، سعيا لتحقيق هذا المهمة الكبيرة دون تأخير. وفي ١٥ اكتوبر عام ١٩٧٢، صدر عن وزير البلديات والزراعة

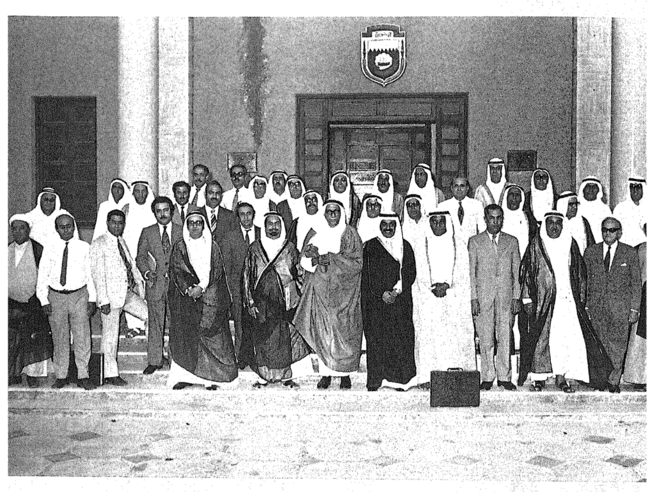
إعلان بشأن توزيع بطاقات الناخبين. وحدد الإعلان أماكن توزيع هذه البطاقات لجميع الدوائر، كما حدد مدة شهر واحد، يبدأ من ١٦ اكتوبر وحتى ١٥ نوفمبر عام ١٩٧٢ لتوزيع هذه البطاقات. ودعا الإعلان مواطني البحرين الذين تنطبق عليهم شروط الإنتخابات، إلى المبادرة بإستلام بطاقاتهم الإنتخابية. ولأول مرة إمتلأت شوراع البحرين بالملصقات التى تحمل صور المرشحين.

وجاءت أولى نتائج عملية انتخاب أعضاء المجلس التأسيسي لإعداد دستور البحرين، بالإعلان عن أسماء الفائزين بالتزكية وكانوا : علي صالح الصالح، علي بن إبراهيم عبدالعال، عبدالله الشيخ محمد المدني، محمد علي آل ضيف، محمد حسن الفاضل.

ومالبث أن جاء اليوم الحاسم في تاريخ المجلس التأسيسي لإعداد دستور البحرين. إذ بدأت عملية إنتخاب باقي أعضاء المجلس في كافة المناطق والدوائر الانتخابية في مختلف أنحاء البلاد. وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم الأول من ديسمبر عام ١٩٧٢، توافد الموطنوان على صناديق الإنتخاب. واستمرت العملية الإنتخابية طوال ساعات اليوم. وفي الساعة الثامنة من مساء اليوم ذاته أُغلقت صناديق الإقتراع، وبات الجميع ينتظرون ما سوف تسفر عنه عمليات فرز الأصوات لإختيار ٢٢ عضواً من بين ٥٨ مرشحاً.



سمو رئيس الوزراء يتابع عملية التصويت لإنتخاب رئيس ونائب الرئيس للمجلس التأسيسي (ديسمبر ١٩٧٣)



سمو رئيس الوزراء في صورة تذكارية مع الوزراء وأعضاء المجلس التأسيسي بعد إنتهاء أعمال المجلس

وكعادته التى مازال سموه يحافظ عليها حتى اليوم، والمتمثلة في القيام بزيارات تفقدية مفاجئة لمختلف مواقع العمل والإنتاج في الدولة، كان الشيخ خليفة حريصاً في هذا اليوم على تفقد مواقع الدوائر الإنتخابية للإطمئنان على سير الأوضاع بها. وعلى الرغم من أن هذه كانت المرة الأولى التى تجرى فيها إنتخابات على هذا المستوى في البحرين، إلا أنه لم تحدث أية مشاكل أو شكاوى تذكر، ماعدا شكوى المسئولين في مراكز الانتخابات من أن الأكل المقدم لهم ردىء.. !! وقد علّق الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة وزير البلديات والزراعة آنذاك على هذه الشكوى بقوله « سوف نقدم وجبات أفضل للمسئولين في الإنتخابات القادمة للمجلس الوطني ».

وقد أسفرت هذه الإنتخابات عن فوز كل من السادة: جاسم محمد مراد، حسن علي المتوج، خليفة أحمد البنعلي، خليفة عبدالله المناعي، رسول عبدالعلي الجشي، عبدالحميد محمد العريض. عبدالعزيز سعد الشملان، عبدالعزيز محمد الراشد، عبدالعزيز منصور العالي، عبدالكريم عبدعلي العليوات، علي عبدالله سيار، عيسى

أحمد قاسم، قاسم أحمد فخرو، محمد حسن كمال الدين، محمد سعيد الماحوزي، محمد عبدالله المطوع، ملا حسن أحمد زين الدين، محمد عبدالله محمد.

وفي التاسع من ديسمبرعام ١٩٧٢، صدر عن سمو أمير البلاد مرسوم بتعيين ثمانية أعضاء في المجلس التأسيسي وهم السادة: إبراهيم حسن كمال، إبراهيم عبدالحسين العريض، أحمد علي كانو، محمد حسن خليل دواني، محمد يوسف جلال، طارق عبدالرحمن المؤيد، صادق محمد البحارنة، راشد عبدالرحمن الزياني.

وفي غضون أسبوع واحد من صدور هذا المرسوم، أي في يوم السبت ١٦ ديسبمر من نفس العام، كانت قاعة المجلس التأسيسي بمبني بلدية المنامة قد تأهبت للحدث الكبير. ففي تمام العاشرة من صباح ذلك اليوم وصل إلى مبنى بلدية المنامةسموالشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء، يرافقه سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولى العهد ووزير الدفاع، والوزراء وأعضاء المجلس التأسيسي ووجهاء وأعيان البلاد. وفي الساعة العاشرة والنصف، وصل سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد إلى مبنى البلدية، وتوجه إلى قاعة المجلس التأسيسي، يرافقه سمو رئيس الوزراء وسمو ولى العهد. وأصدر أمير البلاد الأمر بإفتتاح المجلس التأسيسي لإعداد دستور البحرين. وخلال الكلمة التي أعطت إشارة البدء لأعمال المجلس ، أعرب سمو الأمير عن رغبة البحرين في مواصلة العمل في مجال الإصلاح الإداري، في ذات الوقت الذي يتم فيه العمل لإجراء التطوير الدستوري اللازم، والنظام القضائي، والنظام القانوني في البلاد ». كذلك أعرب سموه في كلمته عن حرص البحرين حكومة وشعباً على تقوية أواصر المودة وعلاقات الأخوة مع الدول العربية الشقيقة وسائر الدول الإسلامية الأخرى.

وفي الوقت الذي أسفر فيه هذا الإحتفال عن دخول البحرين عصراً جديداً من عصور تطورها الدستوري، فإن حضور عدد كبير من الوفود من خارج البحرين للمشاركة في حفل إفتتاح المجلس التأسيسي، أوضح الإهتمام الكبير الذي أبدته الدول الأخرى بالتجربة الدستورية في البحرين. ولم يقتصر الأمر على حضور وفود من دول الخليج العربية - مثل المملكة العربية السعودية التى حضر عنها نائب رئيس أركان الجيش السعودي، والكويت التي مثلها وفد كبير ضم كلاً من رئيس مجلس الأمة ووزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ووزير الصحة ورئيس الأركان العامة للجيش الكويتي ومدير الصندوق الكويتي للتنمية

وعدداً من المسئولين الكويتين، وقطر التى شارك منها اللواء الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني القائد العام للجيش القطري، ودولة الإمارات العربية المتحدة التى أرسلت وفداً رفيع المستوى - بل شارك في الإحتفال أيضاً عدد من المسئولين والسفراء من الأردن ولبنان والعراق ودول أخرى، وذلك في الوقت الذي قامت فيه المحطات التلفزيونية في كل من المملكة العربية السعودية والكويت وإيران بتغطية هذا الحدث الكبير إعلامياً.

وفي تمام الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم ذاته، افتُتحت الجلسة الأولى للمجلس التأسيسي برئاسة سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء. وقد بدأ الشيخ خليفة الجلسة بكلمة بهذه المناسبة قال فيها « احييكم أطيب تحية، وأشارك حضرة صاحب السمو أميرنا المفدى التهنئة الحارة لكم بعضوية المجلس التأسيسي، كما أعبر عن ثقتي في أننا سنكون في أداء الأمانة التي وضعت في أعناقنا عند حسن ظن سموه، وعند ثقة وتطلعات شعب البحرين العزيز » واستمر سموه قائلاً « وإني باسمكم وإسمي لأتقدم لحضرة صاحب السمو بجزيل الشكر على تفضله بإفتتاح هذا المجلس الموقر، وعلى توجيهاته الجليلة التي سيكون لها أطيب الأثر في سير عملنا. هذا وإننا سنعمل إن شاء الله بروح الفئة الواحدة المتعاونة على ما فيه الخير، دون النظر لكون العضو وزيراً أو منتخباً أو معيناً. فالمصلحة العامة رائدنا كافة، والرأي الصائب ضالتنا جميعاً ».

وفور إنتهاء سمو الشيخ خليفة بن سلمان من إلقاء كلمته، إنتقل إلى جدول الأعمال، حيث تلا على الحضور الفقرة التي تنص على إنتخاب رئيس للمجلس. وبناءً على مقترحات الأعضاء تم طرح إسمين لرئاسة المجلس. وبعد إجراء عملية الإقتراع، فاز الأستاذ إبراهيم عبدالحسين العريض بمنصب الرئيس، وذلك بحصوله على ٢٢ صوتاً مقابل ١٨ صوتاً للسيد عبدالعزيز الشملان. عندئذ أعلن رئيس الوزراء فوز الأستاذ إبراهيم عبدالحسين العريض برئاسة المجلس، وهنأه بفوزه ودعاه إلى المنصة. وبعد ذلك إتخذ الشيخ خليفة مكانه بين أعضاء المجلس. ثم وقف الأستاذ إبراهيم العريض رئيس المجلس المنتخب والقى كلمة جاء فيها « إنى أشكركم على هذه الثقة الغالية التى وضعتموها فيّ للإشراف على رئاسة هذا المجلس. وأنا في حياتي كلها كنت دائماً أعتبر نفسي إبنا باراً للبحرين. وأرجو بإتاحتكم لي الفرصة أن تجعلوني باراً أكثر لخدمة بلدي وإخواني في هذا المجلس إن شاء الله ». ثم جرى التصويت على منصب نائب الرئيس ففاز الأستاذ عبدالعزيز الشملان بعد أن حصل على ٢٦ صوتا مقابل ١٥ صوتاً للسيد صادق محمد البحارنة. وفاز الأستاذ قاسم محمد فخرو

بمنصب أمين سر المجلس بعد أن حصل على ٢٧ صوتاً مقابل ١٤ صوتاً لمنافسه عبدالله المدني. وفي ذات الجلسة تحدد نظام عقد المجلس لجلساته، حيث تم الإتفاق على أن يعقد المجلس جلستين اسبوعياً، الأولى يوم السبت والثانية يوم الثلاثاء. وبعد اكتمال هذه الإجراءات، أصبح المجلس على أهبة الإستعداد لأن يبدأ نشاطه الفعلي. وفي ١٩ ديسمبر بدأ المجلس أولى جلساته لتحقيق حلم إعداد دستور دائم للبحرين.

وبعد أن أصدر المجلس التأسيسي قرار اللائحة الداخلية للمجلس، بدأ جلساته التى جاء بعضها ساخناً ومشوباً بالتوتر. وقد شهدت إحدى هذه الجلسات توتراً شديداً بسبب ماكتبه الأستاذ علي سيار رئيس تحرير « صدى الأسبوع » وعضو المجلس بتاريخ ١٣ مارس عام ١٩٧٣، حيث قال إن « السيد إبراهيم العريض وجه إساءة أكثر من بالغة يوم السبت الماضي إلى أعضاء المجلس التأسيسي، عندما تمطى وراء كرسي الرئاسة، وهدد الأعضاء وتوعدهم بالويل والثبور وعظائم الأمور، وبأنه سيتخذ في حقهم أقصى العقوبات إن هم أساءوا الأدب. والغريب في الأمر حقاً أن أحداً من السادة أعضاء المجلس لم يحرك ساكناً ولم يرد على حضرة السيد رئيس المجلس. لم يقل له أحد مثلاً بأن كرسي الرئاسة لا يجيز له أن يخاطب أعضاء المجلس التأسيسي الذين جاء بهم الشعب بهذه اللغة الخالية من التهذيب والخالية من اللياقة ». وجاء في المقال أيضاً « لم يقل له أحد مثلاً بأنه ليس في مقدوره أن يتصرف مع أعضاء المجلس التأسيسي كما يتصرف أستاذ في المدرسة مع الطلاب. فأعضاء المجلس كرامتهم فوق كل كرامة، واحترامهم واجب تفرضه المهمة التى أوكلها اليهم الشعب. ثم من قال بأنه يستطيع أن يتخذ في حقهم أقصى العقوبات !! ؟. وماهي هذه العقوبات التي يهدد بها السيد رئيس المجلس السادة أعضاء المجلس ؟ »

وبسبب هذا المقال، توتر جو الجلسة التالية لنشره. فبعد إفتتاح الجلسة، فاجأ الرئيس أعضاء المجلس بالقول « إنني أمثل الديمقراطية التي أتاحها صاحب السمو بإختياري عضواً وباختياركم لي رئيساً. أودّ أن أُبيّن لكم مدلول التجربة التي مرت، وهى أن كل عضو يتمتع بحصانة في هذا المجلس وفي خارج هذا المجلس. وهذه الحصانة تفترض إلتزام العضو بجميع إلتزامات الديمقراطية والتمتع بجميع حقوقها. والتجربة هي أن حدثاً وقع في هذا المجلس وفرض المجلس بأغلبيته على أحد الأعضاء أن يعتذر. لكنه نقل حصانته إلى خارج المجلس، واتخذ صحيفته ليتناول الحادثة كما تعلمون على غير حقيقتها. وأنا لا أعتقد أن أى عضو، وأنا بينكم، يحق له نقل ما حدث هنا إلى خارج المجلس. لأني ملزم بأغلبية،

والأغلبية هي التي تقرر كل ما يتعلق بالجلسة ومصالحها. لهذا فأنا أرى أنني لا أستطيع أن أقوم بالواجبات التي يفرضها عليّ قيامي بهذا العمل. لهذا أطلب من الأخ عبدالعزيز الشملان .. أن يتولى الرئاسة... ».

وقد كانت هذه الجلسة عاصفة بكل معنى الكلمة، حيث دارت أحاديث ومناقشات، وشهدت ضجة وإحتداداً من البعض. ولوضع حد لهذه الجلسة الساخنة تقدم العضو علي الصالح (وزير التجارة حاليا) قائلاً « لا داعى لتطويل الموضوع. والمشكلة بسيطة جداً ويمكن حلها بروح التسامح والمحبة ».

وعليه، رد الاستاذ علي سيار « حرصاً مني على أن لا تهتز التجربة الديمقراطية، وعلى أن تسير هذه التجربة في طريقها الذي رسمه لها صاحب السمو أمير البلاد، وعلى هدي ورغبة الشعب، فإني أقدم إعتذاري عما بدر مني في حق الرئيس وشخصه. وأن يعتبر كلامي كأن لم يكن ».

وقد واصل المجلس جلساته على إمتداد ستة أشهر كاملة، بذل خلالها الأعضاء جهوداً خارقة للعادة بدعم وتشجيع مستمرين من جانب سمو الشيخ خليفة بن سلمان، سعياً لتحقيق ما كانت تصبو اليه النفوس على إمتداد عقود طويلة. وكان يوم التاسع من يونيو عام ١٩٧٣ هو اليوم الذي تكللت فيه جهود المجلس بالنجاح، وشهدت قاعة بلدية المنامة هذا اليوم حفلاً تاريخياً، حيث ألقى الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء كلمة قال فيها « إنه لمن دواعي الفخر والإعتزاز أن نكون قد أنجزنا ما شرفنا بالتكليف به بنجاح، لإرساء قواعد الدولة الحديثة على أسس ديمقراطية حقة. وما تحقق ذلك إلا بفضل جهود مخلصة وضعت المصلحة العامة ومصلحة الوطن والمواطنين فوق كل إعتبار. وإن الثقة التي أولانا واياكم هذا الشعب المخلص، كانت في مكانها وكنتم أهلاً لها. وما ساد جو هذا القاعة من تبادل حر للآراء لدليل على ذلك، وعلى أن روح الديمقراطية الحقة لم تكن بجديدة علينا نحن أبناء هذا البلد. فقد مارسها مجلسكم الموقر بكل خبرة ودراية، فكانت ثمرتها طيبة من شجرة طيبة جذورها عميقة راسخة وساقها صلبة ممتدة ». إستطرد قائلاً « إن جهدكم الكبير وإيمانكم المخلص وتعاونكم المتين هو الذي أنجز لهذا البلد مشروعاً لدستور جعل من الشعب مصدراً لجميع السلطات، وحفظ الحقوق وصان الحريات وبيّن الواجبات. فهو مفخرة لنا جميعاً، وجدير بأن ينال الرضا كله والثقة كاملها والتقدير جله. فأهنئكم وأهنيء نفسي على هذا الإنجاز العظيم. وأرجو لتجربتنا أن تكون رائدة، ولمجلسكم الموقر أن يكون قدوة تحذوها مجالسنا الوطنية القادمة بذات الروح المعطاء، وذات الإنكار للذات، في سبيل الصالح العام ».



حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى
يتسلم الدستور من صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة
رئيس الوزراء والأستاذ إبراهيم العريض رئيس المجلس التأسيسي

وعلى إثر انتهاء رئيس الوزراء من إلقاء كلمته، رفع المجلس جلسته الختامية في تمام الساعة السادسة وعشر دقائق مساءً، معلنا بذلك بداية صفحة جديدة ناصعة مشرقة من تاريخ البحرين.

❖❖❖❖

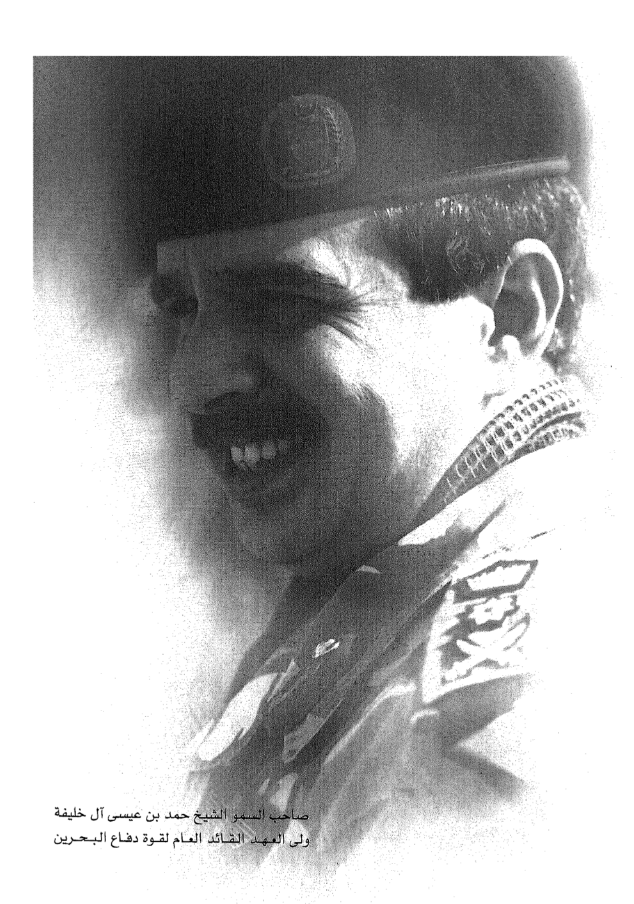
إعتزاز كبير

واستكمالاً لمقومات الدولة الحديثة، توجه اهتمام القيادة السياسية نحو تطوير وتحديث جيش البلاد « قوة دفاع البحرين ».

وإثر مشاورات مطولة على إمتداد عدة جلسات بين سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء، صدر في ٨ ديسمبر عام ١٩٧٣ عن سمو الأمير المرسوم بقانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٧٣، بإنشاء مجلس الدفاع الأعلى برئاسة سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، ويضم في عضويته القائد لعام لقوة دفاع البحرين ووزراء الدفاع والخارجية والمالية والإقتصاد الوطني ومدير المخابرات. كما نص المرسوم على إمكانية السماح بدعوة أى مسئول، يكون حضوره ضرورياً، لعرض أو مناقشة مقترحات ذات صلة، وعلى أن تكون مقترحات مجلس الدفاع الأعلى واجبة العرض على مجلس الوزراء لإقرارها.

وقد أوكل إلى مجلس الدفاع الأعلى مسئوليات الشئون العليا للدفاع والمحافظة على سلامة الوطن، والقيام على وجه الخصوص بوضع السياسة الدفاعية للدولة، فضلاً عن إصدار التوجيهات لممثلي دولة البحرين في اللجنة العسكرية الدائمة المنبثقة عن معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية.

ويعتز سمو الشيخ خليفة بالجهود الطيبة المخلصة التي أولتها القيادة العسكرية لقوة دفاع البحرين، وعلى رأسها سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين، لتنمية وتطوير قوة الدفاع، سواء في الرجال أو العتاد، وكذلك رفع كفاءة منتسبي القوة وقدرتهم على إستيعاب التكنولوجيا العسكرية الحديثة، حتى أصبحت قوة دفاع البحرين مفخرة كل بحريني، كونها الدرع الواقي والحصن الأمين لحماية بلدنا العزيز والذود عن ترابه المقدس. ويشيد سمو الشيخ خليفة بما يوالى سمو الشيخ حمد بن عيسى بذله في هذا المجال، وبما وصلت اليه القوة بفضل جهوده



صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة
ولى العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين



سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء رئيس مجلس الدفاع الاعلى
يتفقد فرقة من حرس الشرف التابع لقوة دفاع البحرين (نوفمبر ١٩٦٩)

ورعايته لها من مستوى متميز على صعيد التدريب ورفع الكفاءات والقدرات العسكرية، بما يحقق لها القدرة الكاملة على حماية الوطن. ويؤكد على أن حماسة « ولدنا العزيز حمد » للإنخراط في سلك العسكرية، حتى يصبح الجندي الأول في الدفاع عن بلاده وتطوير جيشها وتنمية قدراته على أحدث ما يعرف العصر من تقنيات، قد ظهرت جليه بإنتظامه في الدارسات العسكرية بالمعهد العسكري البريطاني الذي تخرج فيه عام ١٩٦٨ . ويضيف أن تلك الحماسة والإخلاص الكبيرين من جانب الشيخ حمد بن عيسى « لهي مبعث كبير إعتزازي بهذا الدور الهام الذي يقوم به ولدنا حمد ».

❖❖❖❖




دعوة إلى مشاركة المسئولية



الفصل العاشر

دعوة إلى مشاركة المسئولية

في معرض تقييمه لتجربة إنشاء مجلس الشورى، كوسيلة للتواصل والحوار بين الشعب وقيادته لما فيه خير ورفاهية وإستقرار هذا الوطن، يرى الشيخ خليفة بن سلمان في هذا المجلس إستكمالاً صحيحاً ومعافى للتجربة الأولى التى شهدتها البحرين عام ١٩٧٣، والتى تمثلت في إنشاء « المجلس الوطني ». ويقول الشيخ خليفة إن تشكيل مجلس الشورى جاء تعبيراً صادقاً عن كافة قطاعات المجتمع. وأن ما يتمتع به أعضاؤه من كفاءات، يؤهلهم لأن يعكسوا صورة مشرفة للوطن والمواطن.

وتماماً كما تحمس للتجربة الأولى وشملها بإهتمامه ورعايته، حرص سمو الشيخ خليفة على بذل كل جهد ممكن من أجل توفير كل فرص النجاح للمجلس الجديد. ويؤكد الشيخ خليفة أن إستئناف المسيرة، وقد برأت مما أصابها في منتصف السبعينيات - وهى في بداية الطريق - من مكائد المغرضين وأصحاب الأفكار الهدامة والمباديء الغريبة عن قيمنا ومجتمعنا، إنما يدفعنا جميعا إلى الحرص على مواصلة العمل بديمقراطية الشورى، وتوسيع صلاحيات المجلس وتعميقها. وسوف تعمل الحكومة جاهدة في سبيل توفير كافة الوسائل والإمكانات التي من شأنها تهيئة السبل أمام المجلس للاضطلاع بواجباته، وإنجاز الأهداف والغايات التي نسعى إليها جميعا لصالح الوطن والمواطنين.

ويرى سمو الشيخ خليفة أن الشورى شكل إسلامي الجذور من أشكال ديمقراطية الحوار بين الدولة والمجتمع، ينسجم ومبادئنا وعاداتنا العربية والإسلامية الأصلية، كما يتفق وذلك التشاور والتواصل وتبادل الرأي ووجهات النظر، بين القادة والمسئولين في الوطن وبين رجالاته وأهليه وأصحاب الرأي والخبرة فيه، في ظل من تقاليدنا التى والحمد لله لم تتغير يوماً في تاريخ البحرين.

القرار الصعب

على الرغم من الظروف الصعبة التى واجهتها البحرين في مرحلة ما بعد الإستقلال وإعلان قيام الدولة، واصلت قيادة البلاد الحفاظ على مبدأ مشاركة الشعب في تحمل المسئولية جنباً إلى جنب مع قيادته. وكان الهدف من وراء ذلك هو أن تتاح الفرصة لكل وطني غيور أن يبادر بتقديم يد العون والمساعدة، للإسهام في رفعة شأن وطنه وتطويره، وإزالة العقبات التى تعترض طريق تقدمه.

وفي مقال نشرته صحيفة (الجارديان) البريطانية في ديسمبر عام ١٩٧٢، يصف الكاتب الصحفي « رتشارد هولدسورث » الديمقراطية في البحرين من خلال إستقبال أمير البلاد للمواطنين بقوله « ومع ذلك، فلا زال الأمير (يقصد بعد الاستقلال) يعقد مجلسه اليومي، حيث بإمكان أى بحريني أن يقابله ليعرض شكواه على مسامعه. وقد علّق أحد أعضاء الحكومة على هذا الأمر بقوله إن البعض من هؤلاء يعرض على الأمير مشاكل باستطاعة الجهاز الإداري القائم حالياً أن يحلها. ويعتقد كثير من الناس بأن هذا الحق هو بمثابة قلعة الديمقراطية، وربما كانوا على حق في ذلك ».

وإدراكاً من القيادة السياسية في البلاد بأن إنشاء مجلس وطني، هو من المطالب الشعبية الملحة التي وعدت بتنفيذها، أصدر سمو الأمير في ١١ يوليو عام ١٩٧٣ مرسوماً بشأن « أحكام الإنتخاب للمجلس الوطني ». وجاء في المادة الأولى من هذا المرسوم « يتألف المجلس الوطني من ثلاثين عضواً، ينتخبهم الشعب بطريق الإنتخاب العام السري المباشر، ويكون الوزراء أعضاء في المجلس الوطني بحكم مناصبهم ».

وقد حدد المرسوم الشروط الواجب توافرها في الناخبين، والإجراءات الواجب إتباعها لإتمام العملية الإنتخابية، وكيفية تقديم الطعون. ثم أصدر رئيس الوزراء في ١٦ أغسطس من نفس العام قراراً بشأن « المناطق والدوائر الإنتخابية ». وفي نفس اليوم أصدر وزير البلديات والزراعة قراراً بشأن تحديد موعد الطعن القضائي في جداول الانتخاب. وبذلك أصبحت البلاد مهيأة لأن تخطو الخطوة الحاسمة على طريق إنشاء مجلسها الوطني.

ويقول سمو الشيخ خليفة إن إهتمامه في ذلك الوقت بالإعداد لإنتخابات المجلس الوطني، لم يكن ليشغله عن مواصلة حركة البناء والتطوير في البلاد،

وخاصة في المجال الإقتصادي. (فقد حرصت الحكومة آنذاك على إرساء قاعدة مصرفية متطورة وحديثة. كما شهدت هذه الفترة إصدار سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة في ٥ ديسمبر عام ١٩٧٣، مرسوماً بإلغاء مرسوم نقد البحرين وتعديلاته، والإستعاضة عنه بالقانون الخاص بإنشاء مؤسسة نقد البحرين التي عُين سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء رئيسا لها. وقد إستهدفت هذه الخطوة تحويل البحرين إلى مركز مالي ومصرفي رئيسي في منطقة الشرق الاوسط. وقد بدأت مؤسسة نقد البحرين بالفعل في تنظيم عمليات إصدار النقد وتداوله، وعمليات الصرف الأجنبي، بالاضافة إلى المحافظة على ثبات قيمة الدينار البحريني، والعمل على تأمين الإستقرار النقدي. وكان على المؤسسة أيضاً تنظيم العلاقة بينها وبين الحكومة والقطاع المصرفي).

❖❖❖❖

وشهد صباح يوم السابع من ديسمبر عام ١٩٧٣ بدء العملية الإنتخابية، حيث تنافس ١١٤ مرشحاً يمثلون كافة فئات وإتجاهات الشعب البحريني، على الفوز بمقاعد المجلس التى بلغ عددها ثلاثين مقعداً. كما بلغ عدد الذين سجلوا أسماءهم في جداول الناخبين ٢٧ ألف ناخب، مقارنة بنحو ٢٢ ألفاً في إنتخابات المجلس التأسيسي.

وبقدر إدراك الحكومة لأهمية وجود مجلس وطني لإستكمال المسيرة الديمقراطية في البلاد، كان هناك إقبال من الشعب على العملية الانتخابية. وحسب ما كان مقرراً من قبل، أُغلق باب التصويت في الساعة الثامنة من مساء اليوم ذاته، دون أن يعترض سير العملية الإنتخابية أي حدث يعكر صفوها.

وإثر الإنتهاء من عمليات فرز الأصوات، حمل الأثير عبر إذاعة البحرين في اليوم التالي أسماء الذين أولاهم الشعب ثقته وإختارهم لحمل المسئولية، وهم السادة: رسول عبدالعلي الجشي، خالد إبراهيم الذوادي، الدكتور عبدالهادي خلف، حسن جواد الجشي، محمد سلمان أحمد حماد، محمد عبدالله ملاهرمس، محسن حميد المرهون، علي صالح الصالح، حمد عبدالله ابل، علي إبراهيم عبدالعال، جاسم محمد مراد، عبدالله علي المعاودة، علي قاسم ربيعة، محمد جابر الصباح، عيسى حسن الذوادي، إبراهيم محمد حسن فخرو، خليفة أحمد البنعلي، عبدالله منصور عيسى، علوي السيد مكي الشرخات، مصطفى السيد محمد القصاب، عبدالله الشيخ محمد المدني، الشيخ عيسى أحمد قاسم، الشيخ عبدالأمير منصور الجمري،

الشيخ عباس محمد علي، يوسف سلمان كمال، عبدالعزيز منصور العالي، حسن علي المتوج، سلمان الشيخ محمد، الشيخ إبراهيم بن سلمان آل خليفة، خليفة أحمد الظهراني.

وبعد أن إكتملت صورة المجلس الوطني وتمت تسمية أعضائه عبر إنتخابات عامة، أصدر أمير البلاد في العاشر من ديسمبر من نفس العام المرسوم الخاص بدعوة المجلس الوطني للإنعقاد. وحدد المرسوم تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد السادس عشر من ديسمبر عام ١٩٧٣، موعداً لدور الإنعقاد العادي الأول من الفصل التشريعي الأول.

وبناءً على ما تنص عليه المادة رقم ٣٣ من دستور البحرين، تقدم رئيس الوزراء بإستقالة الحكومة في يوم ١١ ديسمبر إلى سمو الأمير. وصدر في اليوم ذاته الأمر الأميري بقبول الإستقالة. وإستكمالاً للإجراءات الدستورية، أصدر أمير البلاد في اليوم التالي أمراً أميرياً، كلف بمقتضاه سمو الشيخ خليفة بن سلمان برئاسة الوزارة الجديدة. وقبل مرور ٧٢ ساعة على إعادة تكليفه، رفع رئيس الوزراء إلى سمو الأمير رسالة تشكيل الوزراة الجديدة، التي لم يحدث بها سوى تغيير واحد، هو إسناد حقيبة وزارة الإعلام إلى الأستاذ طارق عبدالرحمن المؤيد.

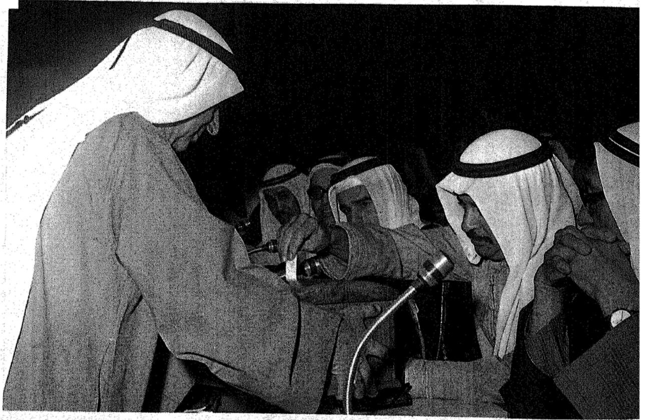
وفي مناسبة وطنية غالية، هي العيد الوطني المجيد، وفي تمام الساعة العاشرة إلاربعاً من صباح يوم الأحد ١٦ ديسمبر عام ١٩٧٣، وقف لفيف من كبار رجالات البحرين، وعلى رأسهم سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء وبجانبه سمو الشيخ حمد بن عيسى ولى العهد(وزير الدفاع آنذاك)، والوزراء وأعضاء المجلس الوطني المنتخبون وعدد كبير من الوجهاء والأعيان، في إستقبال سمو أمير البلاد لدى وصوله إلى مبنى بلدية المنامة، حيث قام بالقاء الخطاب الأميري في مناسبة إفتتاح المجلس الوطني.

بعد ذلك ألقى رئيس الوزراء كلمة شكر، بدأت على إثرها المرحلة الإجرائية، حيث أدى رئيس الوزراء وأعضاء الحكومة والمجلس الوطني اليمين الدستورية، وذلك تمهيداً لبدء إجتماعات المجلس. وفي الجلسة الإفتتاحية تم ترشيح الأستاذ حسن جواد الجشي لمنصب رئيس المجلس حيث فاز بالتزكية، وألقى بهذه المناسبة كلمة جاء فيها « صدقوني إذا قلت لكم أنني كنت أوثر أن أظل صوتاً يرتفع من بين صفوفكم مناقشاً ومحاوراً بحرية ودون قيد. ولكنكم أبيتم إلا أن تغمروني بفضلكم فتختاروني رئيساً لهذا المجلس الذي تشهده

البحرين العريقة لأول مرة . فما كان مني إلا أن أقبل هذا التكريم، لانكم شئتم ذلك ومشيئتكم من مشيئة الشعب الذي أوصلكم إلى هذا المجلس. وما إعتدت طوال حياتي إلا أن أكون حيث يريدني الشعب أن أكون، فأنا منه وإليه ».

وكان التنافس بعد ذلك قوياً على منصب نائب الرئيس. فقد رُشح إثنان لهذا المنصب هما السيد جاسم مراد والسيد خليفة البنعلي. وفي الجولة الأولى تعادلت الاصوات المؤيدة لهما، حيث حصل كل منهما على ٢٢ صوتا. وعندما أعيد التصويت بناء على توجيهات الخبير الدستوري، حصل جاسم مراد على ٢١ صوتاً، بينما حصل خليفة البنعلي على ٢٣ صوتاً. بعدها تم التصويت على منصب أمين سر المجلس، حيث فاز به السيد عبدالله المدني، لحصوله على ٢٦ صوتاً، مقابل ١٨ صوتاً للدكتور عبدالهادي خلف.

وفي يوم الأحد ٢٣ ديسمبر عام ١٩٧٣، عقد المجلس الوطني أولى جلساته العملية. وكان من المفروض أن تعقد الجلسة في تمام الساعة التاسعة صباحاً. غير أن إنعقاد هذه الجلسة تأخر حوالى ٤٥ دقيقة، بسبب تصرفات بعيدة كل البعد عن روح العمل البرلماني الصحيح، ظن بعض الأعضاء أنها



سمو رئيس الوزراء يشارك في التصويت لإنتخاب رئيس المجلس الوطني (ديسمبر ١٩٧٣)

ضرورة من ضروريات المنصب، رغم أنها لم تكن تنطوي إلا على جدل عقيم وتعطيل لجهود الدولة في عدد من مجالات العمل الوطني.

وفي نفس الجلسة الإفتتاحية، تم تحديد يوم الأحد لعقد الجلسة الأسبوعية للمجلس. ولم تمر سوى بضعة أسابيع، حتى ظهر واضحاً أن وقائع هذه الجلسات تمر بفترات من الأخذ والرد، والشد والجذب، والمناقشات البعيدة عن الموضوعية. وإستمر الأمر على هذه الحال، حتى حان موعد نهاية إنعقاد الفصل التشريعي الأول للمجلس الوطني في ٣٠ يونية عام ١٩٧٤ .

وإستكمالاً للمسيرة الديمقراطية، بدأ المجلس الوطني دور الانعقاد العادي الثاني في الفصل التشريعي الأول، وذلك في صباح يوم الأربعاء ٢٢ اكتوبر عام ١٩٧٤ . وقام أمير البلاد بإفتتاح أولى جلسات هذا الدور أيضاً.



سمو الأمير المفدى يستقبل أعضاء الحكومة الجديدة برئاسة سمو رئيس الوزراء (ديسمبر ١٩٧٣)

إستمرت إجتماعات المجلس تشهد قدراً من السخونة التى تصاعدت حدتها تدريجياً حتى صدر المرسوم الأميري في ٢٣ يونيو عام ١٩٧٥، بفض دور الإنعقاد الثاني للفصل التشريعي الأول للمجلس الوطني.

وقد مارس الشيخ خليفة بن سلمان، وبصفته رئيساً للحكومة، أكبر قدر ممكن من الصبر والتعامل بحكمة إزاء المزايدات التي شهدتها أروقة المجلس وجلساته العاصفة، والآراء الغريبة عن قيم المجتمع البحريني، والتى وصل بعضها إلى حد المطالبة بتأميم الشركات والمؤسسات الخاصة !! وكانت غاية أمله من ذلك أن يحفظ هذه التجربة الديمقراطية التى كان يعتبرها بمثابة إبن سياسي له.

إلا أنه إزاء الخلافات التي نشبت وتفاقمت بين الحكومة وبعض أعضاء المجلس، والتى هددت إستقرار الوضع السياسي وسير شئون الدولة، وبعد أن وصلت محاولات تسوية هذه الخلافات إلى طريق مسدود، لم يجد رئيس الوزراء ُبداً من أن يتقدم باستقالة الوزارة إلى سمو أمير البلاد في ٢٤ أغسطس عام ١٩٧٥، واضعاً في إعتباره وهو يقدم هذه الإستقالة أن يحفظ للديمقراطية هيبتها، ومؤكداً انه سيظل جندياً مخلصاً ومدافعاً عن مبادىء الحق والعدل، وأميناً على المصلحة الوطنية العليا للبلاد. وقد إنعكس ذلك واضحاً جلياً في خطاب الإستقالة الذي تقدم به إلى أمير البلاد، حيث جاء فيه « إن الوزارة قد أخذت على عاتقها إستكمال التشريعات الضرورية اللازمة لمرحلة الإستقلال، وأن تفيد جهد الطاقة من خبرات منطقتنا، لتواكب النمو السريع الذي يجتاح الخليج كله، وأن تعمق الشعور بالوحدة الوطنية فيصير أبناء الوطن بناءً واحداً يشد بعضه بعضاً. ولكن الوزارة لم تجد من المجلس الوطني عوناً لها في ذلك، رغم محاولاتنا المخلصة التي بذلناها خلال عامين، إذ سادت مناقشاته أفكار غريبة عن مجتمعنا وقيمنا، وطرحت السمو اللازم للدولة، وإتجهت إلى الإثارة والإهاجة والتحريض والمزايدة، وعملت على بث الفرقة وروح الكراهية، غير مقدرة للضرر الذي يعود على الوحدة الوطنية من جراء ذلك ».

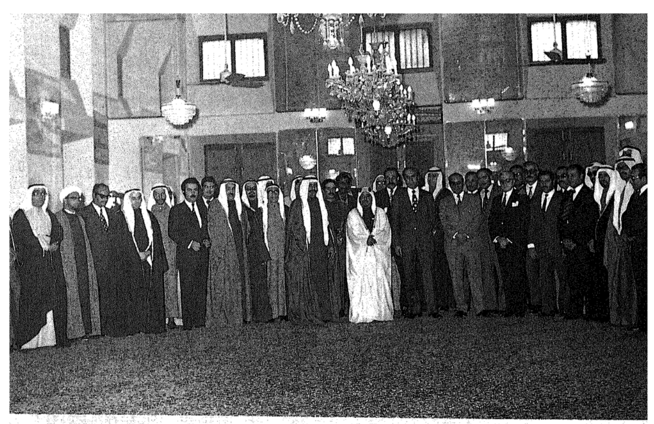
وتضمن خطاب الإستقالة أيضاً « وقد لوى كل هذا الحياة النيابة عن مقصدها السليم، وحجب جو المزايدة الآراء المعتدلة عن دورها الفّعال. ومن ثم، لم تستطع الحكومة إنجاز ما كانت تأمل في إنجازه من تشريعات، والمشروعات التى تعود بالنفع المباشر على المواطنين. وقد إنتهز من لا يعتنق مبادئنا ولا يؤمن بمُثُلنا كل هذا الذي حدث، فراح يعمل في الخفاء على تحقيق مآرب معتقداته ».



سمو رئيس الوزراء في إحدى جلسات المجلس الوطني

وإختتم الشيخ خليفة الخطاب قائلاً « جُلت النظر في الوضع القائم، فلم أجد بداً من أن أرفع إلى سموكم إستقالة الوزارة، لتتفضلوا بتدبير الأمر بنافذ نظرتكم وجليل غيرتكم على مصالح البلاد، شاكراً لكم ما تفضلتم به عليّ وعلى زملائي من كريم التأييد ومازلت المخلص الوفي الأمين... ».

ورغبة مني في الحصول على مزيد من المعلومات عن هذه الفترة الحرجة من تاريخ الحياة السياسية في البحرين، طلبت من الأستاذ محمد إبراهيم المطوع وزير شئون مجلس الوزراء والإعلام أن ألتقي به في بيته بالرفاع، معتقداً أن ذلك سيبتعد بنا عن جو العمل الرسمي. وكانت المفاجأة عندما إكتشفت أن مكتب الوزير في البيت لا يختلف كثيراً عن مكتبه في الوزارة. فالملفات والأوراق هنا ربما كانت أكثر من مثيلاتها هناك، ورنين الهاتف لايكاد ينقطع. وسألت الأستاذ محمد المطوع عن وقع هذه التجربة على نفس الشيخ خليفة. فأجابني بقوله « إن من أكثر الأحداث الداخلية التى تأثر بها الشيخ خليفة، هو الوضع الذي وصلت إليه العلاقات بين الحكومة والمجلس الوطني. فقد كان الرجل يعتبر هذا المجلس بمثابة إبنه السياسي. وقد بذل الكثير من الجهد حتى رأى هذا المجلس النور. لذلك كانت الصدمة على الشيخ خليفة كبيرة، وهو يشهد حل المجلس الوطني الذي كانت طموحاته وآماله فيه كبيرة.



سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء في صورة تذكارية مع أعضاء المجلس الوطني (ديسمبر ١٩٧٣)

وكم كان يتمنى أن يرى إبنه السياسي هذا مساعداً له ومشاركاً في المسئولية، للعمل من أجل خدمة الوطن في بداية سنوات الإستقلال ».

وإستمر الأستاذ محمد المطوع قائلاً « ولكن للأسف الشديد، دأب بعض الأعضاء على زرع العراقيل والمشاكل داخل المجلس، في الوقت الذي كانت فيه البلاد حكومة وشعباً في أمس الحاجة للتماسك والتكاتف. فلم يكن قد مضى على إستقلال البلاد سوى فترة قصيرة، وكان من الأولى تكثيف الجهود لتحديث النظام الإداري، ولتنشيط الإقتصاد الذي كان في حالة ركود ».

ورغم مرور أكثر من عشرين سنة على أحداث هذه الفترة، كان حديث الأستاذ محمد المطوع عنها مشوباً بلمسة حزن جعلتني أشعر وكأنما هذه الأحداث قد وقعت بالأمس القريب. وقد بلغت هذه اللمسة الحزينة ذروتها وهو يقول « لقد وصلت العلاقات في الأيام الأخيرة بين الحكومة والمجلس الوطني إلى حد أن يقف بعض أعضاء المجلس، وبشكل شبه دائم، ضد أي إقتراحات تقدمها الحكومة. وذلك من منطلق إعتقادهم بأن الديمقراطية هي أساساً الإختلاف مع الحكومة. بل حدث بالفعل أن طرح أحد المسئولين في الدولة على المجلس توصية بشأن موضوع

ما، على نحو مغاير لما تراه الحكومة. وجرياً على ما كان متبعاً من قِبل بعض الأعضاء بالإعتراض على أي إقتراح تقدمه أو تؤيده الحكومة، نجح هذا المسئول في الحصول على ما رغب أصلاً فيه، دون كثير من المناقشة أو الجدل ».

ومما زاد من حزن الشيخ خليفة وخيبة أمله إزاء هذه الأحداث، هو أن البحرين كانت تمر في هذه الفترة بظروف بالغة الصعوبة. فقد كان الطامعون في النيل من إستقلال البلاد وسيادتها مازالوا يتربصون بها، ويتحيّنون الفرصة للتدخل في شئونها. فراحوا يزكّون نار الفتنة، أملاً في أن تتيح لهم هذه الأحداث فرصة تحيقق ما سبق أن فشلوا في تحقيقه.

وعلى هذا الأساس، وإدراكاً من سمو أمير البلاد لضرورة تجاوز تلك الأزمة في أسرع وقت ممكن، فقد أصدر أمرين متلازمين في نفس اليوم الذي تقدم فيه رئيس الوزراء بإستقالته. الأول منهما يقضي بقبول الإستقالة. أما الثاني فيقضي بتكليف الشيخ خليفة بن سلمان بتشكيل وزارة جديدة للبلاد. وقد فوّت سمو الأمير بذلك الفرصة على من كانت تسول لهم أنفسهم السعي لإحداث موجة قلق أو إضطراب سياسي في البلاد. كما أن الموقف الصلب الذي إتخذه ورئيس الوزراء في تلك الفترة الحرجة، أدى إلى زيادة التماسك بين قيادة البحرين وشعبها.

وقد إنعكس ذلك بصورة واضحة، على الأحداث التى أعقبت هذه التطورات. فبعد أن إستجاب رئيس الوزراء للأمر الأميري وقِبل التكليف بتشكيل الحكومة الجديدة، أرسل في ٢٥ أغسطس من نفس العام رسالة لأمير البلاد بمقترحات تشكيل هذه الحكومة، التى تضمنت إنشاء أربع وزارات جديدة هي المواصلات، والإسكان، والتجارة والزراعة والإقتصاد، والأشغال العامة والكهرباء والماء. وتم تحويل وزارة البلديات والزراعة إلى الهيئة البلدية المركزية. كما تم تغيير إسم وزارة التنمية والخدمات الهندسية إلى التنمية والصناعة. وعُين الشيخ خالد بن عبدالله بن خالد آل خليفة وزيراً للإسكان، والأستاذ ماجد جواد الجشي وزيراً للأشغال العامة والكهرباء والماء. وتم تغيير ثلاث حقائب وزارية، حيث عُين الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة وزيراً للعدل والشئون الإسلامية بدلا من الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة الذي إستلم وزارة العمل والشئون الإجتماعية محل الأستاذ إبراهيم محمد حسن حميدان الذي عُين وزيراً للمواصلات.

ولم تلبث أن جاءت اللحظة الحاسمة التى تعين فيها على سمو أمير البلاد أن يضع مصلحة وطنه وشعبه فوق مصلحة الأفراد أياً كانت مواقعهم. فعندما إستشعر أن الأوضاع قد إكتمل ترتيبها لما فيه صالح الوطن، أصدر في ٢٦ أغسطس عام ١٩٧٥ المرسوم الأميري رقم ١٣ لعام ١٩٧٥، والذي تضمن الأمر بحل المجلس الوطني.

وكان حرياً بالجميع، وهم يرون هذا الموقف الحازم من جانب الأمير ورئيس الوزراء، أن يشعروا بالإرتياح إزاء إقدام قيادة البلاد على وضع حد للفتنة التي كادت أن تعصف بالبحرين، بإتخاذها القرار بحل المجلس الوطني، لأنه كان بالفعل القرار الصعب على نفس الجميع، قيادةً وحكومةً وشعباً.

❖❖❖❖

ومن الغريب أن الكثير من المواطنين، بل ومن أعضاء المجلس أنفسهم، كانوا يرون، وقبل مدة طويلة، أن الأمور داخل المجلس الوطنى لا تسير على نحو مرض ففي ٩ ديسمبر عام ١٩٧٤ (أى قبل حل المجلس الوطني بحوالي ٨ شهور) نشرت مجلة «المواقف » البحرينية مقابلة أجرتها جريدة القبس الكويتية مع عضو المجلس الوطني السيد علي صالح الصالح (وزير التجارة حالياً). وقد جاء في المقابلة تقييم للسلبيات التي مر بها المجلس الوطني، قال فيه السيد علي الصالح « لا توجد تجربة – أى تجربة – بدون سلبيات. وسلبيات تجربتنا كانت متوقعة مع حداثة التجربة ونقص الخبرة والممارسة وتفتح المجتمع ككل على الحرية والديمقراطية النيابية، خاصة وأن ممارسة الحرية (تفتح الشهية) لمزيد من الديمقراطية. وقبل أن أحدد – على سبيل المثال – بعض السلبيات التى أحسسنا بها ولمسناها خلال الدورة الماضية للمجلس، أود ان أؤكد اننا سنتغلب تدريجياً على هذه السلبيات بالحوار الديمقراطي الموضوعي البناء. وأبرز هذه السلبيات هي اولاً) بالنسبة للمجلس الوطني، كان هناك بلاشك نهم وتعطش وإفراط في المناقشات، حتى في بعض القضايا غير الأساسية، مما أدى إلى عرقلة الكثير من المشروعات الحيوية ومشروعات القوانين المطروحة. ثانياً) بالنسبة للحكومة ، بإعتبارها السلطة التنفيذية، لم تكن معتادة بعد على توجيه العديد من الإنتقادات لها من النواب، مما سبب بعض الحساسيات في البداية، لكن سرعان ما إنقشعت هذه الحساسيات، وتعوّد المسئولون على تقبل النقد، بل والترحيب به في بعض الأحيان. ثالثاً) بالنسبة للشعب، فقد كان غالبية الأفراد متعجلين للحلول، مطالبين بتحقيق كل ما يصبون إليه، خاصة أن فترة الإنتخابات قد حفلت بإنهيال الوعود من المرشحين، بصورة جعلتهم يصابون بخيبة أمل لعدم تحقيق الكثير من تلك الوعود ».

وفي تحليل سياسي عن قرار حل المجلس الوطني تحت عنوان « لماذا إستقالت الوزارة ؟ » كتبت مجلة « المواقف » البحرينية في ٢٥ أغسطس عام ١٩٧٥ تقول « لقد سادت مناقشات المجلس الوطني أفكار غريبة عن هذا المجتمع، عن قيمه ومبادئه، ولم ترع هذه المناقشات حق الوطن ولا آمال المواطنين وإنما إتجهت، تدفعها إلى ذلك مبادىء دخيلة وفلسفات مستوردة وغريبة على هذا الوطن، إلى الإثارة والإهاجة والتحريض والمزايدة، وعملت على بث الفرقة وروح الكراهية، غير مقدرة ما ينتج عن ذلك من عواقب وخيمة، تحرص الحكومة كل الحرص على أن تُجنب الوطن والمواطنين، بل وتُجنب المنطقة كلها، آثارها ونتائجها الوخيمة » وإستمرت المجلة تقول « لقد أدت تلك الروح وهذه الإتجاهات التي سادت مناقشات المجلس الوطني، إلى الإنحراف بالحياة النيابية عن مقصدها السليم، وأصبح المجلس أداة تعطيل للعمل الوطني والقومي بدلاً من أن يكون محركاً لذلك العمل وحافزاً لإسراع الخطى نحو تحقيق الأهداف الوطنية والقومية. وفي ظل هذا الجو من المزايدات التي شهدتها مناقشات المجلس الوطني، والتي حجبت الآراء المعتدلة عن أداء دورها الفعّال، وجدت الحكومة نفسها عاجزة عن إنجاز ما وطّدت نفسها على إنجازه من تشريعات ومشروعات تعود بالنفع المباشر على المواطن وتسهم في حل المشكلات التى بات يعاني منها الشعب البحريني . ومما زاد الأمر خطراً أن البعض ممن يعتنقون المبادىء المخربة المتنافية مع مصالح البلاد العليا، إنتهز الفرصة ليعمل في الخفاء على تحقيق مآربه ومعتقداته، حتى أصبح الأمر لا يحتمل السكوت، وبات الواجب الوطني يحتم حسم الأمور ووضعها في نصابهاالصحيح ... ».

إستئناف المسيرة

عندما أقدم سمو أمير البلاد على إتخاذ قراره بحل المجلس الوطني في ٢٦ اغسطس عام ١٩٧٥، كان البعض يتصور أن يؤدي ذلك إلى أن تتدهور العلاقات بين القيادة السياسية والمواطنين، أو أن يتأثر الإستقرار السياسي في البلاد. ولكن مع إدراك المواطنين للأسباب الحقيقية والدوافع العملية التي حدت بالحكومة إلى إتخاذ مثل هذا القرار، ومع ترسخ القناعة بين المواطنين بأن القيادة السياسية في البلاد، كما هو العهد بها دائماً، تتخذ من القرارات ما فيه صالح الوطن، أصبحت الصورة واضحة للجميع ولا مجال للإلتباس فيها. وقد تأكد ذلك بالفعل عندما أظهرت التطورات التى أعقبت عملية حل المجلس الوطني أن العلاقات بين الحكومة والشعب أقوى من أن يهزها مثل ذلك الحدث. وأدرك الجميع أن هذا التماسك يزداد قوة يوماً بعد يوم.

وقد كان من بين أبرز العوامل التى أسهمت في بلورة هذه الصورة، إصرار قادة البلاد على إتباع خطى أجدادهم التى ساروا عليها لأكثر من قرنين من الزمان، والقائمة على سياسة الباب المفتوح أمام جميع أبناء الوطن. وفي هذا السياق نجد أن مجلس سمو الأمير ومجلس سمو رئيس الوزراء لعبا الدور الأساسي في إستمرار العمل بتلك السياسة، والسير على النهج الحميد للآباء والأجداد. فقد كانا - كما هما الآن - يحرصان كل الحرص على إستقبال المواطنين أسبوعياً، وعلى مدار العام، وعلى إتاحة الفرصة أمامهم لعرض مشاكلهم وآرائهم في كل ما يعن لهم من قضايا.

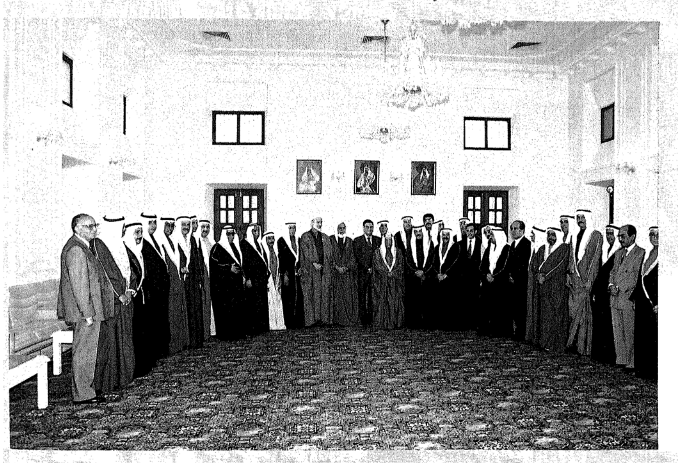
ورغم إحساس المواطنين بعدم وجود حواجز بينهم وبين قيادتهم السياسية، إلا أن الحكومة إرتأت أن توسيع قاعدة المشاركة الشعبية في عمليات إبداء الرأي وأخذ المشورة في كل مايهم هذا البلد من قضايا وأمور، يعد إضافة



سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء وسمو ولى العهد في إفتتاح دور الإنعقاد الأول لمجلس الشورى (يناير ١٩٩٣)

جديدة للديمقراطية، ويزيد من فرص التوصل إلى أفضل أداء ديمقراطي. وعلى هذا الأساس صدر الأمر الاميري رقم ٩ لسنة ١٩٩٢ بإنشاء مجلس الشورى. وكان ذلك تتويجاً لإهتمامات القيادة السياسية في مجال حرصها على دعم ديمقراطية الحوار بين الدولة والمجتمع.

ثم جاء الأمر الأميري رقم ١٢ لسنة ١٩٩٢ بتعيين أعضاء مجلس الشورى، حتى يستكمل هذا الصرح جوانب تشكيله. وإشتمل هذا الأمر على أسماء أول ثلاثين عضواً حظوا بشرف عضوية هذا المجلس الموقر، حيث نص الأمر الأميري على تعيين كل من السادة – إبراهيم محمد حسن حميدان، الشيخ إبراهيم الشيخ محمد الشيخ عبداللطيف المحمود، أحمد سلمان كمال، أحمد منصور العالي، تقي محمد البحارنة، جاسم محمد إبراهيم الصفار، جاسم محمد بن يوسف فخرو، جلال محمد يوسف جلال، جمال محمد فخرو، حميد الحاج محمد العريض، خليفة أحمد البنعلي، خليفة أحمد خليفة الظهراني، راشد عبدالرحمن الزياني، الدكتور شوقي محمد صالح الدلال، الشيخ



سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء في صورة تذكارية مع أعضاء مجلس الشورى (يناير ١٩٩٣)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان
آل خليفة رئيس الوزراء والأستاذ
محمد إبراهيم المطوع وزير
شئون مجلس الوزراء والإعلام

عبدالحسين خلف العصفور، عبدالنبي عبدالله الشعلة، عبدالله بن أحمد بن هندي، علوي السيد مكي الشرخات، علي صالح عبدالله الصالح، علي بن جبر المسلم، الدكتور علي محمد أحمد مطر، عبدالغفار عبدالحسين عبدالله، فاروق يوسف خليل المؤيد، فوزي أحمد على كانو، الدكتور فيصل سعيد الزيرة، محمد حسن السيد علي كمال الدين، محمد حسن خليل دواني، محمد عبدالله محمد المطوع، محمد عبدالله المناعي، محمد بن عبدالله ملاهرمس.

وعلى ضوء ذلك، صدر المرسوم الأميري رقم ١٣ بتعين السيد إبراهيم محمد حسن حميدان رئيساً للمجلس.

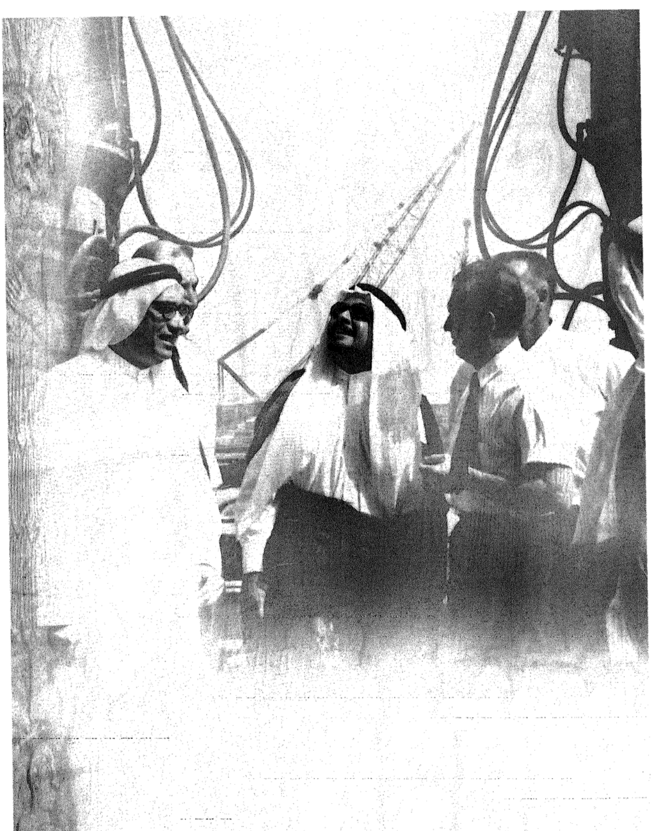
وعلى ذلك يعلّق الأستاذ محمد إبراهيم المطوع بقوله « من أهم مايميز مجلس الشورى هو تمتعه بعضوية إناس لهم القدر الكبير من الخبرة والدراية في الأمور المختلفة. ويعمل هؤلاء الأعضاء في المجلس في جو بعيد عن جو المزايدات الذى كان يعمل فيه أعضاء المجلس الوطني السابق. فقد كان بعض أعضاء ذلك المجلس يهتمون بإثبات وجودهم بأى طريقة، دون أن يضعوا في إعتبارهم مصلحة البلد والمجلس » ويضيف الأستاذ محمد المطوع « إن الثقة التى إكتسبها سريعاً مجلس الشورى على مختلف الأصعدة شجعت على أن تكون جلساته علنية مفتوحه للصحافة، وذلك في ظل النضوج الوطني والسياسي الذي أظهره جميع الأعضاء، متمثلاً في الإبتعاد عن أجواء المزايدة والخطب الرنانة، حيث يعملون بطريقة موضوعية وواقعية هي لغة الارقام والمعلومات الشاملة، وليس هناك مجال لكي تكون هناك مصالح فردية أو إستعراضات للجمهور ».

وقد حددت المادة الثانية من المرسوم الأميري بإنشاء مجلس الشورى إختصاصات المجلس في مجالات إبداء الرأى والمشورة ومنها - مشروعات القوانين التي يتقدم بها مجلس الوزراء قبل رفعها إلى الأمير للتصديق عليها وإصدارها، والموضوعات السياسية والعامة التى يعرضها عليه مجلس الوزراء، والأمور المتعلقة بالخدمات والمرافق العامة وسبل تطويرها وتحسين أدائها، ووسائل تنمية القطاع الاقتصادي في البلاد وسبل تطويرها وعلاج ما قد يعرقل مسيرته من معوقات، وأية أمور أخرى يرى مجلس الوزراء أخذ رأى المجلس بشأنها. كما أعطت المادة رقم ٦١ من نفس المرسوم الأميري صلاحيات معينة لأعضاء مجلس الشورى، حيث بإمكانهم إبداء رغباتهم للحكومة فيما يختص بالمسائل العامة. (وبمقتضى مشروع تطوير نظام مجلس الشورى الذى تم إقراره قبيل بدء دور الانعقاد الخامس للمجلس فقد زيد عدد أعضاء المجلس

من ثلاثين إلى أربعين عضواً لضمان التمثيل الأشمل للمجتمع في المجلس وعملاً على توافر عدد أكبر من الأعضاء من ذوى الخبرات والكفاءات والإختصاصات التى يمكن ان تفى بخدمة متطلبات التنمية الوطنية. كذلك فقد أعُطى المجلس الإختصاص الذاتى في إبداء الرأى والمشورة في العديد من المجالات الحيوية التى تهم الوطن والمواطن). وإضافة إلى ذلك كله، يؤكد الشيخ سمو خليفة أن العزم الثابت للقيادة السياسية، هو مواصلة تطوير صلاحيات وتوسيع إختصاصات مجلس الشورى مرحلة إثر مرحلة.

❖❖❖❖





تنويع مصادر الدخل



الفصل الحادي عشر

تنويع مصادر الدخل

عندما تولى رئاسة الوزارة في الخامس عشر من أغسطس عام ١٩٧١، وضع سمو الشيخ خليفة بن سلمان نصب عينيه هدفين رئيسيين، كان أولهما إرساء قواعد راسخة للإقتصاد الوطني، لا تهتز بفعل المتغيرات التى يشهدها العالم بين الحين والآخر. أما الهدف الثاني فكان تطوير وتنمية هذا الإقتصاد، بما يعود بالنفع دائماً على المواطن البحريني ويرفع من مستوى معيشتة. وبما حباه الله من حكمة وبعد نظر، أدرك الرجل أن أياً من الهدفين لا يمكن تحقيقه من خلال الإعتماد على مصدر واحد للدخل القومي،حتى لو كان هذا المصدر هو النفط. ولذلك، ورغم الطفرة التى شهدتها أسعار النفط عام ١٩٧٣، كان تنويع مصادر الدخل هو شغله الشاغل. فعمد منذ اللحظة الأولى إلى تطوير كافة المصادر المتاحة، إيماناً منه بأن الإقتصاد القوي عامل هام من عوامل إستقرار الأمم وتقدمها، وبأن القوة الإقتصادية لا تقل أهمية في توفير الأمن للشعوب عن القوة العسكرية.

وقد جاءت مرحلة منتصف الثمانينيات لتؤكد صدق هذه الرؤية الحكيمة الصائبة. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن قناعة الشيخ خليفة المبكرة بضرورة تنويع مصادر الدخل، أنقذت البلاد من هزات خطيرة، كان من الممكن أن تعصف بإقتصادها. وقد حدث ذلك بالفعل عندما تعرضت أسعار النفط وصناعاته للتدنى نتيجة التقلبات التى شهدتها السوق العالمية قبل سنوات. ولم يكن إقتصاد البحرين ليحتمل مثل هذه الإنتكاسة الحادة، لولا هذا العمل المبكر على فتح أبواب أخرى للدخل القومي.

وفى مرحلة ما قبل إكتشاف النفط، كان الإعتماد الرئيسى للبحرين في مجال توفير السيولة النقدية اللازمة للحكومة، على الرسوم الجمركية التي كانت

تمثل المصدر الوحيد لدخل القطاع العام. وكانت الحكومة تعتمد عليها للإنفاق على قطاعات الخدمات مثل الصحة والتعليم وغيرها، كما أنها كانت المصدر الرئيسى للأموال اللازمة لتغطية نفقات الحكومة وسداد رواتب موظفيها. وكانت هذه الرسوم تشهد إنخفاضاً في بعض الفترات، مما كان يعرض الحكومة لمواقف صعبة. إلا أنه لم يحدث على الإطلاق أن إتخذت الحكومة من حرصها على تجاوز هذه المواقف وتوفير المصادر النقدية البديلة مبرراً لفرض رسوم أو ضرائب على دخول الأفراد أياً كانت مصادرها. فقد كان المعروف عن حكومة البحرين دائما أنها تعمل جهد طاقتها لتُجنب المواطنين أية أعباء إضافية.

ولأن أحلك ساعات الليل هى تلك التى تسبق الفجر مباشرة، فقد واجهت القيادة السياسية في البحرين واحداً من أصعب هذه المواقف، إن لم يكن أصعبها على الاطلاق، أثناء الأعوام التى سبقت إكتشاف النفط. وكعادتها، وبحكم الدور الذى رسمته لها يد القدر، إستطاعت هذه القيادة المتمرسة المحنكة أن تتجاوز الأزمة وأن تصل بالسفينة إلى بر الأمان.

وفي عام ١٩٣٢، جاء النفط، ليبدأ معه الإنفراج الإقتصادي في البلاد، ولتنعكس آثار ذلك على الدولة وعلى المواطنين. وبدأ دخل النفط يشكل نسبة معقولة، إن لم يكن بنداً أساسياً، من مصادر الدخل في ميزانية الدولة، حتى وصلت هذه النسبة إلى حوالي ٥٤,٧٪ من موارد هذه الميزانية في منتصف الخمسينيات. وأخذت هذه النسبة تتزايد رويداً رويداً حتى جاء عام ١٩٩٠، عندما بدأت في التراجع التدريجي نتيجة لإنخفاض إنتاج حقول النفط البحرينية.

وفي إطار الجهود التي بذلها سمو الشيخ خليفة لتنويع مصادر الدخل القومى للبلاد، تركزت توجهاته حول ثلاثة محاور رئيسية هي: محور الصناعة، ومحور القطاع المصرفي، ومحور السياحة والخدمات.

محور الصناعة

في ظل إدراك مبكر بأن النفط لا ينبغي الإعتماد عليه كمصدر أساسي للدخل القومي، إنتهج سمو الشيخ خليفة بن سلمان سياسة إقتصادية إتسمت بكثير من الحكمة وبُعد النظر، في العمل على تجنب الإعتماد على العائدات النفطية إعتماداً كلياً ومطلقاً. ووضع سموه نصب عينيه إقامة قاعدة صناعية في البلاد على مستويين: الأول للصناعات الخفيفة والمتوسطة، والثاني للصناعات الثقيلة.

وإلى جانب كونها مصدراً مستقلاً من مصادر الدخل، إستهدفت الصناعات الخفيفة والمتوسطة خدمة الصناعات الثقيلة والتكامل معها. أما الصناعات الثقيلة، فقد إعتمدت على المواد الخام المتوفرة في البحرين على نطاق واسع. وكانت إحدى نتائج هذه السياسة الحكيمة هى ظهور صناعة الألمنيوم وتطورها، حتى أصبحت شركة المنيوم البحرين (ألبا) واحدة من كبريات الشركات العالمية من نوعها، إن لم تكن أكبرها على الإطلاق. كما ظهرت أيضا مجموعة من المشاريع الصناعية الأخرى التى تعتمد على الغاز الطبيعي في توليد الطاقة اللازمة لتشغيلها.

وفي إطار رؤية حكيمة، إستشرف سمو الشيخ خليفة مبكراً مردودها الخيّر على البلاد، عمدت البحرين إلى إرساء دعائم التعاون والتنسيق في المجال الصناعي مع عدد من الدول العربية، شمل كلاً من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة ودولة قطر ودولة الكويت والجماهيرية العربية الليبية. وقد أمكن من خلال هذا التعاون إقامة العديد من المشروعات الصناعية المشتركة، منها على سبيل المثال لا الحصر، إفتتاح مشروع الحوض الجاف في عام ١٩٧٥، والذى يُعد واحداً من المشروعات العملاقة والهامة في البحرين، ومصانع شركة الخليج لدرفلة الألمنيوم، وشركة الخليج لصناعة البتروكيماويات، و منظمة الخليج للإستشارات الصناعية، وغيرها من المشروعات التي تُعد من رموز التطور الصناعي والنهضة التنموية في البحرين، وثمرة من ثمار التعاون الخيّر بين دول المنطقة.

وقد واصل سمو الشيخ خليفة، خلال مرحلة الثمانينيات وأوائل التسعينيات، جهوده لدعم هذا الخط الصناعي التنموي. وكان من نتائج ذلك أن تمكنت البحرين، وفي غضون سنوات محدودة من تاريخ مسيرتها التنموية، من تحقيق خطوات رائدة في هذا المجال على المستوى الخليجي. وتمثل هذا الإنجاز في إرساء ركائز عدد من الصناعات الأساسية كتكرير النفط وصناعة البتروكيماويات، وما تفرع عنها من صناعات لا تقل أهمية. كما واصل الشيخ خليفة، خلال نفس الفترة، دعم الجهود الرامية إلى حماية هذه الصناعات وتأمين مستقبلها وتحقيق الإستفادة القصوى منها، حتى تتمكن من القيام بالدور المطلوب منها في زيادة الدخل القومي من جهة، وتوفير فرص العمل والإرتقاء بمستوى معيشة المواطنين من جهة أخرى.

ويتبين لنا من إستعراض مختلف الصناعات التي أقيمت خلال هذه المرحلة، أن السعي لتنويع مصادر الدخل القومى وإقامة هذا العدد الكبير من الصناعات مسألة عرفتها البلاد في مرحلة مبكرة. فقد إستمرت الحكومة في العمل على تطوير وتحديث هذه الصناعة، إدراكاً منها للأهمية الخاصة التى يمثلها إنتاج

سمو رئيس الوزراء يستمع إلى شرح من الدكتور علي فخرو وزير التربية والتعليم السابق أثناء
زيارة سموه إلى مدرسة الشيخ عبدالله بن عيسى (فبراير ١٩٨٨)

وصناعة النفط، ليس بالنسبة لإقتصاد البحرين فحسب، وإنما بالنسبة للإقتصاد العالمي، ولإقتصاد منطقة الخليج بوجه عام.

وفي إطار سعيه إلى تطوير الصناعات النفطية والنهوض بها، عمد سمو الشيخ خليفة في هذه الفترة إلى العمل على الإرتقاء بكفاءة الكوادر الوطنية العاملة في هذه المجال، وإطلاعها وتدريبها على أحدث التقنيات الخاصة بهذه الصناعة، حتى تتمكن من إدارة وإستغلال هذه الثروة الوطنية على أكمل وجه. وقد جاء ذلك إمتداداً للخط الذى انتهجه سموه منذ عام ١٩٧٥ في المفاوضات مع شركة نفط البحرين المحدودة، والذي إستهدف توزيع الحصص في حقوق التنقيب والإنتاج وعمليات ومرافق الشركة وعوائد إنتاجها، بحيث يكون لحكومة البحرين النصيب الأكبر منها. ولم يأت ذلك إلا من منطلق إيمانه العميق بضرورة أن تكون مقدرات ثروات هذه البلاد بأيدي أبنائها.

وسعياً لتحقيق هذا الهدف، صدر في أوائل شهر نوفمبر عام ١٩٨٠ مرسوم عن سمو الأمير بتأسيس أول مجلس أعلى للنفط برئاسة سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة. وإختص هذا المجلس بوجه عام بوضع السياسات النفطية العامة، بما يضمن المحافظة على الثروة النفطية وتطوير وتحديث إستغلالها، والإشراف على ما يتم إنشاؤه من مؤسسات نفطية، إضافة إلى تنمية الصناعات المرتبطة بالنفط. وقد ضم المجلس في عضويته وزراء الخارجية، والتنمية والصناعة، والمالية والإقتصاد الوطني، والأشغال والكهرباء والماء، والعمل والشئون الاجتماعية.

كذلك شهدت هذه المرحلة بدء تنفيذ مشروع مصاحب في مارس عام ١٩٧٩، وهو شركة غاز البحرين الوطنية (بناغاز). وتمتلك شركة نفط البحرين الوطنية (بنوكو) ٧٥٪ من أسهمها، فيما تمتلك كل من شركة الإستثمارات البترولية العربية وشركة نفط البحرين المحدودة (بابكو) ١٢,٥٪ من الأسهم.

وحرصاً من سمو الشيخ خليفة على أن يكون هناك توازن بين الصناعات الثقيلة والمتوسطة والخفيفة، تضمّنت توجيهاته إنشاء مناطق خاصة بكل من هذه الصناعات. كما حرص سموه على دعم هذه المناطق الصناعية وتوفير التسهيلات اللازمة لها، تعزيزاً وتشجيعاً للصناعات الوطنية، وحماية لها مما يمكن أن يعترضها من عقبات أو عراقيل.

جولات سمو رئيس الوزراء للمرافق الصناعية في البلاد تستمر على مدار العام. سموه في زيارة تفقدية لشركة المنيوم البحرين (مارس ١٩٨٨)

المحور المصرفي

كان لرئاسة الشيخ خليفة بن سلمان لمجلس إدارة مجلس نقد البحرين منذ تأسيسه في عام ١٩٦٤، وإستمرار سموه في رئاسة مجلس الإدارة بعد تحويله إلى مؤسسة نقد البحرين في عام ١٩٧٣، دوراً هاماً في دفع البحرين لتبوّء مكانة عالمية كمركز مالي ومصرفي متطور، يضم اكثر من ٢٠ مصرفاً تجارياً و١٢٥ وحدة مصرفية خارجية ومكتب تمثيل.

ويرى سمو الشيخ خليفة أن إختيار هذا العدد الكبير من البنوك والمصارف العالمية لدولة البحرين لتكون مقراً لها أو لفروع تابعة لها، لم يكن وليد الصدفة. وإنما جاء نتيجة لدراسات دقيقة أكدت المكانة التى تتمتع بها البحرين في ظل ظروف تنافسية شديدة تشهدها هذه المنطقة ومناطق أخرى عديدة من العالم لإستقطاب هذه البنوك والمصارف.

وتعود قصة إستقطاب وإجتذاب البنوك ووحدات الأوفشور إلى البحرين، إلى ما قبل عام ١٩٧٥، حين بدأ الشيخ خليفة تنفيذ خطة متكاملة أولاها جل إهتمامه ورعايته. وقد تضمنت تلك الخطة إقرار حوافز تشجيعية وتنافسية،



المشاريع المشتركة تحظى باهتمام خاص من سمو رئيس الوزراء ،سموه يتفضل بقص الشريط إيذاناً بإفتتاح بنك البحرين والكويت (١٩٧١)

إستكمال التشريعات الإقتصادية والمصرفية، والعمل على أن تأخذ هذه التشريعات صفة الثبات، وأن توفر الحماية والضمان اللذين ينشدهما أى مصرف أو مؤسسة مالية ترغب في إفتتاح فرع لها في البحرين. أضف إلى ذلك مواصلة العمل على إستكمال البنية الأساسية بما يوفر كافة التسهيلات والخدمات التى تحتاجها هذه المصارف. وهكذا أصبحت البحرين نقطة جذب قوية لمختلف هذه البنوك والمؤسسات المصرفية.

وكان إفتتاح مشروع الوحدات المصرفية الخارجية في منتصف السبعينيات بمثابة أول خطوة رئيسية تُقدم عليها البحرين لبناء نظامها المصرفي الحديث. وقد أقيم هذا المشروع بهدف تحويل البحرين إلى سوق دولية في غضون ثلاث سنوات. ولم تكد هذه السنوات تنتهي حتى كانت هذه المؤسسة الوليدة الرائدة تُقدّم تراخيص العمل للكثير من المصارف العالمية المعروفة، لفتح فروع لها في البحرين. وبعد أن كان عدد الوحدات المصرفية في البلاد لا يتعدى ١٨ وحدة عند بداية المشروع، فإنها بلغت أربعاً وستين وحدة مصرفية خارجية، بالإضافة إلى ٤٧ مكتباً تمثيلياً للمصارف العالمية المختلفة، وثمانية بنوك إستثمارية، وذلك في غضون فترة وجيزة.

وكان الشيخ خليفة بن سلمان، بإعتباره رئيس مجلس إدارة مؤسسة نقد البحرين، يشدّد دائماً على ضرورة إجراء الدراسات الدقيقة والوافية، قبل منح تراخيص إنشاء فروع العمل المصرفي في البلاد. وقد أسفر ذلك عن حدوث تطور جديد في الحركة المصرفية، حيث استُحدث في البلاد إنشاء مؤسسات مالية للإستثمار، هدفها تمويل المشروعات الجديدة في البحرين.

ومن الضروري أن نشير في هذه السياق إلى أن حرص البنوك العالمية على العمل في المنطقة، جاء في بداية الأمر نتيجة طبيعية للزيادة الكبيرة التى طرأت على العوائد النفطية لدول الخليج، إثر القفزات الضخمة التى شهدتها أسعار النفط عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣ . وبناءً على ذلك، نشأت الحاجة إلى إعادة توظيف هذه الأموال، وبشكل أفضل، في إطار الإقتصاد العالمي.

وفي الوقت الذى كانت فيه الوحدات المصرفية الخارجية تقوم بتوظيف هذه الأموال في المشاريع المحلية وفي أسواق النقد الدولية، كان تواجد فروع البنوك العالمية الكبرى في البحرين بمثابة تعزيز لنشاط الأسواق المالية الدولية في الخليج. وسعياً إلى تحقيق الفائدة المرجوة من أنشطة هذه المؤسسات المالية،

زيارات متواصلة ومتابعة مستمرة. أعلى: سمو رئيس الوزراء في زيارة لبنك البحرين الوطني - أسفل: سموه في جولة تفقدية في بنك الخليج الدولي



يحرص سمو رئيس الوزراء على الإلتقاء المستمر مع المسئولين في القطاع المصرفي. سموه في حوار مع السيد مراد علي مراد مدير عام بنك البحرين والكويت أحد القياديين المصرفيين البارزين في البحرين

حرصت الدولة دائماً على مساندتها وتشجيعها على العمل والإنتاج، وقدمت لها العديد من التسهيلات والإمتيازات، وأهمها التمتع بنوع خاص من الإعفاء الضريبى، تدفع بمقتضاه عشرة الآف دينار فقط كضريبة سنوية، كما تُعفَى من شرط إيداع أرصدة إحتياطية لدى مؤسسة نقد البحرين ومن توفير السيولة الرسمية كما هو الحال بالنسبة للبنوك التجارية. أما الإلتزام الوحيد الذى كان على هذه المؤسسات الوفاء به، فهو مجرد تقديم إحصاءات شهرية تفصيلية تشتمل على كشوف الميزانية، وحساب مفصل عن الأرباح والخسائر، إلى مؤسسة نقد البحرين.

ونتيجة لجهود الدولة في دعم الحركة المصرفية، كان إزدهار السوق المالية البحرينية أمراً طبيعياً. فمع قدوم هذه المؤسسات المالية، جاءت إلى البحرين معاملات دولية قائمة على أسُس قوية ومرنة ساعدت على إزدهار السوق، مما عاد على البلاد بفوائد لا يتسع المجال لحصرها. إذ فضلاً عما تقدمه هذه المؤسسات من فرص عمل لتوظيف الخبرات والأيدى العاملة البحرينية، فإنها

تسهم أيضاً في إزدهار سوق العقارات وجلب رؤوس الأموال اللازمة للتنمية ودعم الأسس النقدية للدولة وتنمية الصناعة وإجتذاب المزيد من المشروعات والشركات للعمل في البلاد. والأكثر من هذا كله، فإن وجود مثل تلك السوق المالية القائمة على أسس متينة، والبنوك العالمية ذات السمعة العريقة، من شأنه أن يساعد على دعم مقدرة البلاد على التعامل مع مختلف التطورات والتقلبات الإقتصادية، سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي.

وتأكيداً لهذه المكانة الإقتصادية التى تتمتع بها البحرين، فإن « مؤسسة التراث الوطني الأمريكية » وهى من المؤسسات الإقتصادية العالمية المرموقة، وضعت البحرين كثالث أكثر الإقتصاديات إنفتاحاً في العالم، وذلك في المسح الذى أجرته في مستهل عام ١٩٩٥، والذى شمل قطاعات المال والإقتصاد والإستثمارات بانواعها في أكثر من مائة دولة في العالم. ويكتسب هذا المسح أهمية كبيرة كونه صادراً عن مؤسسة إقتصادية متخصصة مرموقة، فضلاً عن إرتكازه على معايير موضوعية مثل القوانين والنظم المتطورة ومدى مواكبتها للمتغيرات التي تحدث في عالم الاقتصاد، وتحرر الإقتصاد من الضرائب وحرية الإستثمار الأجنبي وحقوق الملكية والأطر التنظيمية للإقتصاد، وأيضاً حجم الإقتصاد غير الرسمي.

المحور السياحي

على الرغم من وجود الكثير من المقومات السياحية في البحرين منذ زمن بعيد، إلا أن صناعة السياحة فيها لم تكن معروفة بالمفهوم المتعارف عليه حتى عام ١٩٦٥، عندما توجه إهتمام سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس المالية آنذاك نحو وضع خطط لتنمية وتنشيط السياحة. وفي إطار هذا الإهتمام، تم في ١٢ اغسطس عام ١٩٦٧ إنشاء « شركة فنادق البحرين » التي تركز نشاطها على بناء الفنادق ذات المواصفات العالمية وإدارتها. وفي عام ١٩٦٩، إنضمت البحرين إلى عضوية « الإتحاد العربي للسياحة ». ثم انضمت في ٣٠ يناير من نفس العام إلى رابطة السفر والسياحة العربية والتي تعد اكبر تجمع سياحي عربي.

ويعطي سمو الشيخ خليفة أهمية خاصة للإستثمار القومي في القطاع السياحي، بإعتباره أحد القطاعات التي يمكن الإعتماد عليها لزيادة وتنويع مصادر الدخل القومي. فالبحرين تتمتع بكل مقومات التنمية السياحية، حيث



سمو رئيس الوزراء يرعى حفل إفتتاح أول متحف في البحرين في مبنى دار الحكومة (مارس ١٩٧٠)

سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء وسمو ولى العهد أثناء افتتاح متحف البحرين الوطنى (ديسمبر ١٩٨٨)



سمو رئيس الوزراء في زيارة تفقدية
إلى قلعة عراد (مارس ١٩٨٧)

يوجد فيها الكثير من آثار الحضارات القديمة مثل حضارات ديلمون وتايلوس وأوال. وقد عمل الشيخ خليفة، وبشكل متواصل، على المحافظة على آثار البلاد وتشجيع عمليات التنقيب لكشف آثار جديدة. كما أصدر سموه إعلاناً خاصاً في ٢٣ فبراير عام ١٩٦٩ بشأن الحفاظ على آثار البلاد، وحماية المناطق التى يحتمل أن تضم طبقاتها آثاراً قديمة، بإعتبار أن قيمتها الحضارية لا تقدر بثمن. وإشتمل هذا الإعلان على تقرير مكافأة لاولئك الذين يساعدون في الإبلاغ عن الإكتشافات الأثرية، وذلك بهدف تشجيع المواطنين على الحفاظ على ثروات بلدهم من الآثار.

وقد شهد عام ١٩٧٠ العديد من الأنشطة السياحية. ومنها إعادة نشاط « جمعية البحرين للتاريخ والآثار ». وقد عقد أعضاء الجمعية في شهر فبراير من ذلك العام إجتماعاً في مبنى بلدية المنامة، تم فيه انتخاب الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل خليفة رئيساً للجمعية.

وقد كان للحضارات القديمة للبحرين، على مر العصور، مكانة خاصة ومميزة في قلب الشيخ خليفة بن سلمان. فكثيراً ما كان سموه يشيد بتاريخ البحرين عندما يستقبل المواطنين أو الوفود الرسمية من داخل البلاد أو خارجها. ونذكر هنا أن إهتمام الشيخ خليفة بالحضارة البحرينية القديمة وآثارها، كان واضحاً منذ باكورة حياته العملية. فعندما كان سموه رئيساً لمجلس المعارف، أقام أول معرض لآثار البحرين. وقد أقيم المعرض في مكتبة دائرة المعارف، وافتتحه سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، حاكم البحرين آنذاك، في ٢٧ مارس ١٩٥٧ . وفي إطار هذا الإهتمام أيضاً، إفتتح الشيخ خليفة في مارس عام ١٩٧٠ أول متحف في البحرين والذي أقيم في ديوان رئيس الوزراء (دار الحكومة سابقاً).

كما إكتسب الإهتمام بالأنشطة السياحية وتشجيعها دفعة قوية بإنشاء المجلس الأعلى للسياحة، برئاسة وزير الإعلام، في بداية الثمانينيات. وقد أُسندت إلى هذا المجلس مهمة التخطيط والمتابعة لتطوير المرافق السياحية في شتى المجالات. وأعقب ذلك وفي عام ١٩٨٦، صدور أول قانون لتنظيم السياحة في البحرين. ثم توالت قرارات إستكمال البنية الأساسية لتنظيم صناعة السياحة، مثل قواعد تصنيف الفنادق ومواصفاتها، وقواعد تنظيم شركات السياحة والسفر.

وتتمتع البحرين بثروة نادرة من المعالم التاريخية والثقافية والحضارية. ويمثل متحف البحرين الوطني، الذي تم إنشاؤه على أسس علمية وجمالية، منارة تجتذب زوار البلاد من السياح كما تجتذب المواطنين والمقيمين. ويعتبر المتحف أيضاً أحد أهم المصادر العلمية التي يحرص طلاب البحرين على زيارتها، وذلك نظراً لما تحويه قاعاته من مادة علمية وتاريخية قيمة.

وبناءً على توجيهات الشيخ خليفة بن سلمان، كان الإهتمام بترميم القلاع والمواقع الأثرية والسياحية التي يرتادها السياح، على قمة أولويات وزارة الإعلام. فقد قامت الوزارة بترميم قلعة عراد التاريخية، وقلعة البحرين التى بناها المستعمرون البرتغال إبّان احتلالهم للبلاد، وقلعة الرفاع، وعدد من البيوت الهامة مثل « بيت الجسرة » الذى شهد مولد سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء، وبيت الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين (١٨٦٩ - ١٩٣٢)، و « بيت سيادي » وغيرها. هذا بالاضافة إلى عدد من المساجد مثل مسجد الخميس الذى يرجع تاريخ إنشائه إلى قرابة الألف عام. وفي إطار هذه التوجيهات أيضاً،

جاء إنشاء مركز التراث، ومركز الجسرة للحرفيين الذي إحتضن الكثير من الصنّاع البحرينين المتميزين في الحرف الشعبية، وبيت القرآن الذى يعتبر مركزاً فريداً من نوعه في الوطن العربي، ومحمية العرين، وغيرها الكثير من المعالم المنتشرة في معظم أرجاء البلاد.

وبفضل هذا الإهتمام الكبير، وتلك المتابعة المستمرة من جانب سمو الشيخ خليفة بن سلمان، تحولت البحرين إلى مركز جذب سياحي في المنطقة، وأصبحت تجتذب أكثر من مليونين ونصف المليون زائر في السنة، يأتى معظمهم من الدول الخليجية المجاورة عبر جسر الملك فهد، الذي أسهم إلى حد كبير في تنشيط الحركة السياحية في البلاد. كما أن التسهيلات التى قدمتها الحكومة في هذا القطاع، أنعشت الإستثمار في مجالات إقامة الفنادق والمنتجعات السياحية والمطاعم والمراكز الرياضية وغيرها من المشاريع السياحية في مختلفة أنحاء البلاد. وفي مرحلة لاحقة عمدت البحرين كذلك إلى التركيز على إجتذاب وتطوير سياحة المؤتمرات والمعارض، وحققت نجاحاً طيباً على هذا الصعيد.

وقد أصبح من المألوف للمواطن البحريني أن يرى زواراً من مختلف الجنسيات، يتجولون في الأسواق الشعبية والأماكن السياحية والتاريخية في البلاد.

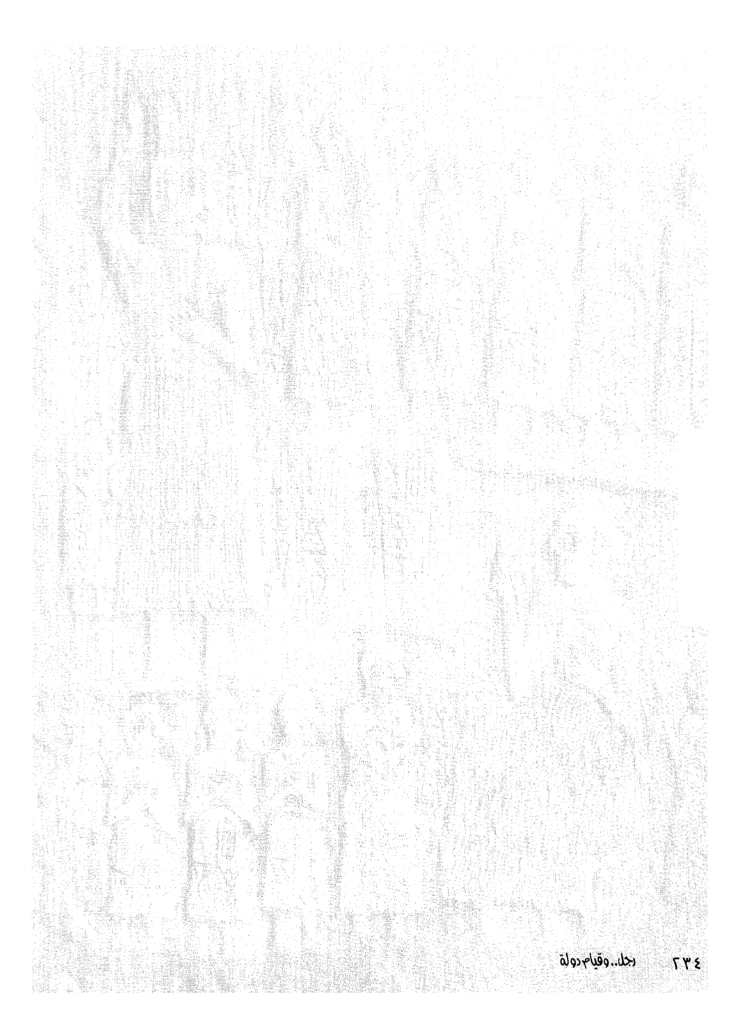
وفي حديثة عن النهضة السياحية التى تشهدها البحرين حاليا، فان سمو الشيخ خليفة بن سلمان لا يفوته أن يشيد بجهود كل الذين أسهموا في صنعها، مؤكداً دوماً بأن هذا النجاح عمل جماعي وليس إنجاز شخص بمفرده.







سمو الشيخ خليفة بن سلمان يضغط على الزر إيذاناً
بوضع آخر عوارض جسر الملك فهد (١٩٨٥)



الفصل الثاني عشر

بلدنا والأشقاء

في السادس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٩٨٥، شهدت البلاد واحداً من أهم أحداث تاريخها المعاصر. ففى هذا اليوم تم إفتتاح جسر الملك فهد الذى يربط البحرين بالمملكة العربية السعودية. وقد أقيم بهذه المناسبة إحتفال كبير، حضره خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية، وصاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى، وصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان ال خليفة رئيس الوزراء وصاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولى العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين، وحشد غفير من المسئولين وكبار الشخصيات والجمهور. وفي غمرة السعادة التى إرتسمت علاماتها على وجوه الجميع، أخذ سمو الشيخ خليفة بن سلمان يجول بناظريه طويلاً في هذا الجسر الذى يجسد بجلاء ما يربط بين الأهل على طرفيه هنا وهناك، من وشائج المحبة وروابط القربى والمودة الخالصة، والعلاقات الأخوية الوطيدة التى تضرب جذروها عميقة في أرض تاريخ هذه المنطقة.

ولم يكن الأستاذ محمد المطوع (مدير عام مكتب سموه في ذلك الوقت) يدرى ما يدور بذهن سمو الشيخ خليفة على وجه التحديد في تلك اللحظة. واذا بسموه يفاجئه بقوله « أتمنى لو أن الوالد (سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة) يعود إلى الحياة ولو ليوم واحد، ليشاهد الحلم الذى كان يراوده دائماً وقد أصبح حقيقة واقعة ».

فقد كانت واحدة من أعظم أمانى سمو الشيخ سلمان بن حمد أن يقام مثل هذا الجسر، تعبيراً عن واقع العلاقات التاريخية الوطيدة التى ربطت بين الشعبين في البلدين الشقيقين، وهى العلاقات التى أرسى دعائمها الآباء والأجداد جيلاً بعد جيل.

وكان سمو الشيخ سلمان يحرص على تعليم أولاده قصة تأسيس المملكة العربية السعودية على يد إبنها البطل الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، بنفس درجة حرصه على تعليمهم تاريخ العتوب الذى يروى قصة أمجاد وإنتصارات وفتوحات آل خليفة. وكان الوالد القائد - رحمه الله - كثيراً ما يروى لأولاده بالتفصيل ما قام به الملك عبدالعزيز عندما بلغ العشرين من عمره، وتجلت مواهبه العديدة، وبرزت فيه ملامح الزعامة وصفات القيادة، ويشرح لهم كيف إتخذ هذا الرجل في تلك السن المكبرة قراره ببدء مسيرة الجهاد من أجل توحيد صفوف الأمة وجمع شملها وكلمتها تحت راية التوحيد، وذلك بفتح الرياض ثم الانطلاق منها لتحقيق آماله وغاياته.

ففى ظل ظروف قاسية ومصاعب جمة، إنطلق عبدالعزيز آل سعود من الكويت إلى الرياض عبر صحراء رملية قاحلة، بزادٍ قليل ورواحل هزيلة، لاسلاح له سوى إيمانه العميق بالله وبعدالة قضيته، وهى إستعادة ملك آبائه وتحرير وطنه. وتكمن بمساعدة ستين رجلاً لاغير، كانوا كل جيشه، من فتح الرياض وتحريرها. وقد شكل هذا الإنجاز حجر الزاوية في مسيرته النضالية على مدى واحد وثلاثين عاما، ذاق خلالها حلاوة النصر تارة ومرارة الهزيمة تارة أخرى، حتى أذعنت له سائر أنحاء البلاد، وأعلن تأسيس المملكة العربية السعودية في عام ١٩٣٢ .

وخلال هذه المرحلة من الكفاح وقبلها وبعدها لم يكن آل سعود بمعزل عن بلدهم الثاني البحرين. فقد عاصر المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ثلاثة شيوخ من حكام البحرين - الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، والشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، والشيخ سلمان بن حمد آل خليفة - حيث أن العلاقات البحرينية السعودية لها طابع أخوى خاص تشير إلى ذلك الرسالة التي كانت ارُسلت من قبل الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عيسى بن علي ، حيث كان جلالة الملك يحرص على ان يطلع الشيخ عيسى على تطورات المعارك التى يقوم بها من أجل تحرير وطنه، كما ان جلالة الملك كان يحرص دائما على ان يسمى الشيخ عيسى بالوالد مما يعكس قوة هذه العلاقات. ويسعدنى في هذا الصدد ان اورد للقارىء نص إحدى هذه الرسائل، ويقول « من عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى جناب الأجل الأمجد الأفخم بهي الشيم حضرة المكرم الوالد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة المحترم سلمه الله تعالى آمين .... بعد مزيد من السلام عليكم ورحمة الله وبركاتة على الدوام مع السؤال عن خاطركم العاطر لازلتم بكمال الصحة واوفر السرور.. وعنا نحمد الله بخير وأحوالنا من كرمه تعالى

جميلة تسركم من كافة الوجوه والخط المكرم وصل وما عرف حضرتكم كان لدى إبنكم معلوم مخصوصاً من قبل أخبارنا بعد ان تولينا على جميع المناطق التى حول حايل طاحوا علينا أهل حايل وطلبوا منا العفو وعفينا عنهم وبايعونا على جميع ما طلبنا وجميع الأسلحة والأطواب والمكاين والة الحرب قبضناها وأهل حايل إعتذروا منا ان الحرب الفايت مجبورين عليه والحمد لله اليوم ترون منا انشاء الله الخدمة التامة وهم فرحين بولاية المسلمين غاية الفرح وحال التاريخ وحنا نازلين بقصر حايل بنزران والحمد لله الذى حقن الله الدماء وأصلح شأن الرعيه فلما رينا ما منّ الله برجينا بشارتكم بذلك هذا مالزم تعريف والسلام على الاولاد المكرم ومنا العيال يسلمون ودمتم محروسين – ٣ ربيع الأول عام ١٣٤٠ هجرية الموافق ٣ نوفمبر ١٩٢١) ». والجدير بالذكر ان الملك عبدالعزيز قد زار البحرين لأول مرة برفقة والده الإمام عبدالرحمن بن فيصل وبعض أفراد أسرة آل سعود، حين تركوا الرياض عام ١٨٩٠ وإتجهوا صوب البحرين، حيث إستقبلهم سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين (١٨٦٩ – ١٩٣٢) وأسبع عليهم كرماً بالغاً وحفاوة كبيرة.

وفي عام ١٩٣٠ سافر جلالة الملك عبدالعزيز للإجتماع مع الملك فيصل الأول ملك العراق آنذاك، بهدف دعم العلاقات الودية بين الجانبين. وبعد إنتهاء هذه الزيارة التاريخية، توجه الملك عبدالعزيز إلى البحرين، حيث نزل ضيفاً على سمو الشيخ عيسى بن علي. وخلال الحوار الذى دار بينهما، قال سمو الشيخ عيسى للملك عبدالعزيز « إنني كنت خائفا أن أموت دون ان أراك ثانية. لكني سأموت وأنا مطمئن ومرتاح البال بعد أن رأيتك وأنت في هذا الشرف والعز » فأجابه الملك عبدالعزيز آل سعود قائلاً « لقد توفي والدى وليس لى من استشيره من بعده غيرك ».

وكان من أهم ما دار في اللقاء بين جلالة الملك عبدالعزيز وسمو الشيخ عيسى، إعراب الملك عن رغبته في إقامة مملكة موحدة على أرض الجزيرة العربية، يعيش فيها الجميع بأمان ورفاهية. بعدها نزل جلالة الملك ضيفاً على سمو الشيخ حمد بن عيسى، ولى العهد آنذاك، في قصر الرفاع. ولدى مغادرة جلالة الملك عبدالعزيز البحرين، وعلى شاطىء الزلاق حيث كان سمو الشيخ حمد في مقدمة مودعى جلالته، وجه الدعوة للشيخ حمد لزيارة الأراضى المقدسة وتأدية فريضة الحج. وقال له وهو يودعه « لن أرضى حتى أراك في مكة ». وقد لبى الشيخ حمد دعوة الملك عبدالعزيز، فحج إلى بيت الله الحرام سنة ١٣٥٧ هجرية (١٩٣٨م). وقد كانت الزيارة التى قام بها الملك عبدالعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاجل الامجد الافخم بهي الشيم حضرة المكرم الولد الشيخ عيسى بن علي الخليفة المحترم سلمه الله تعالى آمين
بعد اهدا مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن خاطركم العاطر لا زلتم بكمال الصحة واوفر السرور
وعنا نحمد الله بخير واحوالنا من كرمه تعالى جميلة تسركم من كافة الوجوه والخط المكرم وصل وما عرفه حضرتكم كان لدى
ابنكم معلوم مخصوصاً من قبل اخبارنا بعد ان تولينا على جميع المناطق الذي حول حايل طاحوا علينا اهل حايل
وطلبوا منا العفو وعفينا عنهم وصفحنا وعلينا وبايعونا على جميع ما طلبنا وجميع الاسلحة والاطواب والمكاين
الة الحرب قبضناها وجميع عائلة الرشيد قبضنا عليهم محمد بن طلال وعيال السعود والموجود منهم واهل حايل
اعتذروا منا ان الحرب الغايبة مجبورين عليه والحمد لله اليوم تروه منا انشا الله الخدمة التامة وهم فرحين
بولاية المسلمين غاية الفرح وحال التاريخ وحنا نازلين بقصر حايل ببرزان والحمد لله الذي حقن الله الدما
واصلح شان الرعية فلما رأينا ما من الله به احببنا بشارتكم بذلك هذا ما لزم تعريفه والسلام على الاولاد الكرام
ومنا العيال يسلمون ودمتم محروسين

١٣٤٠ ربيع اول

بسم الله

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاجل الامجد الافخم بهي الشيم حضرة الولد المكرم الشيخ عيسى بن خليفة المحترم دام بقاه آمين
بعد اهدا مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم العاطر لا زلتم بكمال الصحة واوفر السرور من طرف اخبار ١٠
عن ما حضرتكم [illegible] ان الدويش [illegible] بعض [illegible] بعد نكوف الاب سعود وقشو الجميع والكل على اطراف الجبل واخذهم [illegible]
وبعد مضينا من الرياض [illegible] الجبل عقب ما صدرنا من [illegible] نظهنا [illegible] الدويش [illegible] انه [illegible] الطلال
وجميع اهل الجبل الذي عندهم [illegible] وظهر [illegible] التصيب [illegible] واللقطه [illegible] الدويش [illegible] الاطواب
والمكاين فلما اخبرنا الطارش بذلك خلينا [illegible] علام جيف [illegible] يبيعونا [illegible] وبعد ما صدرنا [illegible] الطارش
[illegible] الدويش [illegible] ابن طلال الظهر علينا و[illegible] واجدنا السبر وبعد ساعة [illegible] البشر على [illegible] المسلمين [illegible]
على [illegible] مايتين رجال [illegible] على [illegible] البلدان [illegible] على [illegible] هاك اليوم بيوم
الخميس [illegible] واقتضى نظر المسلمين على [illegible] عليه وركبنا الاطواب و[illegible] الاخوان اذا [illegible] الاطواب [illegible] بلى
ويوم [illegible] النجم [illegible] الاطواب والمسلمين [illegible] عليهم [illegible] عليهم [illegible] وغدو [illegible]
المسلمين [illegible] الدويش [illegible] دخل القصر [illegible] فيها [illegible] عليهم الاطواب و[illegible] ذبحهم
المسلمين [illegible] عندهم [illegible] للمسلمين الاطواب ثلاثة والمكاين ثلاث [illegible] واسلحة عظيمة [illegible] اما قتلاهم
الذي تحقق عندنا [illegible] من [illegible] الاخوان الاول مايتين رجال [illegible] ثلاثماية رجال [illegible] الذي [illegible]
الجبل [illegible] الارض البعيدة [illegible] عنهم واما [illegible] الذي [illegible] المسلمين عشرين رجال [illegible] وبعد ذلك جانا
[illegible] طلال [illegible] الصلح [illegible] المقصد طلال فلا [illegible] الصلح وان كان [illegible] اهل حايل وانهم [illegible]
وان حايل [illegible] المسلمين [illegible] ما نظهرهم [illegible] فالحمد وان [illegible] المسلمين [illegible] علام الليل [illegible]
[illegible] طرف حايل [illegible] فالحمد [illegible] والان المسلمين [illegible] عليهم فلما رأينا ما من الله به على المسلمين احببنا [illegible]
بذلك [illegible] الاسلام [illegible] هذا [illegible] والسلام [illegible] عندنا [illegible] ودمتم محروسين

١٣٤٠

٩ محرم

إلى البحرين عام ١٩٣٠ بمثابة نقطة تحول في مسار الإقتصاد السعودي. فقد بعث الملك بعد انتهاء الزيارة برسالة إلى (فرانك هولمز) مدير شركة النفط في البحرين، يبدى فيها إهتمامه بالأعمال التى كانت تقوم بها شركة إستخراج النفط في البحرين. وعلى ضوء ذلك تم تحديد لقاء بين جلالة الملك ومدير الشركة للإتفاق على التنقيب عن النفط في المملكة في وقت لاحق.

❖❖❖❖

ولعله من دواعي الأهمية أن أشير هنا إلى قصة « السيف الأجرب » والتى تعد واحدة من القصص التى تؤكد عمق علاقات الأخوة والمودة التى تجمع بين البلدين والشعبين الشقيقين. فالسيف الأجرب سيف ذو قيمة تاريخية رفيعه، حيث أنه يعود للأمير تركي بن عبدالله المتوفي عام ١٨٣٧ وقد حارب به في معركة فتح الرياض وعليه فقد عُد هذا السيف من الرموز المكرمه لدى الأسرة المالكة في المملكة العربية السعودية الشقيقة. وتقديراً وإعتزازا بالعلاقات الأخوية بين البلدين فقد أهدى الأمير سعود بن فيصل بن تركي هذا السيف حين زار البحرين إلى الشيخ عيسى بن علي بن خليفة حاكم البحرين (١٨٦٩ - ١٩٣٢) وكما هي عادة حكام البحرين في السلام على عاهل المملكة حين يزور المنطقة الشرقية، فقد توجه الشيخ حمد بن عيسى بن علي إلى المنطقة الشرقية للسلام وتوجيه الدعوة للملك عبدالعزيز لزيارة البحرين. وفي هذه الزيارة حرص سمو الشيخ حمد على إرتداء هذا السيف، وفي مجلس الملك عبدالعزيز آل سعود أقبل أفراد الأسرة الكريمة للسلام على سموه وكان منهم الأمير طلال بن عبدالعزيز الذي كان صبياً صغيراً في ذلك الوقت، وظل الطفل الصغير يداعب الخيوط المذهبة في السيف ويتحدث ببراءة الطفولة مع سموه، وأراد الشيخ حمد بن عيسى أن يهديه شيئاً فأمسك بهذا السيف يريد أن يخلعه على الأمير طلال، فأسرع الملك عبدالعزيز ليبقي على السيف في حوزة الشيخ حمد الذى قال له « هذا منكم وإليكم » فرد عليه الملك عبدالعزيز قائلاً « هذا منا ويبقى عندكم ».(١)

وربما كانت تلك الذكريات عن الروابط التاريخية بين البلدين، أو بعض منها، هى ما كان يجول بذهن الشيخ خليفة بن سلمان في يوم الإحتفال بإفتتاح جسر السعودية - البحرين، الذى اطلق عليه إسم « جسر الملك فهد » بمبادرة كريمة من سمو الشيخ عيسى بن سلمان ال خليفة أمير البلاد المفدى، عرفاناً من سموه وحكومة وشعب البحرين، لما قدمه خادم الحرمين الشريفين من دعم لهذا المشروع الكبير.



سمو رئيس الوزراء يرعى الإحتفال بوضع آخر عوارض جسر الملك فهد (ابريل ١٩٨٥)

وبعد إستعراض تلك الذكريات، تملكت الشيخ خليفة مشاعر الإرتياح والرضا لإكتمال هذا المشروع على نحو مشرف، بعد طول عناء ومتابعة وتحضير وجهود مشتركة بين المسئولين في البلدين الشقيقين. فقد أشرف سموه بنفسه على متابعة مراحل الإنجاز في المشروع مرحلة تلو مرحلة، وعلى العمل على تذليل الصعاب التى نشأت - على الجانب البحريني - من أجل تسهيل إنجاز المشروع في موعده المحدد، وعلى أفضل ما يكون عليه إنجاز معماري حضاري.

ولا شك في أن هذا الجسر، بالنسبة لسمو الشيخ خليفة، هو رمز للتواصل والترابط الذى يراه سموه ضرورياً وحيوياً، بين البحرين وجاراتها الشقيقة من دول الخليج العربية. وليس غريباً أن جاء إنجاز هذا المشروع الضخم في أعقاب الإتفاق على قيام المنظومة الأخوية لمجلس التعاون لدول الخليج العربية.

ومع أن قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية قد جاء تحقيقاً لرغبة قديمة لدى شعوب دول المجلس، إلا أنه ينبغى الإشارة إلى أن الظروف والأوضاع الأمنية التى أوجدها في المنطقة إندلاع الحرب العراقية الإيرانية، قد دفعت إلى التعجيل بإنشاء هذا المجلس.

ورغم أن الحرب العراقية الإيرانية اندلعت في سبتمبر عام ١٩٨٠، إثر إلغاء العراق - من جانب واحد - للمعاهدة التى سبق أن وقعها مع إيران في الجزائر عام ١٩٧٥، إلا أن الخلافات بين هذين البلدين ليست وليدة هذه المرحلة، وإنما تضرب جذورها عميقة في تاريخهما القديم. وتعود هذه الخلافات في الأصل إلى القرن السادس عشر، وربما إلى قبل ذلك، عندما كانت منطقة شط العرب مقسمة إلى عدة إمارات تتمتع بإستقلالها، حتى جاء العثمانيون وإستطاعوا إخضاعها لسيطرتهم.

وقد تميّزت العلاقات العثمانية - الفارسية بإستمرار المنازعات والحروب بينهما. ففي عام ١٥٠٨ شن إسماعيل الصفوي حملة قوية على العثمانيين، تمكن خلالها من إحتلال بغداد. وفي عام ١٥١٤، جاء السلطان العثماني سليم الأول ليقهر الفرس ويتغلب على جيوشهم في معركة « جالد إيران » المعروفة، ويعيد سيادة العثمانيين على العراق. ولكن الفرس عادوا بعد سنوات لإحتلال العراق للمرة الثانية. وإستطاع السلطان العثماني سليمان القانوي إجلاءهم عنها في عام ١٥٤٣ . وبقيت حالة الحرب مستمرة بين الدولتين إلى عام ١٥٥٥ حين تم عقد معاهدة بينهما، قيل إنها ستضع نهاية للحروب والمنازعات. ولكن الفرس عادوا واحتلوا العراق عام ١٦٢٣ . وفي هذه المرة، تمكن السلطان العثماني « مراد الرابع » من إستعادتها وطرد الفرس. وفي عام ١٦٢٩، عقد الجانبان معاهدة ثانية، أطلق عليها إسم « معاهدة زهاب ». ورغم أن بنود المعاهدة تضمنت تسوية المشكلات وتنظيم الحدود، الا أن أياً منهما لم يلتزم بها. (٢)

وتذكر البحوث والدراسات التاريخية المحققة، أنه في عام ١٨٢٢ قامت إيران باستفزازات على حدود الدولة العثمانية التى كانت مشغولة بحرب أخرى على الجبهة الأوربية. ثم شنت القوات الإيرانية هجوماً على الأراضى العثمانية وإحتلت منطقة « فارس وبازيد ». ولم يشأ العثمانيون فتح جبهة جديدة مع إيران، فحاولوا وقف هذه الهجمات وما رافقها من أعمال السلب والنهب. وإستطاعت الدولة العثمانية أن تقنع إيران بأن السلام أمر ضروري في المنطقة لمصلحة الجانبين. وبعد عدة إتصالات، جرت مباحثات بينهما في ولاية « أرضروم » مثّل الجانب الإيراني فيها « عباس ميرزا » ومثل العثمانيين « رؤوف باشا » قائد القوات العثمانية الشرقية. وعقدت أولى جلسات المباحثات في يوم ١٥ شوال عام ١٢٣٨ هجرية (الموافق عام ١٨٢٣ م). وإنتهت المباحثات في يوم ١٩ ذو القعدة من نفس السنة، وأُبرمت بين الدولتين معاهدة « أرضروم الأولى ». (٣)

ولكن إيران لم تلتزم بهذه المعاهدة. واستمرت في التدخل في شؤون العراق الداخلية، ولا سيما في مناطق الأكراد الواقعة إلى الشمال الشرقي من العراق، مستغلة إنشغال الدولة العثمانية بنزاعها مع اليونان، والفتور الذى طرأ على العلاقات بين الدولتين العثمانية والروسية، فرصة لإحتلال أجزاء من أرض العراق.

وبموجب معاهدة « كلستان » بين روسيا وإيران، إقتطعت روسيا أجزاء واسعة من الأراضي الإيرانية. وحتى لا تحاول إيران إستعادة أراضيها وجهتها روسيا نحو الدولة العثمانية لإستعادة ما فقدته من أقاليمها الشمالية، وذلك بمساعدة « أسرة بابا » ضد والى بغداد من أجل الحفاظ على حكم الليمانية. ومما زاد المشاكل تعقيدا تشييد المحمرة عام ١٨٣٠ من قبل أحد أمراء عشيرة المحيسن.

وإعتباراً من عام ١٨٣٠، أصبحت المحمرة منطقة تجارية مهمة، ولفتت أنظار الدولة العثمانية والفرس إليها لتحديد تبعيتها، خاصة أن نموها السريع جعلها تنافس البصرة، مما جذب السفن إليها، ودفع الدولة العثمانية لأن تؤكد سيادتها عليها بموجب معاهدة عام ١٦٣٩ . وفي عام ١٨٣٧ قام « علي رضا باشا » الوالي العثماني بحملة على المحمرة بعد هجومه الأول قبل عشر سنوات وإستطاع دخول المحمرة واعترف الشيخ تامر بتبعيته للسلطان العثماني.

وتذكر أبحاث مؤرخين ذات أسانيد قوية، أنه في عام ١٨٩٣ بدأت المفاوضات لرسم الحدود العثمانية الفارسية في مدينة أرضروم. وقد مثّل الوفد العثماني « أنور افندي ». أما الوفد الإيراني فقد مثله « ميرزا تقي خان ». وقدم كل من الجانبين العديد من المطالب. فكلف السفير البريطاني في الآستانة « السير أوستن هنري لابارد » بتقصي الحقائق في منطقة عربستان، وإعداد تقرير بهذا الشأن. وجاء في هذا التقرير أن المحمرة وشط العرب يتبعان الدولة العثمانية حتى نهر « بهمن شير » الذى يؤدي إلى الخليج العربي، المنفذ المائي لإيران وشط العرب. وقد وضع « السير لابارد » أول مشروع بريطاني لتحديد الحدود الفارسية – العثمانية. وفي هذا المشروع جعل « السير لابارد » شط العرب والمحمرة تابعين للدولة العثمانية وجعل تبعية نهر « بهمن شير » إلى الدولة الفارسية.

كما تشير هذه البحوث التاريخية إلى أن روسيا عارضت هذا المشروع، طمعاً في الحصول على مكاسب في الضفة الشرقية من شط العرب لسد الطريق

أمام المطامع الإيرانية. أما بريطانيا فكانت مقتنعة بحق الدولة العثمانية في شط العرب، ولكنها كانت تريد إرضاء روسيا وكذلك إيران. هذا بالإضافة إلى تحقيق سياستها الرامية إلى إفساح المجال أمام السفن البريطانية في شط العرب. وقد قاومت الدولة لعثمانية ضغوط روسيا وبريطانيا تجاه المطالب الإيرانية، إلا أن بريطانيا مارست ضغوطاً شديدة على الباب العالي.

وبناء على تدخل الدولتين، روسيا وبريطانيا، وافقت الحكومة الإيرانية على المذكرة الإيضاحية العثمانية بأن لا تقيم إيران أية تحصينات عسكرية على الضفة الشرقية من شط العرب، إذا لم تقم الدولة العثمانية تحصينات على الضفة الغربية. وبذلك تنازلت الدولة العثمانية عن مطالبها نتيجة الضغوط الروسية - البريطانية عليها، إذ لم يكن في إمكانها رفض طلب الدولتين الكبريتين، وخاصة بعد تأييد وزير الخارجية البريطاني لإعطاء إيران المحمرة، رغم معارضة السفير البريطاني في الآستانة. وبعد عقد معاهدة « أرضروم الثانية » ظلت الدولة العثمانية تنتهز الفرص لإعادة بسط سيطرتها على المحمرة، مؤكدة دائما أنها عثمانية.

وقد تضمنت هذه المعاهدة عدة نقاط منها تنازل إيران عن إدعائها في مدينة السليمانية والتعهد بعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وعدم القيام بأي عمل من شأنه المساس بسيادة الدولة العثمانية. كما نصت على تنازل الدولة العثمانية عن مدينة المحمرة وجزيرة عبدان. وإتفق الطرفان على أن يسير خط الحدود مع الضفة الشرقية للنهر حتى البحر، وأن يكون لإيران حرية الملاحة من البحر إلى نقطة إلتقاء الحدود البرية.

وعلى الرغم من تنازل الدولة العثمانية عن إقليم عربستان العربي لإيران، والتفريط بالحقوق العراقية العربية، إلا أن إيران بدأت تثير المشاكل أمام تنفيذ المعاهدة، وطالبت بتحقيق مكاسب جديدة توسعية.

وكان من نتائج الحرب العالمية الأولى تقسيم ممتلكات الدول المهزومة، ومن بينها الدولة العثمانية التى كان العراق جزءاً منها. وبالتالي دخل العراق تحت الإنتداب البريطاني إعتبارًا من شهر أبريل عام ١٩٢٠ . وكان الإنتداب البريطاني ستاراً لحصول بريطانيا على تفويض من عصبة الأمم لتثبيت إحتلالها للعراق بطريقة « مشروعة ». وفي الفترة من ١٢ إلى ٢٤ مارس عام ١٩٢١، عقد وزير المستعمرات البريطاني « ونستون تشرشل » مؤتمراً في القاهرة لمناقشة المصالح البريطانية في الشرق الأوسط، ووضع الخطط لحمايتها، وإستمرار النفوذ

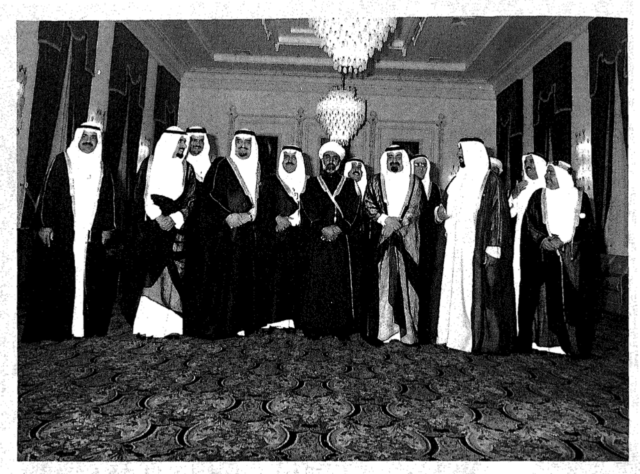
البريطاني في العراق. وقررت بريطانيا وضع خطط خاصة بالعراق للحد من النفقات الباهظة التى تتحملها الخزينة البريطانية من جراء الإنتداب. وقد تضمنت هذه الخطط إحلال نظام ملكي بديل للنظام الذى كان معمولاً به في العراق في ذلك الوقت.

وبناءً على القرارات البريطاينة بشأن تعيين ملك للعراق، وجعل نظام الحكم فيه ملكياً وراثياً، فقد قرر المجلس النيابي العراقي في ١١ يوليو عام ١٩٢١ إختيار الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق.

وبعد الإحتلال الإيراني لعربستان عام ١٩٢٥، بدأت القوات الإيرانية تتمركز على ضفة شط العرب الشرقية. وأخذت التهديدات الإيرانية تزداد بفصل إمارة عربستان عن شط العرب. وكان المندوب السامي البريطاني في العراق قد قدم إلى حكومته مذكرة سرية، أوضح فيها تكرار الإعتداءات الإيرانية على الحدود العراقية في شط العرب، وإستمرار إيران في المخالفات الدولية. ونظراً للمصالح البريطانية الكبيرة في إيران، كانت بريطانيا تغض الطرف عن تلك الأعمال وغيرها.

الرئيس العراقي صدام حسين يستقبل سمو رئيس الوزراء أثناء زيارة سموه إلى بغداد (اكتوبر ١٩٨٩)





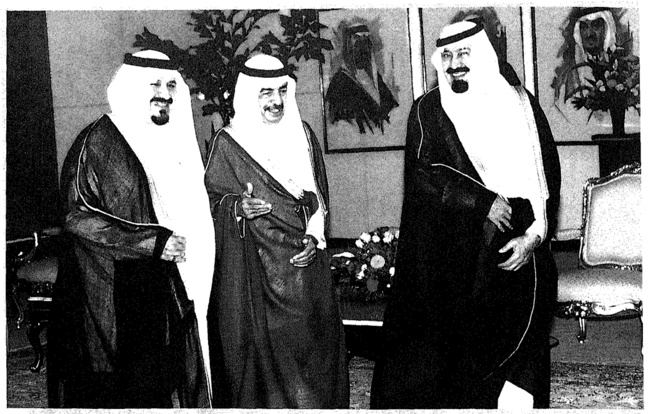
سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء في صورة تذكارية مع قادة دول مجلس التعاون الخليجي (نوفمبر ١٩٨٢)

وبعد زوال الدولة العثمانية، ورث العراق عنها مشاكل الحدود التى كانت قائمة بينها وبين الدولة الفارسية. وإستمرت مشاكل الحدود قائمة بين العراق وإيران حتى عام ١٩٧٥ حين وقع البلدان معاهدة الجزائر. وعندما أعلن العراق في سبتمبر الغاءه لهذه المعاهدة، بات الجميع يتوقع نشوب الحرب بين البلدين، وهو ما حدث بالفعل في غضون أيام قلائل..

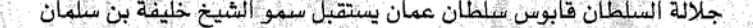
وقد كان للحرب العراقية الإيرانية إنعكسات خطيرة على الوطن العربي عامة، وعلى منطقة الخليج خاصة، مما أحيا فكرة إقامة إتحاد بين دول الخليج. وفي مؤتمر القمة العربية الحادي عشر الذي عقد في العاصمة الأردنية عمان في شهر نوفمبر عام ١٩٨٠، جاءت الترجمة العملية لهذه الفكرة. ففي هذا المؤتمر، قام أمير دولة الكويت سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح بإطلاع الزعماء الخليجيين على التصور الكويتي لإستراتيجية خليجية مشتركة للتعاون في جميع المجالات. وبعد إنتهاء المؤتمر، قام وزير الخارجية الكويتي بجولة زار خلالها دول الخليج العربية، وبحث مع قادتها تفاصيل تلك الإستراتيجية.

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود يستقبل سمو الشيخ خليفة بن سلمان خلال زيارته للمملكة العربية السعودية (١٩٩٦)

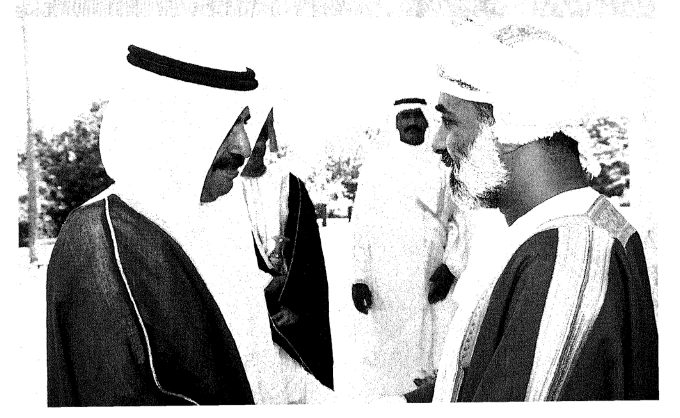
صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد السعودي وسمو الشيخ خليفة بن سلمان (١٩٩٦)



صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ولى العهد السعودي وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود وزير الدفاع والطيران السعودي في حديث ودي مع سمو الشيخ خليفة بن سلمان خلال زيارة سموه للمملكة (١٩٩٦)



جلالة السلطان قابوس سلطان عمان يستقبل سمو الشيخ خليفة بن سلمان



وكان صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة بين أوائل من أيدوا الإقتراح وباركوا الدعوة.

وتتابعت الخطوات التنفيذية نحو إقامة المجلس. وفي ٤ فبراير عام ١٩٨١، عقد وزراء الخارجية في دول الخليج العربية الست إجتماعاً، كان بمثابة الإجتماع التمهيدي العملي الأول بهدف التوصل إلى الشكل الأمثل للهيكل التنظيمي، الذي إنطلاقاً منه يتم بلورة وتطوير التعاون والتنسيق بين دولهم وأسفر ذلك الإجتماع عن صدور بيان أعلن فيه المجتمعون قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وإنشاء أمانة عامة للمجلس وعقد إجتماعات دورية على مستوى وزراء الخارجية. وقد جاءت هذه الخطوة متفقة مع الأهداف القومية للأمة العربية، ومتمشية مع ما نصت عليه المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية، التى حثت على التعاون الإقليمي الرامي إلى تقوية الأمة العربية، وذلك باعطائها الحق للدول الراغبة في تعاون أوثق وروابط أقوى، أن تعقد فيما بينها من الإتفاقيات ما يفى بتحقيق هذه الأمانى.

وجاء مؤتمر القمة لقادة دول الخليج العربية الست، الذى عقد في أبوظبي خلال الفترة من ٢٥ إلى ٢٧ مايو عام ١٩٨١، لكي يشهد الولادة الرسمية لمجلس التعاون لدول الخليج العربية. وكان حضور الأمين العام لجامعة الدول العربية وأمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي بمثابة تأكيد لحقيقة أن ميلاد هذا المجلس يجىء في إطار العمل العربي والإسلامي الجماعي، ويصب في مساره كأحد الروافد القوية والداعمة له.

ويؤكد سمو الشيخ خليفة بن سلمان أن ترحيب البحرين بمبادىء وأهداف مجلس التعاون، إنما جاء نابعاً من إيمان حقيقي وراسخ بأن دول وشعوب هذه المنظومة العربية الإقليمية، يجمعهم مصير واحد، وتربطهم مصالح واحدة، ويجمع بينهم طريق واحد، وأن المصلحة في إتحادهم وتعاضدهم في مواجهة ما يحدق بهم من أخطار وأطماع، أو على الأقل لتحقيق التعامل القوى مع متغيرات العصر ومستجداته التى يصعب على كل من دول المجلس مواجهتها منفردة

ويضيف سموه بأن المملكة العربية السعودية الشقيقة والبحرين كانتا أروع مثال على صدق هذا الإيمان، والإستعداد للتضحية إلى أبعد الحدود، إعلاءً لمبادىء الإخوة والتعاون، وذلك عندما واجهتا إختبار إقدام العراق على غزو دولة الكويت يوم الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠ .

موقف شجاع

كانت الساعة قد شارفت على الخامسة صباحا بتوقيت فرنسا، عندما دق جرس الهاتف في الغرفة التى كان يقيم بها الأستاذ محمد المطوع بفندق « نكرسكو » في « نيس » حيث كان برفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء في زيارة خاصة كان يقوم بها سموه إلى فرنسا.

كان المتحدث على الطرف الآخر هو الأستاذ طارق المؤيد وزير الإعلام السابق، الذى أبلغه بأن العراق قد بدأ فجر ذلك اليوم، بتوقيت البحرين، عملية غزو شامل لدولة الكويت، وأنه يرجو إبلاغ سمو الشيخ خليفة بذلك فورا.

وتردد الأستاذ محمد المطوع قليلا قبل ان يتصل بسمو الشيخ خليفة، لاسيما وأنهما كانا قادمين لتوهما إلى نيس من لندن، وربما كان سموه لايزال مرهقاً. غير أن الأمر لم يكن يحتمل أى تردد. وفوجىء الأستاذ محمد المطوع بأن سموه كان مستيقظاً، وما أن أبلغه بالأمر حتى علم من سموه أن صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد كان قد إتصل به بعد الرابعة بقليل ليبلغه بالموضوع.

وكانت تعليمات سمو رئيس الوزراء لمدير مكتبه إتخاذ الترتيبات للعودة فورا إلى البحرين بالطيران التجاري، حيث أن الطائرة الأميرية لم تكن جاهزة في ذلك الوقت. وكان أسرع طريق للعودة هو عن طريق لندن - وهو ما كان بالفعل.

وقد ظل سموه على متن الطائرة التى أقلته إلى البحرين صامتاً أغلب الوقت، يفكر في أبعاد هذا التطور الخطير. فلم يكن سموه، شأنه شأن جميع القادة العرب، يتوقع مثل هذا التصرف من جانب الرئيس العراقي صدام حسين، وراح سموه يبحث عن معنى وأسباب هذا التصرف الخارج ليس فقط على قيمنا العربية والإسلامية، وإنما على كل قوانين الشرعية والأعراف الدولية. ولم يستغرق سموه طويلا، حتى توصل إلى قناعة بأن المسألة أكبر بكثير من مجرد خلاف حدود بين بلدين، وأنها تنذر بآثار خطيرة على أمن وإستقرار المنطقة، مما يتطلب منتهى الحكمة وأقصى درجات الإحتياط في مواجهة كافة الإحتمالات القائمة.

وبمجرد وصول سموه إلى أرض الوطن، تم إبلاغة بأنه في غضون أقل من ثمان ساعات أحكمت القوات العراقية الغازية سيطرتها على جميع أنحاء دولة الكويت، وذلك بعد أقل من يوم واحد من فشل المباحثات الكويتية العراقية التى جرت في جدة، والتى بذل فيها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود جهوداً كبيرة للحيلولة دون وقوع الكارثة.

❖❖❖❖

وكانت مفاجأة، أن يعود العراق لإدعاءاته بتبعية الكويت له، ويُقدم على غزوها... الأمر الذى يدعونا إلى إعادة تصفح أوراق تاريخ هذه المشكلة وفق الوثائق التى أقرها جمهور المؤرخين وإتفقوا عليها.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حدثت مجموعة من المتغيرات لدى القوى المحيطة بالكويت، مما كان له إنعكاساته على العلاقات العثمانية - الكويتية. ومن هذه المتغيرات فتح السعوديين للإحساء، وقضاؤهم على نفوذ بني خالد، وتنامي النفوذ العثماني في العراق بعد أن نجح في القضاء على « داود باشا » آخر حكام المماليك في بغداد عام ١٨٣١، وتزايد النفوذ البريطاني الذى أخذ يزحف من مسقط إلى الساحل الجنوبي للخليج بعد توقيع معاهدة الصلح العامة في عام ١٨٢٠، وما تبعها من فرض معاهدة الهدنة البحرية على إمارات الخليج، وما أعقب ذلك من ضغوط بريطانية على الكويت بهدف دفع شيوخها إلى الإرتباط بالمعاهدة العامة والإنضمام إلى إتفاقيات الهدنة البحرية، وهو الأمر الذى رفض حكام الكويت آنذاك الإستجابة له، رغم تهديدات بريطانيا بمنع التعامل مع السفن الكويتية في موانىء الهند.

وفي فبراير عام ١٨٩٢ طلب الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت مقابلة المقيم السياسي البريطاني في الخليج، حيث أبلغه بأنه يتطلع إلى مساندة الإنجليز ضد محاولات التدخل في شئون بلاده من قبل السلطات العثمانية. وفي بداية الأمر أظهر الجانب البريطاني تردداً في الموافقة. إلا أنه بدأ في تغيير موقفه على ضوء ما وصل إلى علمه من تجمع القوات العثمانية في البصرة إستعداداً للإنقضاض على الكويت والتخلص من الشيخ مبارك، وأيضاً على ضوء إحتدام المنافسة الأوربية في الخليج، الأمر الذى قد يغرى أية قوة أوربية أخرى على تقديم العون للكويت مما يضيّع الفرصة على الإنجليز. (٤)

وبناء على ذلك، وصل إلى الكويت في ٢٣ يناير عام ١٨٩٩، الكولونيل « ميد » المقيم البريطاني في الخليج. وتم توقيع إتفاقية مع الشيخ مبارك نصت على أن (يعطى العهد ويعتبر نفسه وورثته وأخلافه إلى الأبد، بألا يقبل وكيلاً في أرضة أو قائم مقام من جانب دولة أخرى في الكويت أو في قطعة أخرى تابعة لها بغير موافقة الحكومة البريطانية، ولا يفوض ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا ينقل بوسيلة أخرى إلى دولة أو رعية أحد من الدول بغير موافقة الحكومة البريطانية).

وقد أرادت الحكومة البريطانية قبل الإعلان عن الإتفاقية عام ١٨٩٩، الإطمئنان إلى سلامة موقفها القانوني، مما دفع اللورد « كيرزون » نائب الملك في الهند إلى تكليف المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل « كمبال » بدراسة وضعية الكويت ومدى تبعيتها للدولة العثمانية.

ويعد تقرير الكولونيل « كمبال » مرجعاً للإطلاع على طبيعة العلاقات بين الكويت والدولة لعثمانية، وهو التقرير الذى إعتمدت عليه حكومة لندن في إعلان حمايتها الصريحة على الكويت. فقد أوضح هذا التقرير أن الدولة العثمانية تعتمد في مطالبها بتبعية الكويت، على الإدعاء بأن سكانها الأصليين قد وفدوا اليها من « أم قصر » في جنوب البصرة. غير أن التقارير المتوفرة في أرشيف حكومة بومباي تشير إلى أن سكان الكويت الأصليين قد وفدوا اليها من نجد. كذلك أثبت التقرير البريطاني الرسمي أنه لم يكن ثمة سيطرة عثمانية فعلية على الكويت. (٥)

وإستناداً إلى كل ذلك خرج التقرير البريطاني الشهير بنتيجة تقول أن الكويت لم تكن تابعة في أى وقت للدولة العثمانية. وهو التقرير الذى إعتمد عليه اللورد « لاتزدون » في تصريحه الذى أدلى به في مجلس اللوردات عام ١٩٠٣، بأن شيخ الكويت خاضع للحماية البريطانية، كما أن الحكومة البريطانية ترتبط معه بمعاهدات وإتفاقيات خاصة، مما يعد أول تصريح بريطاني رسمي بشأن الحماية البريطانية على الكويت.

ومن جهة أخرى كانت بريطانيا ترى أن هناك تناقضاً قانونياً واضحاً بين منع القوات العثمانية من النزول في الكويت وبين رفع شيخ الكويت للراية العثمانية. ومن ثم طلبت الحكومة البريطانية من الشيخ مبارك أن يستبدل بالراية العثمانية راية أخرى. واعترض الشيخ مبارك على ذلك، وكانت وجهة النظر التى

أعلنها أنه يرفع الراية العثمانية بإعتباره مسلماً وليس بإعتباره من رعايا الدولة العثمانية. وقد إستمرت هذه المشكلة، ذات الطابع التناقضي بين قواعد القانون الدولي وبين المعتقدات الدينية، دون حل لفترة غير قصيرة، حتى تمت تسويتها في إتفاقية يوليو عام ١٩١٣ بأن يرفع الشيخ مبارك الراية العثمانية على أن تضاف إليها كلمة « كويت » لتكتب على ركن من أركانها إذا ما رغب في ذلك.

وهكذا كانت مشكلة خط الحدود بين الكويت والعراق واحدة من المشاكل التقليدية التى خلقها الإستعمار وأورثها دول المنطقة. حتى تظل سبباً كامناً للنزاع وعدم الإستقرار. ونظراً لأن الأوضاع التى كانت سائدة في منطقة الخليج حتى مابعد منتصف القرن الثامن عشر، لم تكن قائمة على أساس سيادة الدولة، فإن قيام الحدود السياسية بشكلها الذي نعرفة اليوم لم يكن أمراً مألوفاً. ولكن عندما بدأت التكوينات السياسية في منطقة الخليج تحرص على تأكيد هويتها، بدأت مشاكل الحدود تفرض نفسها بمساعدة الدول الإستعمارية التى كانت تتصارع على المصالح والنفوذ في الخليج. وكانت المشكلة بين العراق والكويت من أبرز تلك المشاكل التى بدأت تتبلور خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر. ولكن جاء الإتفاق الذى ابُرم بين الإنجليز والعثمانيين، الذين كانوا يتنازعون السيطرة الإستعمارية على منطقة الخليج، في ٢٩ يوليو ١٩١٣ بشأن الحدود، لكي يقلل نسبياً من حدة هذه المشكلة أولا، ثم يُتخذ أساساً لعملية تخطيط الحدود بين العراق والكويت فيما بعد.

وفي الوقت الذى كانت فيه الحرب العالمية الإولى - التى اندلعب نيرانها بعد سنة من توقيع الإتفاقية المشار إليها - سبباً في تهدئة الأوضاع ونسيان مشاكل الحدود في منطقة الخليج، فإن تخطيط هذه الحدود بين العراق والكويت تم تأكيده بناءً على ما تم التوصل إليه في إتفاق ١٩١٣، بعد ذلك بحوالي عشر سنوات. وقد حدث أن أرسل شيخ الكويت في ٣١ مارس ١٩٢٣ برسالة إلى « الميجور مور » الذى كان يشغل منصب الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يطلب فيها إحاطته علماً بحدود بلاده مع العراق. وعندما رفعت الوصاية البريطانية عن العراق في عام ١٩٣٢، وانضم إلى عصبة الأمم، قام المندوب السامي البريطاني في بغداد « فرانسيس همفريس » في ١٦ يوليو عام ١٩٣٢ بإرسال رسالة إلى رئيس مجلس الوزراء العراقي بالوكالة السيد جعفر العسكري، يطلب فيها أن يثبّت الحدود القائمة بين العراق والكويت، بناءً على إتفاقية عام ١٩١٣. ومن هنا عادت مشكلة الحدود بين العراق والكويت تفرض نفسها من جديد، ولكن في ظل أوضاع جديدة. وأدى ذلك إلى أن تتطور الأزمة في إتجاهات جديدة.

سمو رئيس الوزراء في حديث أخوي مع الرئيس المصرى حسنى مبارك لدى زيارته إلى البحرين (مايو ١٩٩٣)

سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء وسمو ولى العهد يستقبلون الرئيس السورى حافظ الأسد
والسيد عبدالحليم خدام والسيد فاروق الشرع خلال زيارتهم للبحرين (ابريل ١٩٩٢)



وبعد أن أعلن رئيس الوزراء العراقي السيد نوري السعيد عدم قبوله بالحدود القائمة بين البلدين، وقام في ٢١ يوليو من عام ١٩٣٢ بإرسال الرد الذى يحمل ذلك المعنى إلى المندوب السامي البريطاني، قام حاكم الكويت بإرسال خطاب إلى الوكيل السياسي البريطاني في العاشر من أغسطس من العام نفسه يبلغه موافقته على ترسيم الحدود. وكان ذلك إيذاناً بأن تهدأ المشكلة ولكن إلى حين.

وكان من الممكن أن تشهد مشكلة الحدود بين العراق والكويت حلاً نهائياً عندما تباحثت بريطانيا والعراق حولها في عام ١٩٣٩ . ولكن المشكلة إستمرت وإتخذت منعطفاً جديداً، بعد أن قام الرئيس العراقي الأسبق عبدالكريم قاسم في يونيو عام ١٩٦١ بإطلاق دعوته لضم الكويت، ودفع بالفعل بعدد من وحداته لتنفيذ ما دعا إليه. فما كان من الكويت إلا أن إستغاثت بقوات بريطانية طالبة منها الحماية. وبينما كان إرسال القوات العربية إلى الكويت لتحل محل القوات البريطانية بمثابة تجربة ممتازة لإنشاء قوة عربية مشتركة، فإن الإطاحة بنظام عبدالكريم قاسم في فبراير عام ١٩٦٣ أدى إلى تواري فكرة إنشاء مثل هذه القوة، كما أنه أدى إلى توقف الحكومة العراقية عن المطالبة بضم الكويت مؤقتاً.

وقد حدثني سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء عن تلك الفترة قائلا « بعد تلك التهديدات التى أطلقها الرئيس العراقي في عام ١٩٦١ ، أرسل حاكم الكويت إلى الوالد رحمه الله لطلب المساعدة من القوات البريطانية المتواجدة في البحرين، فلم يتردد لحظة واحدة في تقديم العون لدولة الكويت الشقيقة، والرسائل التي تبودلت بين سمو الوالد والمعتمد البريطاني لهى أكبر دليل على الإهتمام الذي اولاه سمو الوالد شخصياً لهذا الموضوع ».

ففي صباح يوم ٤ يوليو عام ١٩٦١ إجتمع سمو الشيخ سلمان بن حمد حاكم البحرين مع المقيم السياسي السيد وليم لوس بحضور قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط. وبعد هذا الإجتماع مباشرة أرسل المقيم السياسي البريطاني مذكرة بهذا الخصوص جاء فيها « حضرة المكرم حميد الشيم صاحب العظمة الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين المحترم. بعد التحية ومزيد الإحترام.. وبعد.. كما أخبرت عظمتكم في هذا الصباح لما تشرفت بمقابلتكم مع قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط. لقد أُمرت أن أنقل إلى عظمتكم شكر وتقدير حكومة صاحبة الجلالة للصداقة

ورغبة التعاون اللذين أظهرتموهما بخصوص التحركات الأخيرة للقوات البريطانية الذاهبة لمساعدة الكويت. إن حكومة صاحبة الجلالة تقدر جداً الصداقة القائمة قديما بين المملكة المتحدة والبحرين، والتى زادتها الحوادث الأخيرة متانة. الرجاء قبول عظمتكم إحترامي الفائق وتقديري ».

وفي نفس اليوم أرسل سمو الشيخ سلمان الرد على تلك الرسالة، وقد جاءت كلماتها أكثر من معبرة عن العلاقات البحرينية الكويتية حيث جاء فيها « حضرة صاحب الفخامة السير وليم لوس المقيم السياسي في الخليج المحترم.. بعد التحية والإحترام ... إستلمنا كتاب فخامتكم المؤرخ في ٤ يوليو ١٩٦١ الذى ذكرتم فيه أنكم امُرتم أن تنقلوا لنا شكر وتقدير حكومة صاحبة الجلالة للصداقة ورغبة التعاون اللذين أظهرناهما بخصوص التحركات الأخيرة للقوات البريطانية الذاهبة لمساعدة الكويت. وأن حكومة صاحبة الجلالة تقدر جداً الصداقة القائمة قديماً بين المملكة المتحدة والبحرين والتى زادتها الحوادث الأخيرة متانة. وجواباً عليه نقول بأن ما قمنا به من تسهيلات لتحركات القوات البريطانية الذاهبة لمساعدة الكويت ماهو إلا شىء يفرضه علينا الواجب الإسلامي والأخوي نحو أخ عزيز وبلد شقيق وما ذاك الا بعض من الواجب علينا نحو حاكم الكويت وبلده وشعبه الذين تربطنا بهم روابط الأخوة والصداقة ونكن لهم كل تقدير وإحترام ونتمنى لهم كل عز ورفعة. ولا يخفى أننا وجميع أصدقائنا مستائين أشد الإستياء لما حدث من رئيس وزراء العراق ونرجو الله ان يوفق الجميع لما فيه الخير والسداد... هذا ونرجو أن ترفعوا خالص تشكراتنا القلبية لحكومة صاحبة الجلالة على ما أبدته من تعاون صادق وروح طيبة نحو الشقيقة الكويت، كما نرجو من الله أن يجعل روابط الصداقة بيننا قوية ويوفقنا جميعاً للتعاون على ما فيه الخير للجميع.. وختاماً نقدم لكم خالص شكرنا على ما قمتم به من إبلاغ الرسالة الينا ونرجو لكم دوام التوفيق والمسرات ».

وقد إستلزم الأمر بعض الوقت لكي يعاود العراق إثارة دعواه التى لا تستند إلى أي أساس شرعي أو قانوني. وجاءت المحاولة العراقية الجديدة لضم الكويت على يد الرئيس صدام حسين بعد حوالي ٢٧ عاما من آخر محاولة سبقتها.

❖❖❖❖

ولم تجد نفعاً المحاولات والجهود الجبارة التى بذلها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس المصرى حسني مبارك والرئيس السوري حافظ الأسد وغيرهم من الروساء والقادة في بعض الدول العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

سلمان بن حمد آل خليفة

حاكم البحرين

التاريخ ٢١ محرم ١٣٨١ - ٤ يوليه ١٩٦١ الرقم ١٧٦ / ١٣٨١

حضرة صاحب الفخامة السير وليم لوس المقيم السياسي في الخليج المحترم

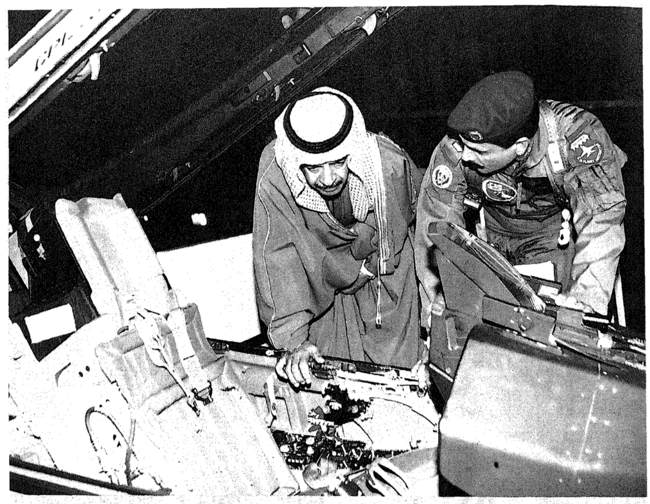
بعد التحية والاحترام ؛

استلمنا كتاب فخامتكم المؤرخ في ٤ يوليو ١٩٦١ الذي ذكرتم فيه امرتم ان تنقلوا لنا شكر وتقدير حكومة صاحبة الجلالة للصداقة ورغبة التعاون اللذين اظهرناهما بخصوص التحركات الأخيرة للقوات البريطانية الذاهبة لمساعدة الكويت، وان حكومة صاحبة الجلالة تقدر هذا الصداقة القائمة قديما بين المملكة المتحدة والبحرين والتي زادتها الحوادث الأخيرة الا متانة، وجوابا عليه نقول بأن ما قمنا به من تسهيلات لتحركات القوات البريطانية الذاهبة لمساعدة الكويت ما هو الا شيء يفرضه علينا الواجب الاسلامي والاخوي نحو اخ عزيز وبلد شقيق وما ذلك الا بعض من الواجب علينا نحو حاكم الكويت وبلده وشعبه الذين ترتبطنا بهم روابط الاخوة والصداقة ونكن لهم كل تقدير واحترام ونتمنى لهم كل خير ورفعة، ولا يخفى اننا وجميع اصدقائنا ستاءنا اشد الاستياء لما حدث من رئيس وزراء العراق ونرجو الله ان يوفق الجميع لما فيه الخير والسداد،

هذا ونرجو ان ترفعوا خالص تشكراتنا القلبية لحكومة صاحبة الجلالة على ما ابدته من تعاون صادق وروح طيبة نحو الشقيقة الكويت كما نرجو من الله ان يجعل روابط الصدا- بيننا قوية ويوفقنا جميعا للتعاون على ما فيه الخير للجميع.

وختاما نتقدم لكم خالص شكرنا على ما قمتم به من ابلاغ الرسالة الينا ونرجو لكم دوام التوفيق والمسرات، مع

نسخة ابعث الى السكرتارية



شارك الطيران الأميري البحريني في تحرير الكويت بكفاءة عالية . سمو رئيس الوزراء يتفقد إحدى الطائرات أثناء إفتتاح قاعدة الشيخ عيسى الجوية

الأخرى، للتوصل إلى حل لهذه الأزمة الخطيرة وإحتوائها عربياً. فقد ذهبت كل تلك الجهود أدراج الرياح، ولم تسفر عن أية نتائج إيجابية. وإستمر العراق في إحتلاله للكويت وأدى ذلك إلى أن تخرج الأزمة من حدود السيطرة العربية، بعد فشل الجامعة العربية في إيجاد حل لها بسبب تعنت النظام العراقي.

وتحت مظلة منظمة الأمم المتحدة، وبالتعاون مع العديد من دولها الأعضاء، بذل الرئيس جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك جهودًا غير عادية حتى يجد لهذه الأزمة حلاً سلمياً. ولكن محاولاته في هذا المجال باءت بالفشل أيضاً. كما فشلت جهود الأمم المتحدة في إقناع العراق بالإنسحاب من الكويت. ونظراً لأن العراق صم اذنيه عن سماع التحذيرات، ولم يعط أى إهتمام للعديد من قادة العالم الذين توجهوا إلى بغداد من أجل إقناع الرئيس العراقي صدام حسين بالإنسحاب سلمياً من الكويت. كما صم آذانه ولم

كان سمو الشيخ خليفة بن سلمان من أوائل القادة الذين زاروا الكويت بعد التحرير. سموه مع سمو الشيخ سعد العبدالله ولى العهد ورئيس الوزراء الكويتي في جولة للإطلاع على آثار الغزو العراقي (ابريل ١٩٩١)

يعبأ بالنداءات التى وجهها اليه العديد من زعماء دول العالم ومنهم الرئيس المصرى مبارك الذى وجه لصدام حسين ٢٧ نداءاً متتالياً !! .. فقد بات واضحاً ان الأمور تتجه نحو الحرب.

وقد كان الغزو العراقي لدولة الكويت من أصعب المواقف على نفس سمو الشيخ خليفة بن سلمان. وفي ذلك الشأن قال لي سموه « إن العرب مروا في هذه الأزمة بأصعب حالات التفكك والإنقسام السياسي. كما أن الوضع الخليجي كان من الممكن ان يكون أفضل، بالتنسيق المشترك والإبتعاد عن المشاكل الفرعية التى كانت قائمة في تلك الفترة. وكم تمنيت أن تقف الدول العربية، والخليجية خاصة، وقفة متماسكة مثل وقفتها أيام الحرب العراقية الإيرانية ».

وخلال الفترة التى كانت الأمم المتحدة والعديد من الدول تحاول فيها إقناع العراق بالإنسحاب من الأراضى الكويتية، بات واضحاً أمام القيادة السياسية في البحرين أن الحرب هى الإحتمال الأقوى. وعليه تم الإتفاق على إتخاذ العديد من الإجراءات الإحتياطية. ولم تتردد البحرين لحظة واحدة في عمل مارأت أنه واجب الأخ تجاه أخيه، مهما كانت التضحيات، وأياً كانت التبعات. ففتحت أبوابها مرحبة بالإخوة الكويتيتن الذين أجبروا على ترك بلادهم أمام جحيم الغزو. وأتخذت البحرين كافة الإجراءات لسرعة توفير المسكن والحياة الكريمة للإخوة الكويتيين في هذه المحنة. كما فتحت البحرين مجالها الجوى والبحرى والبرى للجهد الدولي الذى إستهدف إعادة الشرعية إلى أرض الكويت.

وعندما رُجحت إحتمالات الحرب، بدأت مختلف أجهزة الحكومة، وبتوجيه وإشراف مباشر من سمو الشيخ خليفة بن سلمان، حملة كبيرة شملت الإستعداد داخل البلاد لكافة الإحتمالات. كما تضمنت توجيه المواطنين والمقيمين تحسباً لأية طوارىء عند حدوث غارات أو غير ذلك من إحتمالات الحرب. وكان للتهديد العراقي بشن حرب كيماوية أثره في إثارة فزع وخوف الكثيرين. مما حدا ببعض المقيمين إلي مغادرة البحرين. ومن جانب آخر، ونتيجة لذلك، بدأ المواطنون في أكبر حملة مشتريات عرفتها البلاد من المواد التموينية لتخزين الحاجات الضرورية والمؤن الغذائية وغيرها. وهنا يجب أن نشيد وبفخر، بالدور الذى لعبته الحكومة في السيطرة على الأسعار وتوفير المخزون الغذائي والدوائي وغير ذلك من كافة الإحتياطات الضرورية. كما كان للجهد الذى بذله سمو الشيخ خليفة بن سلمان شخصياً في متابعة الأوضاع في البلاد، من خلال جولاته التفقدية شبه اليومية إلى مختلف المنشآت والمؤسسات، أثره في ضبط

إيقاع الحياة وعدم السماح بانفلات أية أمور، لتسير الحياة على نهجها المعتاد رغم ذلك الخطر الكبير الذى كانت البحرين قريبة للغاية منه.

وعندما إنتهت الفترة الزمنية التى حددتها الأمم المتحدة كمهلة لإنسحاب العراق من الكويت – في الساعة الثانية صباحا من يوم ١٦ يناير عام ١٩٩١ بتوقيت الخليج – شنت طائرات القوات المشتركة أولى غاراتها على المواقع العراقية في داخل الكويت والعراق. وليس سراً تلك التسهيلات العسكرية التى قدمتها البحرين لقوات التحالف، الأمر الذى جعل من البحرين مع المملكة العربية السعودية خط مواجهة ثانية للحرب. وإضطرت البحرين، وربما وحدها بين دول المنطقة، إلى وقف حركة الطيران المدني فيها، مما زاد من عبء الأزمة الإقتصادية التى تحملتها البحرين والتى زادت خسائرها على مليارين ونصف المليار دولار امريكي، وهو أمر ظلت البحرين تعاني من تبعاته لفترة زادت على الخمس سنوات.

كذلك أسهمت البحرين في إنقاذ الكثير من وثائق الكويت الهامة، ومنها المساعدة في تهريب أقراص الحاسب الآلي الكويتي الذى يحتوي على معلومات مفصلة عن السكان، من الكويت إلى البحرين، حيث تمكن خبراء بحرينيون بمساعدة فنيين هولندين وفرنسيين من فك رموزه السرية وإستعادة المعلومات التى سلمت فيما بعد إلى الحكومة الكويتية في المنفى. وقد أصبحت هذه الإحصائيات السكانية الكويتية وثيقة لدى الأمم المتحدة، اسهمت في تمكين الحكومة الكويتية من دحض الإدعاءات العراقية.

كما قامت قاعدة الشيخ عيسى الجوية والواقعة في جنوب البحرين بدور هام في المعارك الجوية أثناء الحرب، مما تسبب في توجيه العراق ثلاثة صواريخ سكود أخطأت القاعدة، ولم تحدث أية خسائر. كما سقط صاروخ سكود عراقي في الأرض الخالية جنوب البحرين ولم يسبب أية أضرار.

وفي الساعات الأولى من صباح يوم ٢٨ فبراير عام ١٩٩١، نجحت القوات المشتركة في تحرير الكويت من الإحتلال العراقي، بعد معركة برية لم تدم سوى أربعة أيام فقط.

وقد كشفت هذه الأزمة بكل وضوح عن المعدن الأصيل لشعب البحرين، وإيمانه الصادق والقوى بمبادىء التعاون والتعاضد الأخوى.

وفى هذه الفترة تلقى صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى قصيدة نبطية من أخيه الشيخ عبدالعزيز السعود الصباح عبر فيها عن مشاعره حول مايجرى في المنطقة. وقد أجاب صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان في ٢٢ اكتوبر عام ١٩٩٠ بالقصيدة النبطية التالية والتى تعبر عن محبة البحرين أميراً وحكومةً وشعباً لشقيقتها الكويت :

الله من وقتٍ غدا للعَرب ضِدٌ ... ضِدٍ يسَاقيهم سمومه ركادي
والعرب تِفعَل ما تريده ويقصد ... منقادةٍ مستسلمة للقيادي
شب الفتن بين الاقطار إتوقد ... ورضيو وزادوها حطب للوقادي
وزين لهم سفك الدَّمى بماضى الحَّد ... وتقاتلوا مابينهم كالأعادي
وكلن عدوه من يلاقيه في الجًّد ... بين القرايب صار ذبح وجلادي
والجار سُّوَّه صار للجار الأوحد ... حربيه جريبه ما يدور البعادي
كلن خفر بجواره وصار يمتد ... في دار جاره ساعي للفسادي
وخفر الذمم ما بينهم صار مقصد ... والغدر ملبوس أردونه اجدادي
والكذب في المنطوق ما عاد ينعد ... وختامها نكًران بيض الأيادي
هل كيف نكار الجميل إتسوَّد ... ونذلٍ بطبعه كيف يرعى الودادي
ياحيف يا ماضي العرب كيف ينهد ... وامجًادهم هل كيف راحت بدادي
وذيك الفضايل والشيم ليت تترد ... خصايلٍ ترثت إقروم الاجدادي
وياللّه تهدي قومي اليوم وترد ... ترد قوميً للهدى والرشادي
والبارحة جفن الخطى بات مسهد ... سهرٍ وعيّا يهتنى بالرقادي
والجنب كنه فوق نارٍ توقد ... كني علىً ملّه وشوكٍ وسادي
والقلب به همٍ ثقيلٍ ومًجلد ... ونقض جروجه آهةٍ من منادي
حر سطى به صًايد الدهًر واحتد ... عقب التجلد صار سده بدادي
والحًر ما يشهر إلى ريشه إنهد ... إلاّ إلى صفّت طوال الهوادي
عليت ياشيخ شكالي من الضد ... واسلمت من جملة جميع الاعادي
عبدالعزيز الضًيغمي طيب الجد ... نسل الصباح إكرام بيض الايادي
هم عزوتي ربعي على اللين والشد ... وهم زندي اللي به تشد الايادي
وحنا لهم درع حصين عن الضد ... نرخص لهم بالروح يوم الجلادي
ولا خير في عًيشٍ عقبهم لو إمتد ... ودينا بلاهم جعلها للنفادي
واللّه ما اذخر دونًهم كل ما آجد ... نفسي ومالي والربع والأولادي
وداري لهم دارٍ وعِدي لهم عِدٌ ... نسقيهم الصافي ونشرب ركادي
هُم جدهم جًدّي وجدّي لهم جد ... وعيالهم هم شعرةٍ من فوادي
وحنا بني عتبة هل الحد والعد ... لطامة العايل إرجالً الوكادي
يفرح بنا البلشان لى حبله إشتد ... وعيد الركايب لى طون المزادي
وعناز منسبنا إلى كلٍ إعتد ... من وايلٍ والقول قولٍ الوكادي
جيناك من نجدٍ على الضًمَّر الجِّرْد ... وبيمًاتنا تلمع رهافً الهنادي

وشدّنا على سيف البحر كل مقصد ... للضيف واللافي وحضر وبادي
قرنين وحنا وسط عز إيشيّد ... وخير يفيض وينثر للعبادي
واللي طمع في دارنا من ألعدا رد ... يوم العدّ وسواتنا في العتادي
والله ما غرنا على الجار الأوحد ... الا إنكافي الشر نبغى السدادي
ومن زارنا للخير بالخير يرتد ... ولا نتبعه بالمن عقب الايادي
وعدونا يامن على العرض والكد ... فلا هتكنا عرض بين العبادي
ولا سرقنا المال يوم من أحد ... نكرم عن إفعال الردي والفسادي
وياهيه ياللي يمشي بوّاطي الخد ... حنا بروس إمشمرخات المبادي
وحليش لو عندك جيوش اتعدد ... ومجمع القوات هي والعتادي
لكن ما عندك اخلاق إتّمجد ... ويسري ذكرها في الحضر والبوادي
وحنا إلو زلنا ذكرنا يردد ... في غارب التاريخ باد ينادي
وحنا العرب كان العروبة لها حد ... حنا نبيّض وجهها في النوادي
ولا نبي بعث يبعّث ويجهد ... تاريخنا معنا ونفعل زيادي
ودار حميناها على طول ذا العهد ... هل كيف ياخذها عدو معادي
بنحاريه باللي إنلاقي من الحد ... وان ما لقينا بالظفر والايادي
والدار نسقيها بدم مورّد ... يسيل بين رقابنا والاورادي
وهذا العذر يادار والجّد بالجّد ... ولا عقب بذل الروح لايم ينادي
وسلام مني للأخو زاكي الجد ... جابر سراج الدار راعي الشدادي
شيخ الكويت اليوم والامس والغد ... رغم على أنف الضديد المعادي
وسعد عضيده كلهم للعدو ند ... ويحميهم المولى إله العبادي
وياخوي لا تشكي ولا تبيّح السد ... السد مصيون ونارك برادي
وصلاة ربي عد قول تردد ... على رسول الله هادي والعبادي

❖❖❖❖

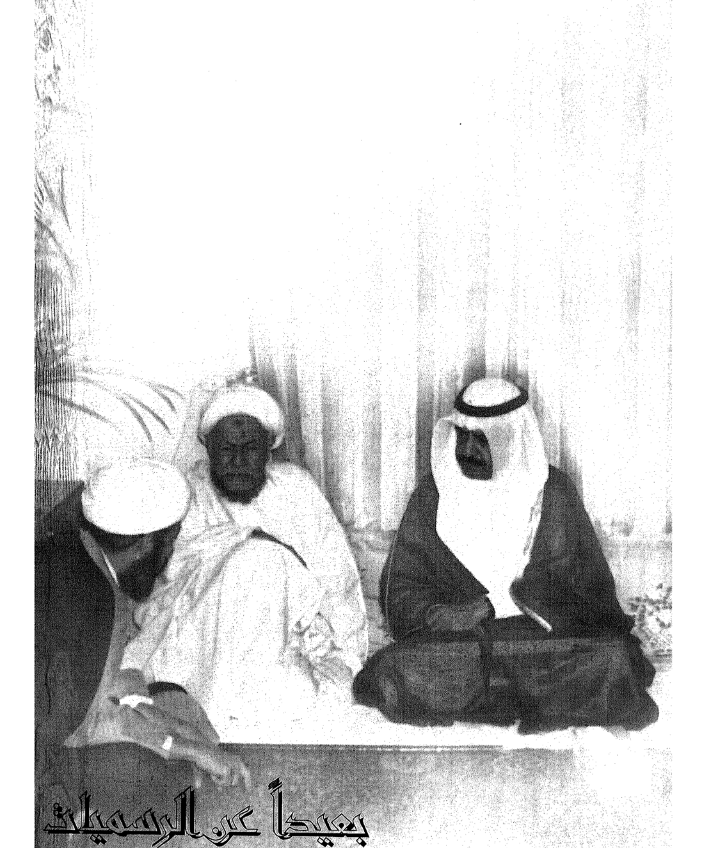
هوامش (١) وقد افاذني مدير مركز الوثائق التاريخية التابع لديوان سمو ولي العهد ان هذا السيف قد اهدى مع البدايات الأولى لحكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين (١٨٦٩- ١٩٣٢)

(٢) الدكتور محمد حسن العيدروس: العلاقات العربية - الإيرانية - منشورات ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٥

(٣) نفس المصدر

(٤) من منشورات مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس . الكويت وجوداً وحدوداً - ١٩٩١

(٥) نفس المصدر


بعيداً عن الرسميات

الفصل الثالث عشر

بعيداً عن الرسميات

عندما نتأمل البرنامج اليومى لسمو الشيخ خليفة بن سلمان، نلاحظ أنه من الصعوبة بمكان الفصل بين ساعات عمله وساعات راحته. فالكل يعرف أن هناك مواعيد ثابتة لبدء وإنتهاء العمل في وزارات الدولة ودواوينها ومكاتبها. ولكن العمل بالنسبة للشيخ خليفة، يتواصل بعد ساعات الدوام الرسمى، إلى وقت غير محدد. كما أنه ليست هناك ساعة معينة لا يجوز الإتصال به بعدها، وذلك من منطلق حرصه الشديد على أن يحاط علماً- أولاً بأول- بكل ما يتعلق بالعمل من مستجدات أو ظروف طارئة.

ويقول الأستاذ محمد إبراهيم المطوع وزير شئون مجلس الوزراء والإعلام، أنه منذ أن بدأ العمل مع الشيخ خليفة قبل نحو عشرين عاما ، فانه لم ير سموه إلا مندمجاً فى عمل، أو مهتماً بموضوع يخدم مصلحة البلاد. يستوى فى ذلك كون الوقت نهاراً أو ليلاً، أو حتى ممتداً طوال الليل وإلى الساعات الأولى من النهار، مادام الأمر يتطلب ذلك .

ويشير وزير شئون مجلس الوزراء والإعلام فى هذا الصدد، إلى ما يوليه سمو رئيس الوزراء من إهتمام بمختلف التفاصيل الصغيرة والدقيقة، والتي تبدو للكثيرين على أنها أشياء ثانوية وغير ذات أهمية. إلا أن سموه يحرص على معرفة هذه التفاصيل، ربما لإيمانه بأن الأمور الكبيرة هى فى الأساس مجموعة من الأشياء الصغيرة .

والشىء الملفت للنظر، هو أن الإهتمام بالتفاصيل يرتبط في شخصية الشيخ خليفة بذاكرة قوية تحتفظ بأكثر هذه التفاصيل دقة. هذا بالإضافة إلى قوة ملاحظة غير عادية، تمكنه من أن يصف بدقة متناهية أماكن لم يزرها الا

مرة واحدة، ومنذ فترة طويلة. و كثيراً ما وصف، بدقة أدهشت الجميع، مناطق برية غير مأهولة، وبلا أية علامات مميزة، كان قد زارهاقبل سنوات، محدداً الكثبان الرملية ومسميات الصخور المختلفة، وغير ذلك من التفاصيل الدقيقة .

ويصف أحد المهندسين المعماريين، بانبهار شديد، واقعة حضرها بنفسه تبين مدى دقة ملاحظة الشيخ خليفة. فقد كان هذا المهندس يُجرى توسعة فى قصر سموه، الذي تحيط به حديقة كبيرة، يهتم سموه بها كثيراً ويشرف بنفسه على رعاية نباتاتها وزهورها. وفى أحد الأيام كان سموه يتفقد الحديقة مع هذا المهندس، عندما توقف فجأة وأشار الى بقعة معينة متسائلا عن نبتة صغيرة كانت بها فى اليوم السابق. وعندما إستدعى الزرّاع وسأله، أجاب الرجل بأن النبته كانت هناك بالفعل، وأنه نقلها إلى مكان آخر ، فأمر سموه بإعادتها بعناية الى مكانها الأصلى !!

❖❖❖❖

يبدأ الشيخ خليفة يومه عادة قبل السابعة صباحاً. ومع إفطار خفيف، يفضل تناوله فى الهواء الطلق إذا كان الطقس يسمح بذلك ، يبدأ سموه فى قراءة الصحف المحلية، بعد أن يكون قد تابع آخر الأخبار والتقارير والتحليلات العالمية على شاشات المحطات الإخبارية المشهورة. ومع رشفات فنجان القهوة منزوعة الكافين، يركز سموه على الأخبار وأعمدة كّتاب الرأى فى الصحافة المحلية. ويقرأ بالتفصيل وبإهتمام بالغ شكاوى ورسائل القراء. وإذا لم تكن لديه أوراق عن موضوع معين، فإنه يكمل قراءة الصحف والمجلات المحلية كلها. وكثيراً مايصدر ملاحظات، قبل خروجه إلى العمل، بشأن ما طالعه من موضوعات فى الصحافة، أو توجيهات بإعداد تقرير سريع عن خلفيات وجوانب موضوع معين منها، وذلك توطئة لإتخاذ قرار بشأن هذا الموضوع فى اليوم ذاته .

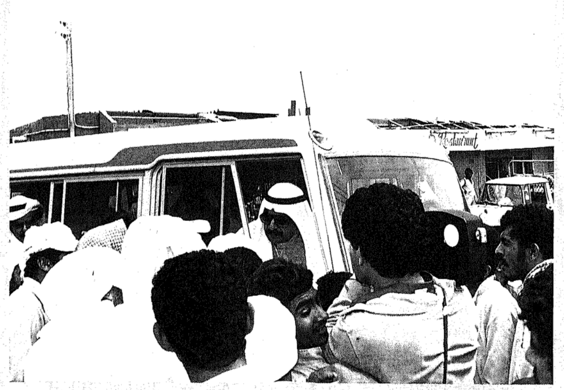
وما لم يتضمن البرنامج المرور على بيت إحدى الأسر لتقديم واجب العزاء أو لعيادة مريض، فإنه فى العادة يصل إلى ديوان سموه فى الثامنة والنصف صباحاً، حيث يبدأ على الفور إستعراض برنامج اليوم مع الدكتور عبداللطيف الرميحي رئيس الديوان، وفى غير يوم الأحد، موعد الإجتماع الأسبوعى لمجلس الوزراء ، فإن البرنامج عادة ما يتضمن بحث عدد من الموضوعات، ومناقشة كل منها مع الوزير أو المسئول المختص، ثم بدء فترة مقابلة الضيوف والزوار سواء من الأجانب أو من أهل البلاد .



سمو رئيس الوزراء يقوم بجولة تفقدية في شوارع قرية النويدرات بعد هطول الأمطار الغزيرة عليها (١٩٨٣)

سمو رئيس الوزراء يستمع إلى أحد المواطنين الذين تضرروا بفعل الأمطار الغزيرة التى سقطت على قرية النويدرات (١٩٨٣)





أهالى قرية النويدرات يستقبلون سمو رئيس الوزراء أثناء زيارة له إلى المنطقة

سمو رئيس الوزراء في زيارة تفقدية إلى قرية جدحفص (أغسطس ١٩٨٣)



وفي العادة، تحظى طلبات المقابلة التي ترد من قبل الشخصيات الزائرة للبلاد، سواء من الدول العربية الشقيقة أو الدول الأجنبية الصديقة ، بقدر من الأولوية. وذلك بالنظر إلى أن هذه الزيارات تجيء فى العادة وفق ترتيب مسبق عبر القنوات الدبلوماسية، أو تقديراً لضيق وقت الزيارات التى تقوم بها هذه الشخصيات للبحرين .

ومن الأمور الملفتة للنظر حقاً، تلك البراعة والحنكة السياسية والنهج الدبلوماسي الرفيع الذى يخاطب به الشيخ خليفة ضيوف البلاد من الشخصيات الأجنبية. ومن خلال هذا النهج، يتمكن دوماً من إيصال الرسالة التى يريد إبلاغها لضيفه وللمسئولين فى بلاده بأسلوب غاية فى البراعة الدبلوماسية وبلاغة الحجة وقوة الإقناع، حتى لتجد الضيف سريعاً ما يتحمس لوجهة النظر السياسية التي يطرحها عليه سمو الشيخ خليفة ، حتى وإن كانت تنطوى على بعض الإختلاف عما جاء أصلاً يطرحه من أفكار .

والواقع أن الكثيرين من كبار الشخصيات السياسية العالمية يعرفون ما يتمتع به الشيخ خليفة من قدرات تفاوضية مذهلة، وحجة قوية، إذا ما تبنى وجهة نظر سياسية معينة. ويقول دبلوماسى أجنبي إلتقيت به ذات مرة، أن السيناريو الذى يتكرر دائماً في مثل هذه المواقف هو أن هذه الشخصيات تأتي إلى البحرين للمرة الأولى، وفي أذهانهم ما سمعوه من روايات سحر الشرق، وربما إشاعات « التخلف وثروات البترول التى يبعثرها بدو الصحراء فيما لاطائل منه » تكون دهشتهم الأولى، هذه النهضة الحضارية والعمرانية التى تبدو عليها البلاد . ثم يكون الإنطباع المغاير تمامًا لدى الجلوس إلى الشيخ خليفة والحديث معه . شخصية سياسية أخآذة بمعنى الكلمة . فهو يتحدث لغة إنجليزية راقية بمستوى إتقان أهلها. أضف إلى ذلك أن لغته هذه قد تحلت بثقافة عريضة واسعة، وبفكر سياسي مستنير، وبمتابعة واعية لآخر التطورات والمستجدات، وبتحليل دقيق للمواقف والموضوعات محل البحث والمناقشة، وبمنطق قوى الحجة، وبالقدرة على الإقناع في الحديث .

وفيما لا يميل كاتب هذه السطور إلى أساليب المبالغة إستخدام أفعل التفضيل فى غير محلها ، فإن كثيراً من الشخصيات الأجنبية التي التقت بالشيخ خليفة للمرة الاولى، خرجت من هذا اللقاء شديدة الإعجاب به ، مبهورة بشخصه وشخصيته . وربما لا أذيع سراً إن قلت فى هذا الشأن، إن أحد هذه الشخصيات قال « انكم ياسمو الرئيس جديرون بأن تكونوا رئيساً لوزراء واحدة من الدول الكبرى فى الغرب » .

ولم يكن مستغرباً بالنسبة للمقربين من الشيخ خليفة، أن يعمد سموه في تصريح أدلى به بعد تلك المقابلة - ورداً على الملاحظة التي أبداها المسئول الزائر - إلى أن يستخدم تعبيرا يشيد فيه بالبحرين « الصغيرة بمساحة أرضها، الكبيرة برجالها وعزيمة أبنائها » .

❖❖❖❖

وعودة إلى برنامج عمل سمو الشيخ خليفة، نرى أن هذا البرنامج كثيراً ما يتضمن جولة خارجية لتفقد موقع من مواقع العمل أو الإنتاج، أو إفتتاح مشروع أو معرض، أو غير ذلك من الأعمال التي يحرص سموه على القيام بها بنفسه. ويتم إفساح الوقت لهذه الجولات حسب ترتيب مسبق، وبتوجيهات من سموه. وغالباً ما يعود في ختامها إلى الديوان مرة أخرى لإستكمال ما يتضمنه برنامج عمله من بنود. ويقول الدكتور عبداللطيف الرميحي أن الوقت المتبقي من يوم العمل يتم فيه التركيز من جانب سموه على موجز لمضمون كل رسالة من رسائل المواطنين التي وردت لديوانه، والبت في أمرها، بعد إستكمال جوانب الموضوع الذي تتناوله .

ومن المعتاد بعد لحظات من وصول سمو الشيخ خليفة إلى الديوان، أن تتحول جميع مكاتب الديوان إلى خلية نحل، تشتعل فيها حيوية لا تهدأ، وذلك تنفيذاً للتوجيهات التي يصدرها سموه بمضامين الردود على رسائل رؤساء الدول والوزارات، والرسائل الأخرى المحلية، وإعداد التقارير، وعمل التحليلات ، وإستكمال الموضوعات والإتصالات التي تتعلق بهذا الأمر أو ذاك.

وعادة مايستمر هذا النشاط - حيث يعرف كل موظف ماهو مطلوب منه، وينهمك في أدائه بقدر ما أوتي من كفاءة ومقدرة - حتى نحو الثالثة بعد الظهر. وقبل هذا الموعد بقليل يكون سمو الشيخ خليفة قد غادر الديوان، وبعده الأستاذ محمد المطوع الذي يتوجه لمواصلة العمل بمكتبه بوزارة الإعلام في مدينة عيسى، بينما يبقى الدكتور عبداللطيف الرميحي بعض الوقت مع كبار مسئولي وموظفي الديوان، ومنهم الأستاذ علي العريض مدير إدارة المعلومات والمتابعة، والأستاذ زغلول عبدالمطلب المستشار الصحفي، والشيخ فهد بن أحمد بن راشد آل خليفة يناقش معهم بعض الموضوعات المطلوب إعدادها حسب توجيهات رئيس الوزراء. وكثيراً ما يتطلب الأمر أن يبقى أحد هؤلاء مع بعض الموظفين ، مستمراً في العمل حتى المساء لإستكمال أحد هذه الموضوعات .

وبعودة الشيخ خليفة إلى بيته فى نهاية يوم العمل ، فإن الإتصال بسموه وإبلاغه بأهم الأخبار والتطورات لاينقطع مهما تأخر الوقت ، ولاسيما إذا كان الخبر مهماً أوعاجلاً .

❖❖❖❖

وقد سألت الأستاذ محمد المطوع عن رد فعل سمو الشيخ خليفة عندما ينقل لسموه أخباراً سارة. وكانت المفاجأة التى لم أكن أتوقعها أن ضحك الوزير وقال « هل تصدق أنني ربما أكون أقل من ينقل لسموه أخباراً سارة، وأن سموه قد أبدى لي هذه الملاحظة أكثر من مرة. والسر فى ذلك ببساطة هوأن المسئول الذى لديه خبر سار يتولى نقله إلى سموه بنفسه.فى معظم الأحوال. ولكن عندما يكون الخبر سيئاً فإنه يبلغه لي لكي أنقله إلى سموه !! » وأضاف الأستاذ محمد المطوع أن الدكتور عبداللطيف الرميحي أيضاً بدأ يعاني من هذه المفارقة الطريفة.

وسألت وزير شئون مجلس الوزراء والإعلام عن رد الفعل الذي يصدر من جانب سمو الشيخ خليفة، إذا كان الخبر المنقول إليه سيئاً ، فأكد لى أن سموه لاتصدر عنه أية ردود فعل غير عادية، مهما كان الخبر، وأنه قد تعوّد على التعامل الموضوعي وبلا أية إنفعالات مع مختلف المواقف .

وفى أحيان كثيرة، تقتضى ظروف العمل ومتابعة قضايا البلاد أن يعقد الشيخ خليفة إجتماعات مسائية ، مع مسئولين من مختلف قطاعات العمل والإنتاج بالدولة. وغالباً مايستضيف مثل هذه اللقاءات بقصر سموه بالرفاع .

ومرة أخرى ، لعلي لا أذيع سراً عندما أشير فى هذا الخصوص إلى مجموعة من اللقاءات بالغة الأهمية، عقدها سموه فى خريف عام ١٩٩٤ فى بيته بالجسرة. كان كل من هذه اللقاءات يضم المهتمين بقطاع معين من قطاعات العمل والإنتاج فى الدولة، بغية مناقشة أوضاع هذا القطاع وسبل الإرتقاء به وتطوير أدائه، بما يخدم جموع العاملين فيه ويحقق الصالح العام للوطن والمواطن. وقد ضمت هذه اللقاءات ، على سبيل المثال، المهتمين والمسئولين بقطاعات التدريب المهني وتنمية كفاءات وقدرات العامل البحريني، بهدف تأهيله لفرص العمل المتاحة فى السوق. كما ضمت المهتمين والمسئولين عن القطاع التجارى وسبل تنشيط الحركة التجارية والإقتصادية ، والمسئولين وعدد من العاملين بالمجال القضائي وغيرذلك من قطاعات العمل والإنتاج بالدولة .

وقد إختار الشيخ خليفة لعقد هذه الإجتماعات واللقاءات المطولة التى لم يعلن عنها في الصحافة والإعلام، بيت سموه في الجسرة، والذى يعكس تنسيقه ذوقاً رفيعاً وإهتماماً كبيراً بالناحية الجمالية. فالزائر للبيت يقطع مسافة عبر حديقته الكبيرة، تكون كفيلة بإضفاء الراحة والهدوء والصفاء على النفس.

ورغبة من سموه في إضفاء الطابع غير الرسمي على هذه اللقاءات، فإنه إختار أن تبدأ على هيئة حلقة يشكلها المشاركون في اللقاء، وسموه بينهم، بالقرب من بركة السباحة.

وكانت المناقشة تستمر حتى نحو الحادية عشرة مساءً حين يدعو سموه ضيوفه إلى تناول وجبة العشاء ومواصلة الحديث بالداخل.

ويدخل الضيوف إلى قاعة إستقبال تعبر عن مدى إهتمام المضيف بالنواحى الجمالية والفنية في بساطة متناهية. فالقاعة فسيحة وسقفها مرتفع على نحو يذكّرنا ببيوتنا العربية القديمة، وتزين قمم جدرانها لوحات بديعة من الزجاج المعشق في شريط دائرى يربط ما بين الجدران والسقف. أما طاولة الطعام فقد وضعت وسط تكعيبة خشبية أحيطت بالنباتات الخضراء والزهور، مما يجعلك تشعر وكأنك تتناول الطعام في حديقة طبيعية.

وفي وسط هذا الجوغير الرسمي، وفي ظل تعمده أن يكون كل شيء طبيعياً وبسيطاً، كان سموه يستمع من ضيوفه لكافة وجهات نظرهم، ويطرح تساؤلاته عليهم، مؤكدا لهم بين الحين والآخر أنه يهمه أن يسمع أكثر مما يهمه أن يتكلم .

وقد قدّمت هذه اللقاءات، التي كان بعضها يمتد إلى مابعد منتصف الليل، بما تضمنته من عرض للأوضاع ومن آراء مختلف المهتمين بكل قطاع، النواة التي أسهمت في بلورة رأي سموه نحو تشكيل حكومة جديدة لمرحلة جديدة من العمل الوطني، من أجل إستكمال المسيرة وتحقيق الأهداف التي يسعى إليها سموه لمزيد من تقدم ورفاهية الوطن وجميع أبنائه.

وقد كان من الممكن أن يُجرى هذا التعديل الوزاري في عام ١٩٩٤، لولا تلك الأحداث المؤسفة التي شهدتها البلاد إعتبارا من نهاية ذلك العام ولفترة شهور قليلة من عام ١٩٩٥، والتي حدت بسموه إلى تأجيل التعديل الوزاري، حتى تم الإعلان عن تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة سموه بتاريخ ٢٦ يونيو ١٩٩٥ .

وبعيداً عن الرسميات أيضاً، هناك موضوع الزيارات المفاجئة وغير المعلنة التى يقوم بها الشيخ خليفة إلى مواقع العمل والإنتاج بالدولة. وقد يبدو هذا الموضوع غريباً بالنسبة للبعض، ولكنني كنت قد سمعت عنه، وأكده لي اكثر من مصدر. وفي أحد لقاءاتي مع الأستاذ محمد المطوع، وزير شئون مجلس الوزراء والاعلام، تطرق الحديث إلى هذه الزيارات. وكنت أعتقد فى البداية بأن الوزير ربما لايرغب فى الحديث عن هذا الموضوع،إلا أنه لم يبد ممانعة فى الحديث عنه تفصيلاً، مؤكدا بأن سمو رئيس الوزراء كثيراً ما يقوم بجولات فى أنحاء متفرقة من البلاد، مستخدماً سيارة عادية حتى لا يتعرف عليه أحد، وحتى يتمكن من الإطلاع بنفسه على سير العمل في هذه المواقع . وفى أغلب الأحيان، يقوم سموه بهذه الجولات ليلاً ، وفى أحيان أخرى فى الساعات الأولى من الصباح، و ربما فى الثالثة أو الرابعة صباحاً .

وعندما سألت الأستاذ محمد المطوع عن بعض المفارقات والمواقف غير المتوقعة التي يمكن أن تحدث خلال مثل هذه الجولات ، أجاب ضاحكاً « من المواقف الطريفة التي صادفت الشيخ خليفة فى إحدى هذه الجولات ، ما حدث عندما قام سموه بزيارة ليلية مفاجئة لميناء سلمان . وعند وصول سموه إلى بوابة الميناء، طلب من موظف الأمن فتح البوابة ليدخل. إلا أن الموظف رفض ذلك على أساس أن سموه ليس لديه تصريح لدخول منطقة الميناء. فسأله سموه « أتدري من أنا ؟ » فأجاب الرجل « ربما تكون خليفة بن سلمان، فأنت تشبهه كثيراً » ومع ذلك أصر على موقفه . فحاول سمو الشيخ خليفة باسماً إقناع الموظف بأن يفتح البوابة، لكن دون جدوى. وأخيراً غضب موظف الأمن وحذر سمو الشيخ خليفة بأنه إذا لم يبتعد عن البوابة فإنه سوف يحضر له الشرطة !! .وفي صباح اليوم التالي تم إستدعاء هذا الموظف إلى ديوان سمو رئيس الوزراء. و كان في حالة يرثى لها من الخوف. إلا أن خوفه تبدد تماماً عندما إستقبله سموه وأمر بمكافأته على حرصه وإخلاصه فى عمله .

ومضى الوزير يروي واقعة أخرى فقال « فى إحدى هذه الجولات، لاحظت إحدى دوريات الأمن العام سيارة تقوم بجولات غير عادية بين المناطق، وتتوقف أمام منشآت وبنايات بعينها. فقامت الدورية بتعقب السيارة حتى أوقفتها. وتقدمت مجموعة من أفراد الدورية نحو السيارة. ولك أن تتخيل مدى دهشتهم وارتباكهم عندما فوجئوا بأن سائق السيارة لم يكن سوى سمو الشيخ خليفة بن سلمان، وبرفقته محمد المطوع ، فقاموا بتأدية التحية وغادروا على الفور » .

وعن جانب آخر من الجوانب البعيدة عن الرسميات في حياة الشيخ خليفة، سألت الدكتور عبداللطيف الرميحي عما إذا كان سموه يجد الوقت لمشاهدة التليفزيون ، وإذا كان ،فما هى البرامج التى يحرص على مشاهدتها ؟ فأ جابني بأن سموه يحرص على متابعة الأخبار والبرامج الإخبارية، وتلك التي تقدم تحليلات سياسية، بالإضافة إلى البرامج الوثائقية التاريخية . كذلك يحرص سموه على متابعة المقابلات التي تجرى مع رؤساء الدول ورؤساء الوزارات وكبار المسئولين من مختلف الدول ، كما يتابع المقابلات التى يجريها تليفزيون البحرين مع المسئولين والشخصيات العامة. ويضيف الدكتور عبداللطيف بأنه فى حالة عدم متابعة سموه لتلك البرامج فى وقت عرضها بسبب ظروف العمل ، فإنه يحرص على مشاهدتها مسجلة في وقت لاحق » .

والواقع أن التواصل مع الناس ولقاء المواطنين هما من الأشياء المحببة إلى الشيخ خليفة بن سلمان. وهو يحرص على أن يكون هذا التواصل جزءاً من برنامجه اليومي أو الإسبوعي على أكثر تقدير . ومن هنا جاء حرصه على إستقبال المواطنين في مجلسه الإسبوعي صباح يوم الأحد بديوان سمو رئيس الوزراء بالمنامة . وخلال هذا اللقاء يستقبل سموه زواره من المواطنين والشخصيات العامة على مدى جلستين أو ثلاث جلسات، وذلك بالنظر إلى عدم إمكانية أن يستوعب المجلس جموع الزائرين دفعة واحدة .

ويلتقي سموه بأهل البلاد على إختلاف مستوياتهم وأعمارهم . وتجده وكأنه يعرف كلاً منهم معرفة وثيقة، حيث يسأله عن والده أو أبنائه أو إخوانه. واذا ما التقى وجهاً جديداً من الشباب بين الزائرين، سأله عن إسمه. وبمجرد معرفة الإسم، يبادر بالقول « أنت إذن أبن فلان أو حفيد فلان ». ويستفسر سموه عن صحة وأحوال أبيه أو جده . وقد كان سموه فيما مضى يعقد مجلسه العام هذا في مساء الأحد بالرفاع. ولكن ضغوط العمل دعت إلى تحويل موعده ومكانه إلى صباح الأحد بالمنامة .

كذلك يحرص سمو الشيخ خليفة على زيارة المواطنين في مختلف أنحاء البلاد، ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم . كما تسعده وتحظى باهتمامه تلك الزيارات التى يقوم بها في أمسيات شهر رمضان المبارك إلى العائلات البحرينية، حيث يتجاذب مع المواطنين أطراف الأحاديث الودية في جو أسري بعيد كل البعد عن الرسميات .

وفي معظم مجالسه وزياراته ، يحرص سمو الشيخ خليفة ، ومنذ سنوات طويلة، على تواجد وحضور نجليه سمو الشيخ علي وسمو الشيخ سلمان. ولابد أن الوالد المعلم كان قد أبلغهما ومنذ نعومة أظفارهما تلك التعليمات الحازمة الحكيمة التى سمعها سموه من والده المغفور له الشيخ سلمان بن حمد عندما بدأ يحضر مجالسه .

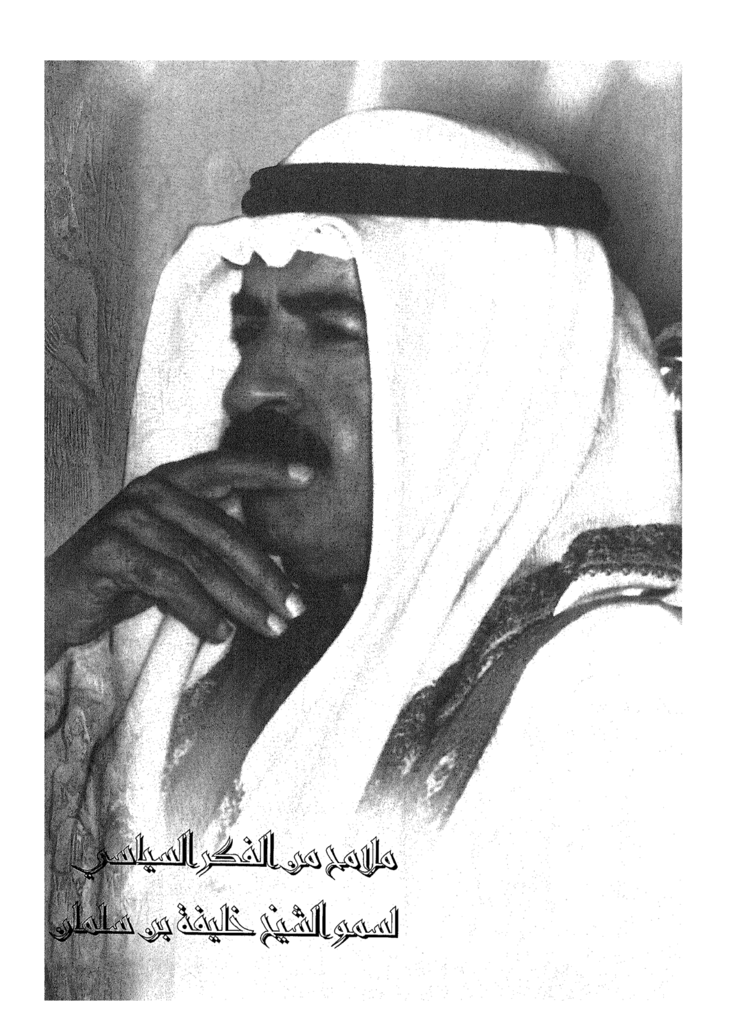
ويكاد البرنامج اليومي لسمو الشيخ خليفة ، بما يتضمنه من ضغوط العمل وأعبائه اللامتناهية ، لا يترك له الوقت الكافي لممارسة أية هوايات. ويقول سموه أن هواياته الشخصية مسألة تأثرت كثيراً بأعباء العمل والمراحل السنية المختلفة التي مر بها . إلا أنه إستبقى من هذه الهوايات رياضة المشى التي تفيده صحياً، وتتيح له فرصة التفكير والتأمل بهدوء . ويضيف سموه بأنه كثيراً ما إهتدى إلى حلول لقضايا مستعصية أثناء جولات المشي التى يقوم بها بشكل شبه يومي.

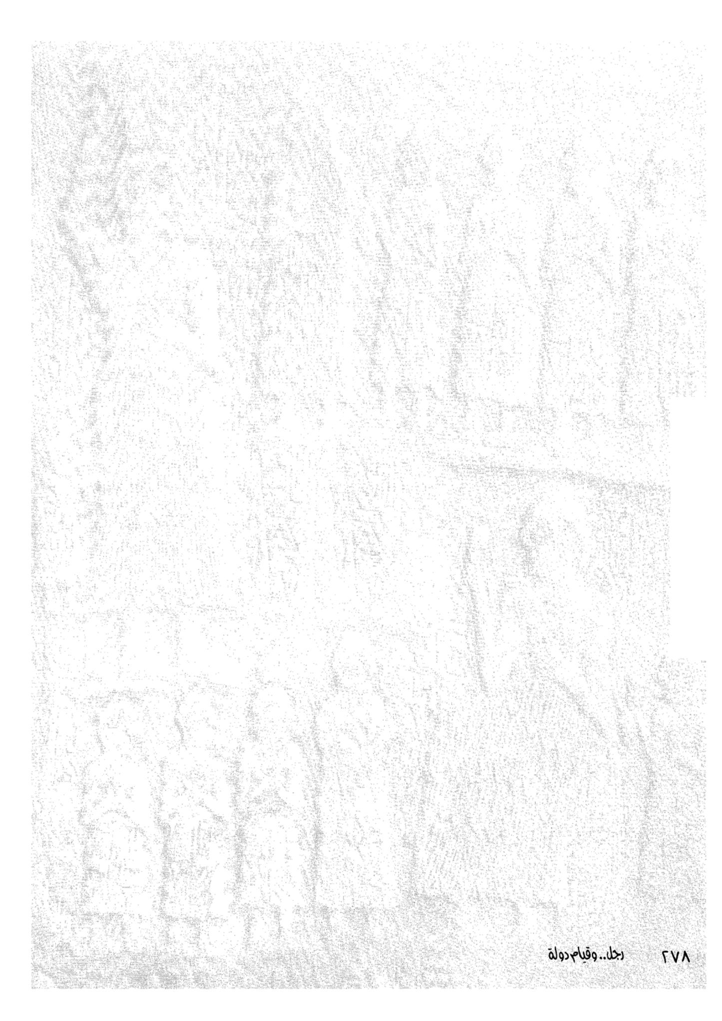
ويفضل الشيخ خليفة ممارسة رياضة المشي وسط الزراعات وفي الحدائق ، وذلك إنطلاقا من حبه للزراعة والنباتات التي أصبح يعرف الكثير من أسمائها ودورات حياتها، فضلا عن الكثير من المعلومات عنها . كذلك تشكل القطع الأثرية القديمة ، وبخاصة من الأسلحة كالبنادق والمسدسات والسيوف، والسيارات القديمة، شيئاً محبباً إلى نفسه، حيث أنه يحرص على جمع القطع النادرة منها، مع الإحتفاظ بمعلومات عن تاريخها .

أما الهواية التى أحبها الشيخ خليفة كثيراً، وتكاد ظروف وضغوط العمل تكون قد أوقفته عن ممارستها فهى الرسم . فقد أحب سموه فن الرسم بالريشه والألوان المائيه والباستيل وغيرها . ومن منطلق حبه لهذا الفن، فإنه يتابع عن كثب ما تقدمه المدارس الفنية والتشكيلية من جديد، عالمياً ومحلياً. ومن هنا يحرص سموه بشكل خاص على تشجيع الفنانين التشكيليين البحرينين، بكل وسيلة، على الإنتاج والإبداع. وكثيراً ما يفاجأ هؤلاء الفنانون به وهو يزور معارضهم، ويتأمل ويناقش معهم مضمون لوحاتهم بعمق يعكس إلماماً كاملاً بمختلف المدارس الفنية وإتجاهاتها.

❖❖❖❖




ملامح من الفكر السياسي
لسمو الشيخ خليفة بن سلمان



الفصل الرابع عشر

ملامح من الفكر السياسي لسمو الشيخ خليفة بن سلمان

عندما شرعت في كتابة هذا المؤلف عن السيرة الذاتية لصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، كنت أعلم تمامًا أن البحث والتدقيق في أحداث وتفاصيل وإنجازات مرحلة ما قبل تولى سموه مسئولية رئاسة الوزارة في ١٥ أغسطس عام ١٩٧١، سوف يتطلب الكثير من الجهد والعناء، وخلال إستكمال الفصول الخاصة بهذه المرحلة تبين لي صدق ماكنت أتوقع، وربما كان مرجع ذلك أن الحركة الإعلامية والصحفية في البحرين لم تكن قد تبلورت تماما وبدأت تقوم بدورها في تسجيل تطور الحياة السياسية والإجتماعية في البلاد قبل بداية السبعينيات. والحقيقة وجدت بعض تسجيلات صحفية ولقطات صور فوتوغرافية لمناسبات متفرقة لدى شركة نفط البحرين ولدى مجلة صدى الأسبوع وفي أرشيف دار أخبار الخليج ولدى عدد من الأفراد من أبناء البلاد المهتمين بجمع والإحتفاظ بذكريات تلك السنوات الغالية من العمر. غير أن طموحي في جعل هذا الكتاب، ومن خلال سيرة حياة وإنجازات سمو الشيخ خليفة بن سلمان، مرجعاً موثقاً لهذه الفترة من تاريخ بلادي جعلني اواصل دوماً البحث عن المزيد من المعلومات والوثائق عن هذه المرحلة.

وقد كان من الطبيعي أن يكون مقصدي الأول في هذا المجال هو صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان نفسه. وعندما تشرفت بالفوزبأحد اللقاءات مع سموه، والتي تفضل حفظه الله بإتاحتها لي - رغم تعدد المشغوليات والأعباء التي يتحملها بصبر وسعادة كاملة، سعياً إلى تحقيق التقدم والتطور الذي يتمناه للبحرين حتى تتبوء المكانة اللائقة بها إقليمياً ودولياً - رتبت نفسي وأوراقي على طرح عدة أسئلة تتناول إنجازات سموه في مرحلة ماقبل توليه مسئولية رئاسة الوزراء .

وطرحت السؤال على سموه مباشرة : ماهى في رأى سموكم أهم إنجازاتكم حتى مرحلة ماقبل توليكم رئاسة الوزراء في عام ١٩٧١ ؟

أجاب سموه بتواضع العظماء « لقد كانت لي بعض الإجتهادات نحو الإسهام في تحقيق التقدم الذي تستحقه البحرين ».

وإنطلاقا من خشيتي أن ينتهي وقت اللقاء دون أن أفوز بتصريحات من سموه حول هذه النقطة، سألته سؤالاً ثانياً متعدد الجوانب حول المشاركة في العمل الوطني، والمعطيات التي إنطلق منها، وماذا في رأي سموه كانت أبرز إنجازارت كل من المهام التي تولاها ؟ .

بعد لحظة تفكير رد عليّ سموه باسماً « تستطيع أن تقول بأن منطلقي الوحيد منذ البداية وحتي اليوم، هو ثقتي الأكيدة بأن البحرين، وإن كانت صغيرة بمساحتها ومحدودية مواردها، إلا أنها كبيرة .... كبيرة جداً برجالها وبعزيمة أبنائها ، وبما وهبه الله لهم من نعم الوعي والأصالة والمحبة والتلاحم والمثابرة في العمل وتحصيل العلوم والخبرات . وهو الأمر الذي يفسر لنا كيف إستطاع هذا البلد الطيب الصغير بناء هذه النهضة الحديثة. وهو مايدفعنا كذلك إلى التطلع إلى المستقبل بكل الثقة والتفاؤل في تخطي أية عقبات يمكن أن تواجهنا، ومواصلة الإرتقاء ودفع عجلة التنمية » .

ولمست أن سموه عازف عن الحديث عن إنجازاته ، وما حققه للوطن في مختلف الميادين. ولما تيقنت من رغبة سموه في ألا يكون الحديث تعديداً من جانب سموه لإنجازاته ، رحت بغير ترتيب مسبق أطرح على سموه أسئلة تتعلق بآرائه ومرئياته للعديد من جوانب السياسة الخارجية والداخلية ، لأجد نفسي في نهاية اللقاء وقد فزت بقدر وافٍ ومتكامل من المعلومات عن ملامح الفكر السياسي لسمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة .

والواقع أنني أستطيع أن أزعم بأن صورة حية عن مجمل الفكر السياسي لهذا الرجل قد تكونت ملامحها لدي بشكل شديد الوضوح ومحدد المعالم، تأسيساً على أسلوب التحليل الموضوعي الذي التزمت به منهاجاً للعمل في فصول هذا الكتاب حيث تم إخضاع مرحلة ليست بالقصيرة من التاريخ الحديث للبحرين للتحليل الموضوعي. وربما أكون بغير حاجة الآن لأن أشير إلى أن هذه المرحلة تبدأ قبل ميلاد سموه بسنوات قليلة، وتمتد حتى يومنا هذا. وقد ساعدني هذا النهج، في تحديد الكثير من العوامل التي ساهمت في بلورة الفكر السياسي لسمو الشيخ خليفة بن سلمان. وفيما أنه من الصعب بمكان تحديد إطار معين أزعم معه أنه يمثل كل الفكر السياسي لشخصية مثل الشيخ خليفة



سمو رئيس الوزراء في أحد اللقاءات مع المؤلف

بن سلمان، فإننى أستطيع القول بأن هذا الكتاب كان له شرف السبق في السعى لأن يلقي الضوء ويتناول بالتحليل الفكر السياسي لهذا الرجل، بصورة موضوعية خالصة. وأزعم أن الفصول الأولى من هذا الكتاب قد ساعدت القارىء الكريم على تصور الخلفية السياسية التى نشأ فيها الشيخ خليفة بن سلمان، والتي أسهمت في بلورة فكره السياسي في مرحلتي الصبا والشباب، وبخاصة تأثره بنهج والده المغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، والذي كان بمثابة المدرسة السياسية التي نهل من علومها في هذه المرحلة. ثم تجيء بعد ذلك عوامل الملكات الشخصية التي يتمتع بها الشيخ خليفة، والتي كشفت عن معدنها الأصيل عند التعرض لأولى التحديات، فاظهرت صلابة وحكمة يندر أن يتمتع بهما شخص في العقد الثالث من عمره.

ولم تكن هذه التحديات الأولى التي أتحدث عنها سهلة أو بسيطة. بل كانت من أصعب وأقسى ما يمكن أن يتعرض له حاكم أو مسئول. وقد تمثلت

هذه الصعوبات في مواجهة الطامعين في إغتصاب الحكم من أصحابه الشرعيين. إذ انتهز هؤلاء فرصة وفاة المغفور له الشيخ سلمان ليكشفوا عن نواياهم صراحة، وليزعموا بأن الأخوين الشيخ عيسى والشيخ خليفة أصغر من يستطيعا حكم البلاد. وكانت الحكمة التي تعامل بها الشيخ خليفة مع هذا الموقف (وهو في السادسة والعشرين من عمره) والتي أسهمت في قيادة دفة الأمور إلى بر الأمان دون تعريض السفينة لأية مخاطر ، هي التي كشفت عن طبيعية الفكر السياسي لهذا الشاب.

ومن الغريب أن الشيخ خليفة لم يهدأ أو يركن إلى الراحة بإنطفاء جذوة هذا التحدى الخطير. بل قاده فكره إلى إقتحام تحدٍ آخر لايقل ضراوة وأهمية عن سابقه، وهو أن المواجهة الإيجابية لأية أطماع أو شكوك، إنما تكون ببناء نهضة وتقدم البلاد مهما كانت عوائق صغر المساحة، ومحدودية وتواضع الموارد.

وإذا كان معروفاً لدى الكثيرين حجم الإنجاز الكبير الذي حققه الشيخ خليفة بن سلمان على الصعيد التنموي في البحرين، تجارياً وسياحياً وعمرانياً وصناعياً، فإنني أود أن أشير إلى نقطة هامة، تتمثل في الفكر السياسي الذي يكمن وراء كثير من المشروعات العملاقة التى نفذت في البحرين والتي كان الجميع ينظرون إليها على أساس مردودها الاقتصادي وحده .

فالكثيرون يعرفون أن الشيخ خليفة استطاع أن يجتذب إلى البحرين عدداً غير قليل من المشاريع الإقتصادية الهامة، وذلك بهدف دعم الإقتصاد الوطني، ورفع مستوى معيشة المواطنين. غير أن أمراً هاما كان يحرص عليه سموه، فيما يتعلق بكثير من هذه المشروعات، وهو أن تكون مشروعات مشتركة مع دول قوية تستطيع توفير الحماية لمصالحها من جهة، وللبحرين في مواجهة مختلف التحديات التى تواجهها من جهة أخرى. كذلك تركز حرصه على تحويل محدودية المساحة الجغرافية للبحرين من نقطة ضعف إلى ميزة هامة، تساعد على إنفتاح البلاد عربياً ودولياً، وعلى جعلها مركزاً عالمياً للخدمات بإختلاف أنواعها. وربما كان ذلك هو ما أشار إليه سموه بكلمة « إجتهادات »... ويالها من إجتهادات عظيمة.

❖❖❖❖

عن فلسفة وتوجهات السياسة الخارجية للبحرين خلال المرحلة الراهنة ، قال سموه « السياسية الخارجية للبحرين تقوم على أسس ثابته راسخة

وواضحة، سواء في المرحلة الراهنة أو الماضية أو المستقبلية بإذن الله تعالى . هذا ما أكسب البحرين رصيداً كبيراً من المصداقية الدولية والإقليمية، في كافة تعاملاتنا مع الأشقاء والأصدقاء. فقد أرسى الآباء والأجداد بثاقب حكمتهم هذه المبادىء التي تتسم بالتعقل والتروي ومد جسور التعاون الصادق مع الجميع .

وبتطور العلاقات الدولية تأكدت حكمة هذه المبادىء. وبالتالى ترسخت الثوابت الإستراتيجية للسياسة الخارجية البحرينية، متمثلة في الحفاظ على المبادىء والقيم والأعراف والمواثيق العربية والإسلامية والدولية، والسلوك الحضاري في التعامل مع كافة الدول. وهو الأسلوب القائم على مبادىء حسن الجوار وعدم التدخل في الشئون الداخلية والتعاون الإيجابي .

أما عن أهداف التحرك السياسي الخارجي للبحرين، فهي باختصار شديد، السعي لدعم التعاون على مختلف مستويات التفاعل البحريني الخارجي إقليمياً وعربياً ودولياً. ويندرج في هذا الإطار ويترتب عليه، السعى لإرساء أسس السلام وتعزيز وترسيخ الأمن والإستقرار في المنطقة وفي العالم أجمع، ومن ثم تهيئة الفرصة لتعزيز جهود التنمية والتقدم .

عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مسيرته وإنجازاته ومستقبله يقول سموه « إنني أؤمن إيماناً كبيراً بمجلس التعاون لدول الخليج العربية، كونه الصيغة المثالية لتحقيق طموحات شعوب المنطقة سياسياً واقتصادياً وأمنياً. وبرغم الإنجازات التي إستطاع المجلس تحقيقها، وهي كبيرة وطيبة بكل المقاييس، إلا أن شعوري الأكيد هو أنه كان بالإمكان أحسن مما كان . صحيح أن التحديات أمام التجربة كانت كثيرة وصعبة ، لكن كان من الممكن إنجاز المزيد من الطموحات. غير أن المهم عندي الآن أن هذا التجمع لايزال مترابطاً وقوياً رغم عثرات كثيرة مرت به ولاتزال تعترضه. ومع ذلك أثق بأن المستقبل القريب سوف يحمل إيجابيات أكثر بالنسبة لمسيرة المجلس. إيجابيات تنطوي على إصلاح ما ظهر من قصور خلال التجربة والممارسة. والمطلوب منا جميعاً، مزيد من الجهد واليقظة وتضافر الجهود والسعى إلى مواصلة تطوير التجربة ودعمها، بصفتها الدرع الحصين لنا جميعا في مواجهة التحديات.

وعن المشاكل الثنائية المعلّقة، وما إذا كان لها تأثير سلبى على مسيرة المجلس يقول سموه « لاشك في أن أية مشاكل ثنائية معلّقة، يمكن أن تؤثر سلباً على المسيرة الجماعية المشتركة. ولابد من تسوية أية مشاكل من هذا النوع بالأسلوب الأخوي الودي. لأن ذلك الأسلوب ، كما أؤكد دوماً ، هو دون غيره



سمو رئيس الوزراء في أحد اللقاءات مع المؤلف بحضور الأستاذ زغلول عبدالمطلب المستشار الصحفي بديوان سموه

الأمثل والأحكم والأقدر على الحفاظ على وشائج الأخوة والمودة، والرغبة الصادقة في التعاون والتعاضد بين الأشقاء ».

وعن رؤية سموه للنظام العالمي الجديد وموقف المنطقة منه ؟ يقول « ربما تكون ملامح هذا النظام العالمي الجديد قد بدأت تتشكل وتظهر بعض الشيء في أعقاب إنهيار المعسكر الشيوعي وإختفاء الإتحاد السوفيتي السابق كقوة عظمى في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية . غير ان كثيراً من الخيوط لا تزال متشابكة حتى اليوم. وهناك تفاعلات تحدث لصنع أو ايجاد توازنات تسعى لايجاد مكان لها على الساحة الدولية . وبالتأكيد فإن منطقة الخليج العربية، وبما تتمتع به من أهمية استراتيجية دولية، تواصل اليوم التفاعل ومشاركة الأسرة الدولية جهودها، لتأكيد المناهج والمبادىء المتولدة عن هذا المناخ الجديد، وعلى رأسها مبادىء إحترام الشرعية الدولية وتعزيز الأمن والإستقرار اللذين يشكلان الأساس الراسخ للتنمية والتقدم » . ويضيف سموه قائلاً « ولا أغالي إن قلت أن أجواء السلام والأمن والإستقرار إنما تشكل الأساس الضروري لأي جهد، كبر أم صغر، يستهدف التنمية والبناء. فلابناء بلا سلام ، ولا إزدهار بلا طمأنينة وأمان » .

وسألت سموه:

❖ يعيش المجتمع البحريني كله اليوم أجواء تفاؤل وثقة بالمستقبل، في أعقاب إعادة تشكيل الحكومة برئاسة سموكم. فما هي رؤية سموكم لغايات هذا التعديل ؟

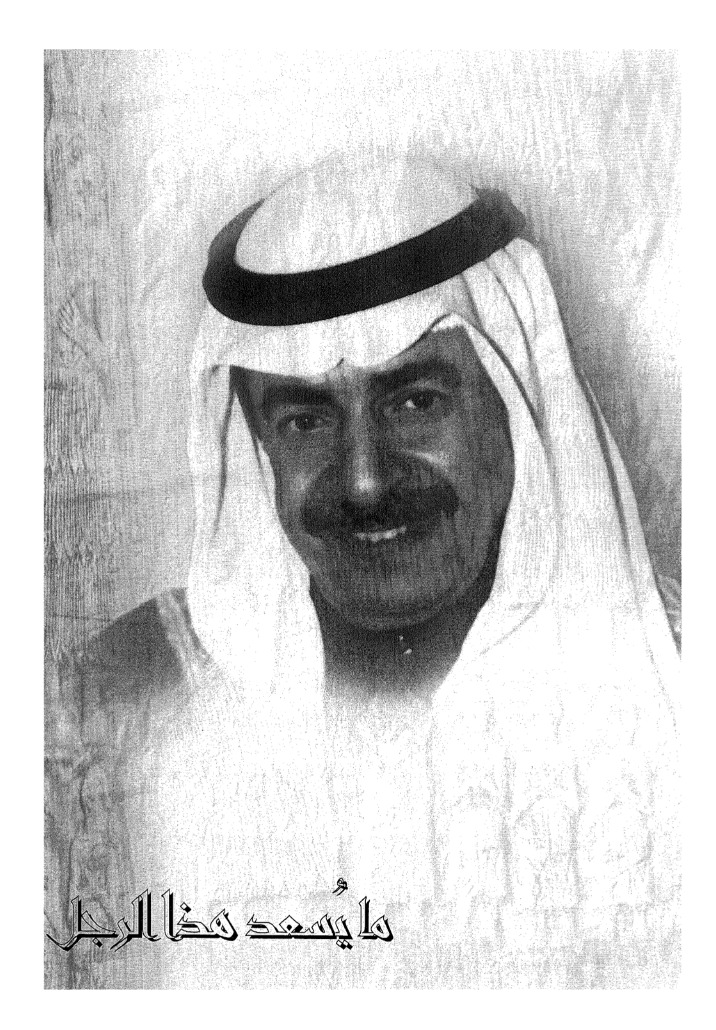
أجاب سموه بصراحته المعهوده « لا أخفي عليك أن الإستعداد لمرحلة جديدة من العمل الوطني، بما تطلّبة ذلك من تعديل وزاري وإداري في العديد من وزارات وأجهزة الدولة، تبلورت أهميته أمامي منذ فترة غير قصيرة. ولكن عدة أحداث وتطورات إقليمية ومحلية جعلتني أرجيء هذا التعديل أكثر من مرة للوقت المناسب . وما أريد أن أؤكده الآن هو أننا لا نجري التعديل بهدف التغيير في حد ذاته . فذلك أبعد ما يكون عن هدفنا وغايتنا . فقد جاء هذا التعديل لتحقيق غايات محددة، ينبغي أن تكون على رأس أولويات العمل الوطني في هذه المرحلة. وفي مقدمة هذه الغايات، العمل على رفع مستوى معيشة المواطن وتوفير الخدمات الأساسية اللازمة له ولأسرته، من رعاية صحية وعلاجية وإسكان ومواصلات وتعليم، مع السعى إلى ربط مخرجات التعليم بإحتياجات ومتطلبات سوق العمل وبرنامج التنمية، فضلا عن تطوير برنامج التدريب والتأهيل المهني للنهوض بالقوى العاملة وتهيئة طالبي العمل مهنياً لشغل فرص العمل المتاحة ، وذلك بما يسهم في الجهود المبذولة على صعيد التنمية الشاملة، لتوفير مزيد من فرص العمل. وإنه لموضع إعتزازي وسعادتي ذلك الإنعكاس الإيجابي الطيب الذي لقيته هذه التعديلات، مما زادنا جميعا ثقة وإصراراً على مواصلة مسيرتنا الخيّرة للتنمية والتقدم، واثقين من بلوغ أهدافنا وغاياتنا النبيلة بإذن الله تعالى » .

لقد كان هدفي من هذا اللقاء أن أحصل على تقييم من سموه لإنجازاته خلال مرحلة ما. وبإسلوبه الدبلوماسى الحكيم، بلغتنى رسالة سموه التى تعكس رغبة – شأنه فيها شأن كبار رجالات الدولة والعظماء حقا – في عدم الحديث عن إنجازاته .

ومع ذلك فقد وجدت نفسى في نهاية اللقاء وقد فزت بعدة أراء هامة لسموه، تشكل ملمحاً من ملامح الفكر السياسى الحكيم الذي يتحلى به الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، والذي ساهم به في قيادة هذا الوطن نحو ما وصل إليه من مكانة إقليمية ودولية رفيعة.

❖❖❖❖




ما يُسعد هذا الرجل



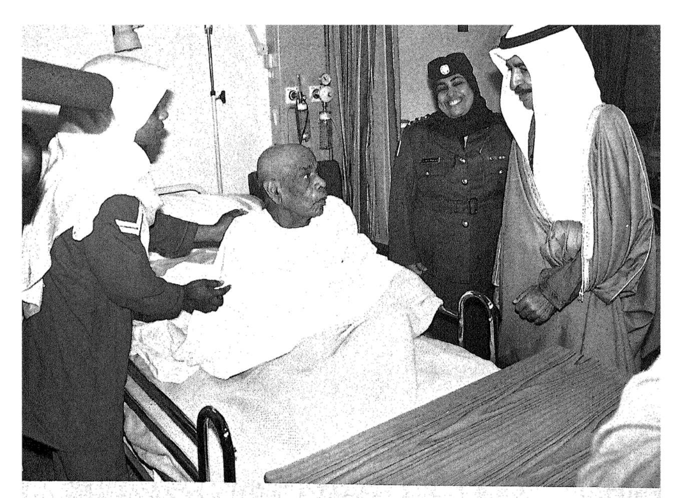
ما يُسعد هذا الرجل

قبل قليل من إنتهاء وقت الدوام الرسمي للعمل يوم الأثنين ٤ سبتمبر عام ١٩٩٥، أُبلغ الدكتور عبداللطيف الرميحي رئيس ديوان سمو رئيس الوزراء، بأن السيد أحمد بوتان دكار الممثل المقيم لمنظمة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي على الهاتف، يطلب التحدث إليه.

وكانت فحوى المكالمة طلب تحديد موعد للقاء الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، لرفع تقرير مهم إلى سموه. وأمكن إفساح وقت لإتمام هذا اللقاء في برنامج عمل سموه لليوم التالى مباشرة.

وكان الوقت هو الثانية عشرة والنصف من بعد الظهر، حين إستقبل سموه السيد دكار، وهو صومالي يتحدث العربية بطلاقة، ويميل إلى الدقة وإستخدام الأرقام في حديثه. وقد أبلغ السيد دكار سمو الشيخ خليفة أن منظمة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لتطوير الموارد البشرية على الصعيد العالمي قد وضعت البحرين في المرتبة الأولى على رأس جميع الدول العربية، من حيث برنامج التطوير الإجتماعي والإقتصادي. وقدم المسئول الدولي إلى سموه، مهنئاً بهذا الإنجاز المتميز، التقرير السنوي للمنظمة، والذي وضع البحرين في هذه المرتبة الرفيعة.

وإنفرجت أسارير سموه، وعلت وجهه إبتسامة رضا عميق. وبدا عناء عمل اليوم وقد تبدد تماماً، وربما عناء عمل مرحلة كاملة من السعي الحثيث لتحقيق هذا التطور الاقتصادي والإجتماعي الذي تعيشه البحرين.



أعلى: سمو رئيس الوزراء في حديث مع أحد المرضى في مركز الشيخ محمد بن خليفة التخصصي للقلب
إلى اليمين أعلى: سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء وسمو ولي العهد في إحتفال إفتتاح مدينة حمد النموذجية
إلى اليمين أسفل: سمو رئيس الوزراء يرعى إحتفال التخرج بجامعة البحرين

ووضع سموه النظارة الطبية على عينيه لقراءة التقرير والإطلاع على جداوله المرفقة. لقد وضعت البحوث والدراسات التي قامت بها هذه المنظمة الدولية البحرين الأولى عربياً والرابعة والأربعين من بين مائة وأربع وسبعين دولة متميزة في هذه المجالات على المستوى العالمي، وذلك إستناداً إلى تميز الخدمات العامة التي تقدمها البحرين في مجالات الصحة والإسكان والتعليم والمواصلات وتسهيلات الماء والكهرباء.

ويقول الدكتور عبداللطيف الرميحي الذي حضر المقابلة أن علامات الرضا والسعادة كانت بادية على وجه سموه في هذا اليوم، ولم يخطئها أحد من موظفي ديوان سموه.



صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة يستقبل السيد أحمد بوتان دكار الممثل المقيم لمنظمة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي

وفي اجتماع مجلس الوزراء الذي أعقب هذه المقابلة مباشرة، تحدث سموه لأعضاء المجلس عن مضمون هذا التقرير، مؤكداً على شيء واحد وأساسي، وهو أن هذه المرتبة والمكانة المتميزة التى حظيت بها البحرين « إنما تزيد من مسئوليتنا في المحافظة عليها، والعمل على تطويرها والبناء عليها لما فيه خير هذا الوطن العزيز ».

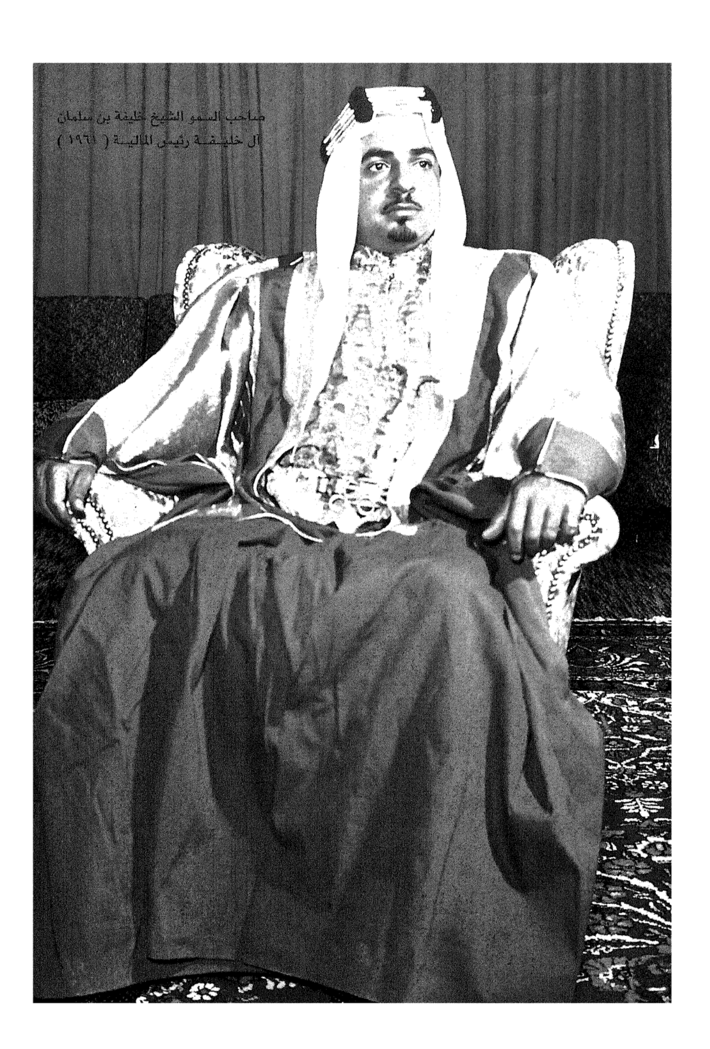
❖❖❖❖

وأرجو القارىء العزيز وهو يطالع هذه الكلمات الختامية عن ذلك التقرير الذي رُفع إلى سمو الشيخ خليفة بن سلمان أن يقرأ أيضاً تلك الإبتسامة المعبرة التي يعجز القلم عن وصفها، وقد إرتسمت على وجه سموه على نحو ما تظهره الصورة، ليعرف ما يُسعد ويُفرح هذا الرجل .

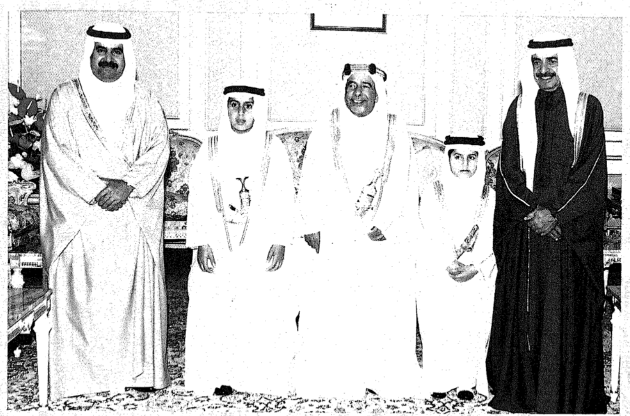
❖❖❖❖



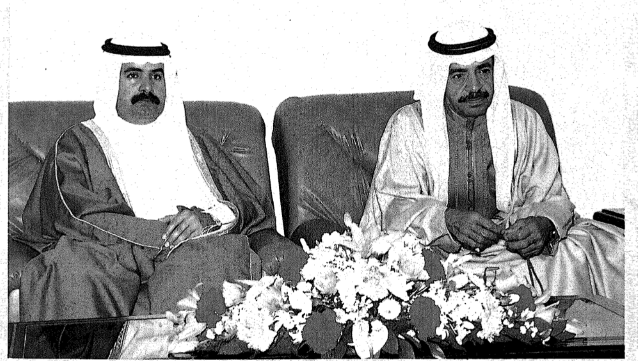
أب وأبناء



صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان
آل خليفة رئيس المالية (١٩٦١)



سمو الشيخ عيسى بن سلمان وسمو الشيخ خليفة في صورة تذكارية مع سمو الشيخ علي بن خليفة وأبنائه



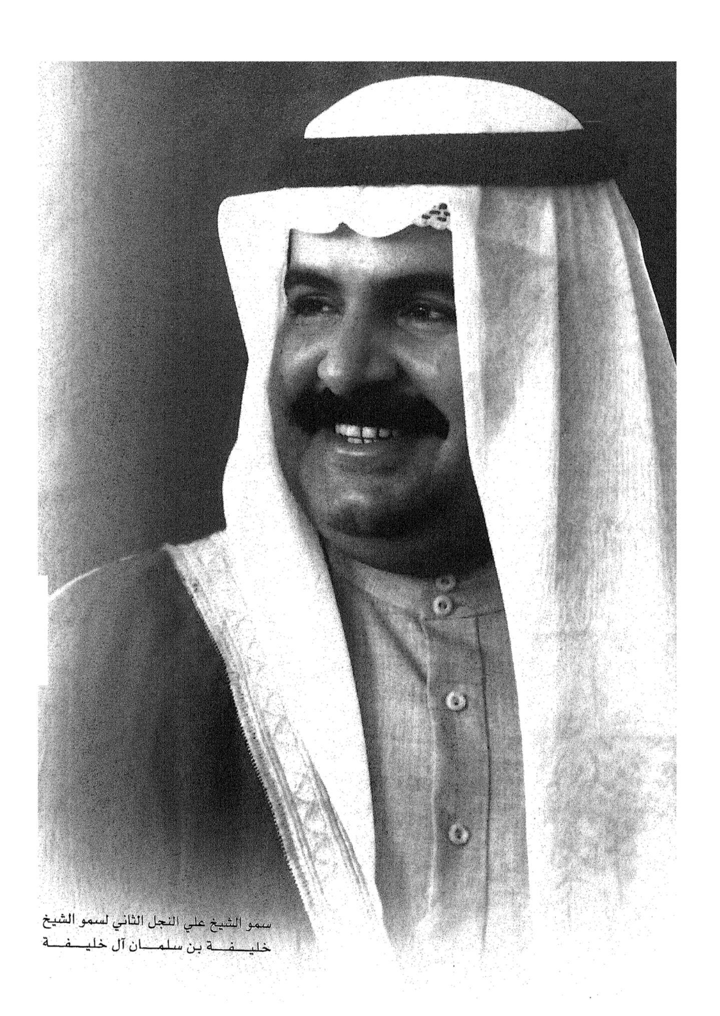
سمو الوالد الشيخ خليفة بن سلمان مع نجله الشيخ علي


سـمـو الشـيـخ علي بن خليـفـة وزير المواصـلات خـلال جـولة تفـقـدية لمطار البـحـرين الدولى


سمو الشيخ سلمان بن خليفة يفتتح نيابه عن والده سمو رئيس الوزراء شارع الشيخ خليفة بن سلمان



سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة يغادر
ارض الوطن إلى بريطانيا للدراسة برفقة نجله
المغفور له الشيخ محمد (يوليو ١٩٥٧)



سمو الشيخ علي النجل الثاني لسمو الشيخ
خليفة بن سلمان آل خليفة



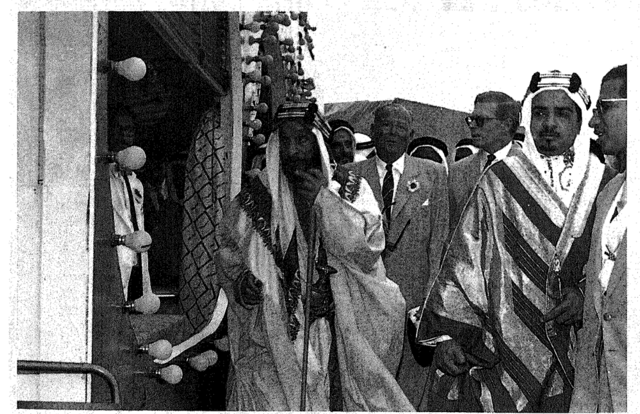
سمو الشيخ سلمان النجل الثالث لسمو الشيخ
خليفة بن سلمان آل خليفة



من ألبوم سموه



سمو الشيخ خليفة بن سلمان في إستقبال السير إدورد هيث (رئيس الوزراء البريطاني الأسبق) حامل أختام ملكة بريطانيا لدى زيارته للبحرين (يناير ١٩٦١)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان يفتتح نيابة عن والده المغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة معرض البحرين الزراعي والتجاري (١٩٥٩)



رئيس وزراء لبنان يقلد سمو الشيخ خليفة بن سلمان أحد الأوسمة اللبنانية الرفيعة (مارس ١٩٥٨)



الأشقاء سمو الشيخ عيسى وسمو الشيخ خليفة وسمو الشيخ محمد أنجال المغفور له
الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة في زيارة لمواقع آبار النفط (١٩٥٨)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان يمارس هواية التصوير في حقول القمح في منطقة الحنينية (١٩٥٩)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان أثناء زيارته إلى نيويورك (سبتمبر ١٩٦٧)

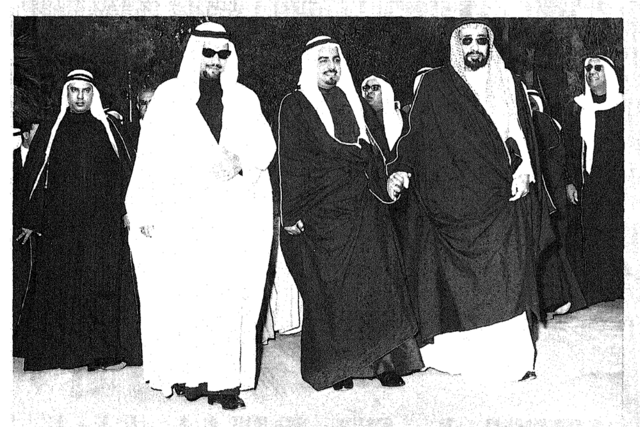


سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (ولى عهد قطر آنذاك) يستقبل سمو الشيخ
خليفة بن سلمان (رئيس المجلس الإداري) في الدوحة (١٩٦٧)





سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (حاكم إمارة ابوظبى) يرافقه سمو الشيخ خليفة بن سلمان (رئيس المجلس الإداري) في صالة البولينج في نادي عوالى، خلال زيارة سمو الشيخ زايد للبحرين (١٩٦٧)



أمير المنطقة الشرقية ووزير النفط بالمملكة العربية السعودية يستقبلان سمو الشيخ خليفة بن سلمان أثناء زيارته الى المملكة العربية السعودية (١٩٦٦)



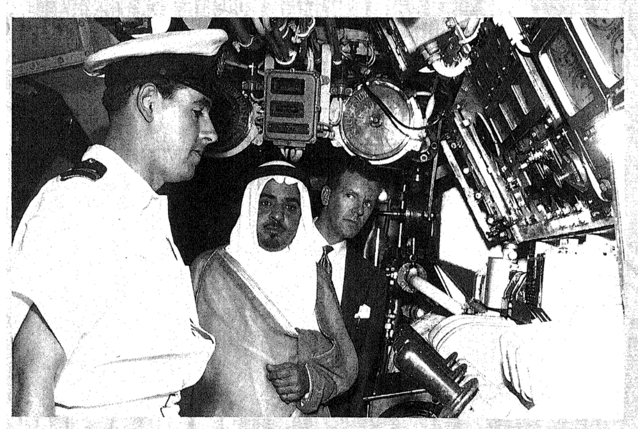
سمو الشيخ خليفة بن سلمان (رئيس بلدية المنامة) يترأس أحد إجتماعات البلدية (١٩٦٥)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان (رئيس المالية رئيس بلدية المنامة يترأس إجتماعات مكتب مقاطعة إسرائيل الذى عقد في البحرين (١٩٦٥)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان بعد عودته برفقة والده سمو الشيخ سلمان بن حمد وعمه سمو الشيخ مبارك بن حمد من السعودية لتوقيع إتفاقية الحدود البحرية بين البلدين (فبراير ١٩٥٨)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان يتفقد أول غواصة تزور البحرين (ديسمبر ١٩٦٢)

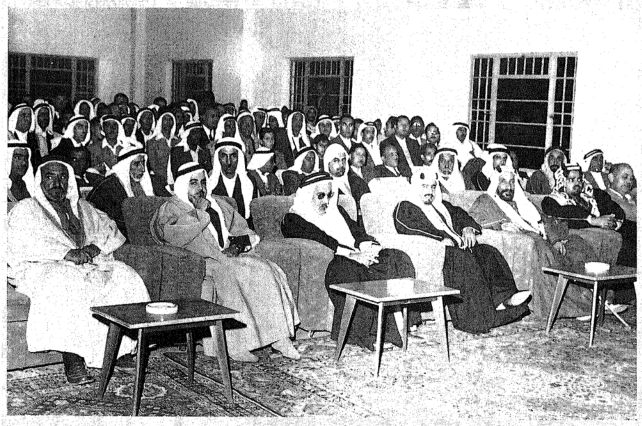


سمو الشيخ خليفة بن سلمان يفتتح أول معرض دنماركي تجاري في البحرين (أبريل ١٩٦٠)


سمو الشيخ خليفة بن سلمان يفتتح المعرض التجاري الأسترالي العائم (مارس ١٩٦٢)



سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين مع أنجاله في زيارة لشركة نفط البحرين المحدودة (١٩٥٩)



الأشقاء سمو الشيخ عيسى وسمو الشيخ خليفة وسمو الشيخ محمد وعمهم
سمو الشيخ عبدالله بن عيسى في إحدى الأمسيات بأحد الأندية (١٩٦٢)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان في أحد أيام العيد في قصر الرفاع العامر (١٩٥٨)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس لجنة جمع التبرعات لحرب ١٩٦٧ مع أعضاء اللجنة (١٩٦٧)



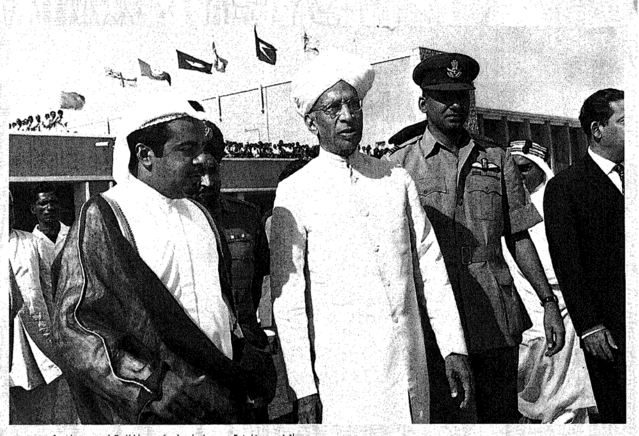
سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء يفتتح فرع بنك القاهرة في البحرين (ديسمبر ١٩٧٢)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان يستقبل العاهل الأردنى الملك حسين أثناء زيارته إلى البحرين (١٩٦٧)



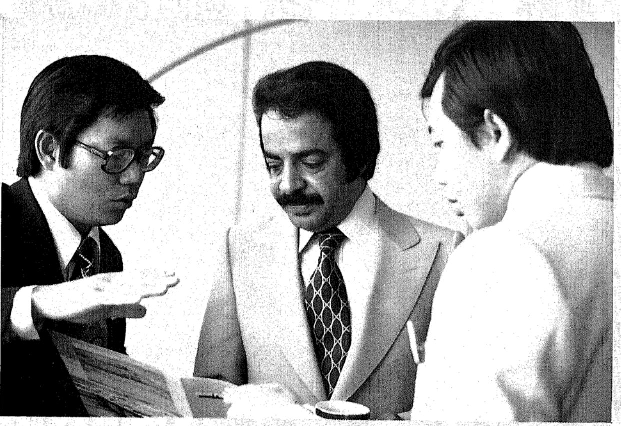
سمو الشيخ خليفة بن سلمان وجولات مستمرة إلى مواقع العمل لشركة نفط البحرين المحدودة (نوفمبر ١٩٦٥)



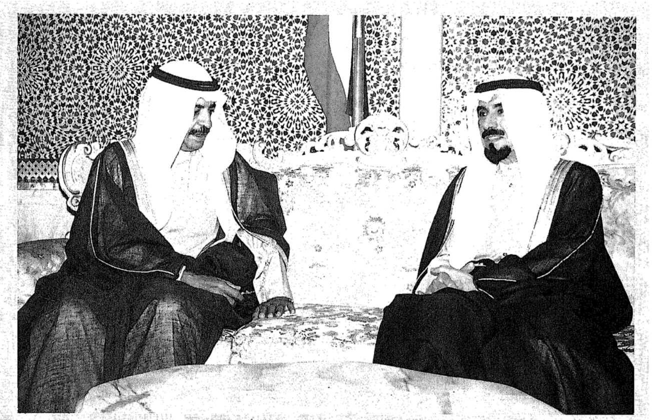
سمو الشيخ خليفة بن سلمان (رئيس المالية) يستقبل رئيس جمهورية الهند خلال زيارته للبحرين (سبتمبر ١٩٦٥)



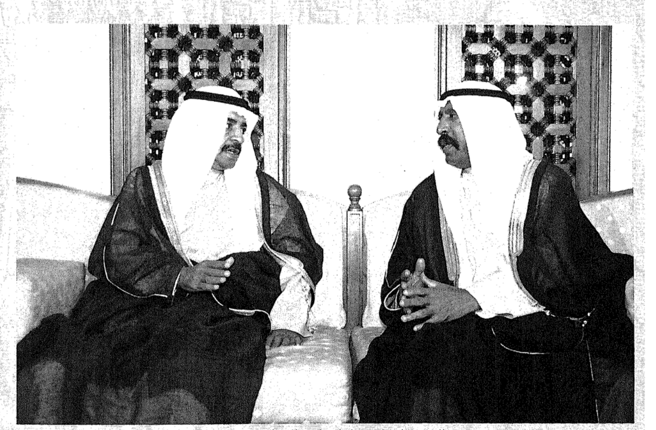
سمو الشيخ خليفة بن سلمان (رئيس المجلس الإداري) خلال زيارته للولايات المتحدة الامريكية (١٩٦٧)



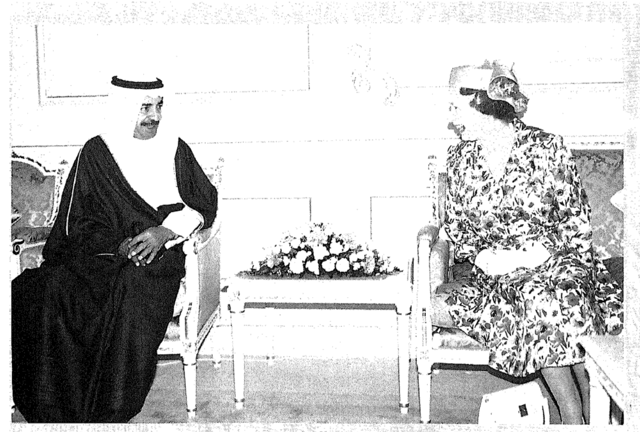
سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء خلال زيارته لسنغافوره (سبتمبر ١٩٧٦)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء وسمو الشيخ جابر الأحمد
الجابر أمير دولة الكويت خلال زيارة سموه للكويت (ابريل ١٩٩١)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء وسمو الشيخ سعد العبدالله الصباح ولي العهد رئيس
مجلس الوزراء الكويتي خلال زيارة سموه للكويت (ابريل ١٩٩١)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء وجلالة الملكة اليزبيث الثانية ملكة بريطانيا خلال زيارتها للبحرين (اكتوبر ١٩٨٩)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء يستقبل السيدة مارجريت تاتشر
رئيسة الوزراء البريطانية خلال زيارتها للبحرين (اكتوبر ١٩٨٩)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء ومعالي السيد سليمان
ديميريل رئيس وزراء تركيا خلال زيارته للبحرين (يناير ١٩٩٣)



سمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء ومعالي السيد رفيق
الحريري رئيس وزراء لبنان خلال زيارته للبحرين (مايو ١٩٩٣)

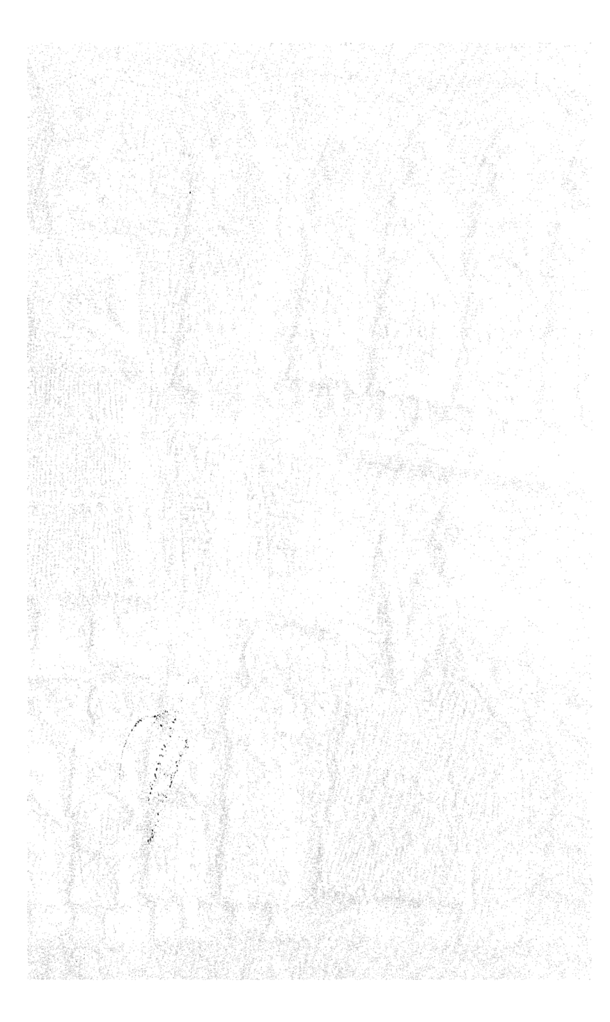
تقدير وإمتنان

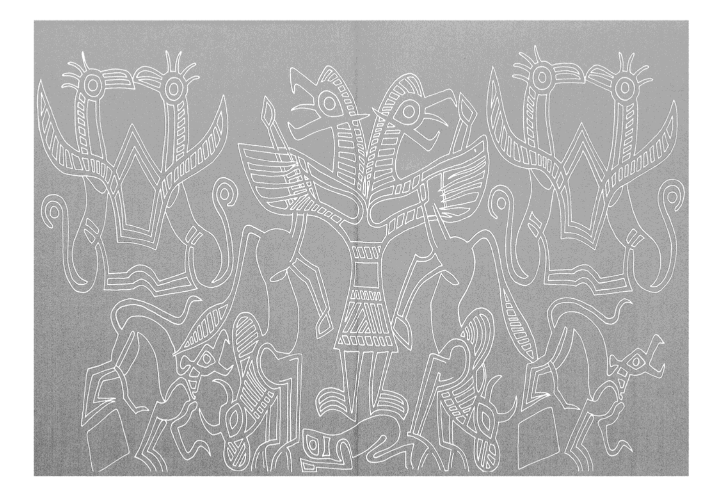
أتقدم بشكري وتقديري لجميع المسئولين والموظفين في ديوان سمو رئيس الوزراء على تعاونهم معي طوال فترة إعداد هذا الكتاب. وأخص بالشكر الشيخ عبدالعزيز بن مبارك آل خليفة سفير دولة البحرين لدى المملكة المتحدة، والأستاذ علي محمد العريض مدير إدارة المعلومات والمتابعة، والسيد عبدالعزيز السيد يوسف رئيس قسم السجلات والوثائق والسيد أحمد العباسي مدير مكتب وزير شئون مجلس الوزراء والإعلام، والسيد عادل العسومي سكرتير رئيس ديوان سمو رئيس الوزراء، والسيد أحمد المرشد مراقب الأخبار المحلية بوزارة شئون مجلس الوزراء والإعلام، والسيد دعيج درويش الموظف في نفس القسم، والأستاذ صلاح المدني مدير عام الدائرة القانونية، والسيد ميرزا عيد أمين المكتبة في الدائرة، وذلك على ما قدموه لي من خدمات جليلة، وما زودوني به من وثائق وصور ومعلومات هامة، ساهمت بدرجة كبيرة في إنجاح هذا العمل.

ولايفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر إلى إدارة شركة نفط البحرين (بابكو) لما أولتني إياه من مساندة وإهتمام، ولما وفرته لي من صور ومعلومات تاريخية. وأخص بالشكر السيد عبدالحسين علي ميرزا المدير العام للشئون المالية والقانونية، والسيد حسين رضا المدير العام للشئون الإدارية. كما أشكر الأستاذ علي سيار رئيس تحرير مجلة « صدى الاسبوع » الذي أتاح لي فرصة الإطلاع على مايحويه أرشيف المجلة من معلومات وذلك بإعتبارها واحدة من المجلات القليلة في البحرين التي عاصرت فترة ما قبل الإستقلال. وكذلك أشكر السيد يوسف فاخر، رئيس مركز المعلومات بجريدة أخبار الخليج، وجميع العاملين في المركز، لحرصهم على توفير الكثير من المعلومات التي أثرت الكتاب، ولا أنسى أن أشكر السيد عبدالجليل إسماعيل من بنك البحرين والكويت عليما قدمه لي من خدمات خلال فترة الإعداد.

كما أتقدم بشكري الجزيل للفنان البحريني المبدع يوسف القصير، الذي أضفى على الكتاب لمسات فنية رائعة، بدت واضحة في تصميم الغلاف الخارجي والصور الداخلية مشيراً إلى إستخدام الفنان يوسف في ذلك وسائل تكنولوجية حديثة لم يسبقه أحد في المنطقة إلى إستخدامها. كما أود أن أشكر السيد شوقي المحمود صاحب شركة يونيفرسال للإنتاج الفني، والسيد محمود جكبير سكرتير مكتبي على جهوده ونشاطه الدؤوب في تنظيم الكثير من الأمور المتعلقة بإصدار هذا الكتاب.







هذا الكتاب

إن المستعرض لتاريخ البحرين - قديمه وحديثه - يستطيع أن يدرك، دون جهد كبير، كم شهدت هذه الأرض من أحداث وتطورات متباينة على مر السنين، ويستطيع أيضاً أن يدرك أن قيام دولة حديثة متحضرة على هذه الأرض، لم يكن بالأمر اليسير. فقد كان وراء قيام هذه الدولة كفاح طويل، خاضه أبناء هذه الأرض جيلاً بعد جيل، وقاد مسيرته رجال منهم وهبوا أنفسهم من أجل رفعة بلادهم وإعلاء شأنها. رجال نجحوا، بفضل ماحباهم الله من حكمة وحنكة، في أن يصلوا بالسفينة إلى بر الأمان، وأن ينتزعوا لهذه الدولة الوليدة - في فترة قياسية - مكاناً ومكانة بين دول تكبرها كثيراً من حيث المساحة والإمكانيات.

ولعل أبناء هذا الجيل وغيرهم من المهتمين بتاريخ المنطقة، يتساءلون: كيف امكن تحقيق ذلك ؟ ومتى بدأ العمل على تحقيقه ؟ و كيف اكتسب أبناء هذه الأرض تلك القدرة الدائمة على تجاوز المحن والصعاب ؟ كيف استطاع قادتهم -رغم تتابع المحن- تحويل هذه الأرض إلى واحة وارفة ودولة حديثة تحتل مكانة متقدمة على خريطة العالم.

وقد قدم الكثير من الكتاب والباحثين إجتهاداتهم للإجابة على هذه الأسئلة. ولكن كاتباً على الاطلاق لم ينقل الرواية عن أحد من قادة المسيرة وصنّاع التاريخ على هذه الأرض الطيبة. ولهذا السبب جاء كتاب « رجل .. وقيام دولة » ليقدم هذا الاسهام الهام، وليقدم كذلك لأول مرة القصة كاملة، على لسان الرجل الذى تولى على عاتقه مسئولية بناء نهضة البلاد وتقدمها إنه الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، الذى حمل أمانة المسئولية في رحلة الكفاح، والذى إستطاع بحبه وولائه لوطنه أن يحول الأمل إلى واقع، والحلم إلى حقيقة، وأن يثبت أننا نحن - أبناء البحرين. لنا من ج[illegible] الضاربة في أعماق التاريخ، خلفية حضارية صلبة، م[illegible] تبّوء مكانتها الائقة بين بلدان العالم.

